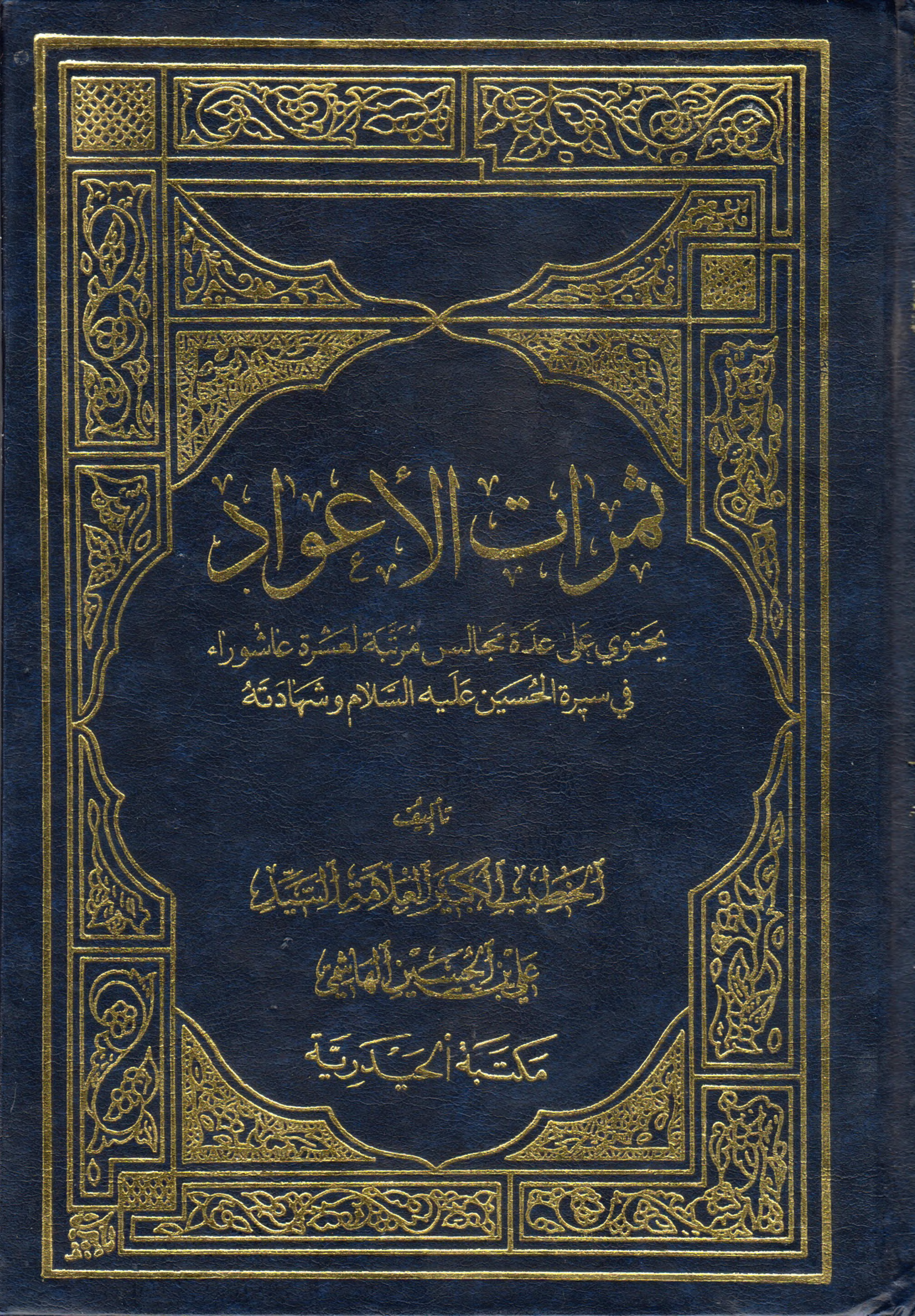

ثمرات الأعواد
يحتوي على عدة مجالس مرتبة لعشرة عاشوراء
في سيرة الحسين عليه السلام وشهادته
تأليف
الخطيب الكبير العلامة السيد
علي بن الحسين الهاشمي
مكتبة الحيدرية

ثمرات الأعواد

يحتوي على عدة مجالس مرتبة لعشرة عاشوراء

في سيرة الحسين عليه السلام وشهادته



لمؤلفه

علي بن الحسين الهاشمي النجفي الخطيب

ولقد بكيت على الحسين بناظر ... ادمت مآقي جفنه عبراته

حتى سقيت بأدمعي شجر الأسى ... فنما وطال وهذه ثمراته

الجزء الأول

المؤلف في سطور

● هو الخطيب البارع والأديب اللامع المغفور له السيّد علي ابن الحسين الهاشمي النجفي عطّر الله تربته وعلّىٰ في الجنان رتبته.

● ولد ـ كما ذكر ذلك من ترجم له ـ في عاصمة العلم والدين النجف الأشرف علىٰ مُشرِّفها آلاف التحيّة والثناء عام ١٣٢٦ هجرية وفيها نشأ وترعرع.

● تلقّىٰ رضوان الله عليه تحصيله العلمي ودراسته الدينيّة علىٰ أيدي أساتذة مبرّزين معروفين كان من بينهم:

١ ـ السيّد مهدي الأعرجي

٢ ـ الشيخ علي ثامر

٣ ـ الشيخ علي كاشف الغطاء

● تلقّىٰ مبادىء الخطابة علىٰ جملةٍ من أماثل خطباء المنبر الحسيني الشريف منهم الخطيبان البارعان:

١ ـ السيّد صالح الحلّي

٢ ـ الشيخ محمد حسين الفيخراني

وقد لازم الهاشمي الأخير ردحاً من الزمن حتّى انفرد بنفسه.

● لم يكن المترجم له خطيباً مفوّهاً وكاتباً مبدعاً ومحقّقاً يشار إليه بالبنان فحسب، بل كان طاب ثراه وجعل الجنّة مثواه بالإضافة إلىٰ ما تقدّم شاعراً مجيداً نظم الكثير من القصائد الممتعة والقطع الرائعة التي تكشف ولا شك عن شاعريّة مرنة.

وبودّي أن أُحيلك ـ قارىء العزيز ـ على كتابين جليلين لتقف من خلالهما علىٰ نماذج من شعره الرائق وهما:

١ ـ شعراء الغري للشيخ علي الخاقاني

٢ ـ معجم الخطباء للسيّد داخل السيّد حسن

حيث حوىٰ كلٌّ من الكتابين المذكورين ترجمةً للهاشمي مع نماذج من شعره ﷺ.

● له عليه الرحمة والرضوان مؤلّفات قيّمة وكتب نافعة أستطيع القول أنّها ملأت فراغاً في المكتبتين العربيّة والإسلامية، إليك أسماء بعض منها:

١ ـ الحسين في طريقه إلى الشهادة

٢ ـ قبور الصحابة في العراق
٣ ـ عقيلة بني هاشم
٤ ـ محمد ابن الحنفية
٥ ـ شرح ميميّة أبي فراس
٦ ـ واقعة الجمل
٧ ـ كميل ابن زياد النخعي
٨ ـ موسى الكاظم عليه السلام
٩ ـ الهاشميّات ـ يضمّ هذا الكتاب ما بين دفّتيه قسماً من شعره الدارج ـ.
١٠ ـ المطالب المهمّة في تأريخ النبي والزهراء والأئمّة
١١ ـ سعيد ابن جبير
١٢ ـ ثمرات الأعواد وهو الكتاب الماثل بين يديك أخى القارىء ويعدّ هذا الكتاب المنيف من أشهر وأنفس مؤلّفاته رحمه الله.

وقد طُبع عدّة طبعات في العراق و ايران وغيرهما من البلدان غير أنّه لم يكن في تلك الطبعات خالياً من الأخطاء والإشتباهات والتحريف والتصحيف فعزَّ ذلك علىٰ أخينا وعزيزنا خادم العترة الطاهرة الأُستاذ الفاضل محمّد صادق الكتبي دام عُلاه فطلب إليّ مشكوراً أنْ أتولّىٰ مُراجعة الجزء الثاني من الكتاب وأنْ أُرجع ما ورد فيه من نصوص شريفة وأخبار منيفة إلىٰ مصادرها فكان الذي أراد حيث أرجعت أغلب الأخبار وأكثر النصوص إلىٰ منابعها الأصلية مع ذكر أرقام الآيات البيّنات وأسماء سورها وبيان اسم الشاعر الذي استشهد المؤلّف بشعره ما وسعني ذلك.

وهنا يجمل بي أن أُشير إلىٰ أنّ الجزء الأوّل من الكتاب كان قد تولّىٰ تحقيقه ومراجعته نجل المؤلّف البارّ الأخ العزيز حجّة الإسلام السيّد رأفت الهاشمي وفّقه الله لخير الدارين وسعادة النشأتين الّا أنّ ظروفاً قاهرةً حالت بينه وبين إتمام الجزء المذكور حيث انتهىٰ به العمل إلى المجلس ٤٧ فقمتُ بتحقيق ما تبقّىٰ منه والحمد لله.

● استأثرت بروحه الرحمة الإلهيّة في الثالث والعشرين من شهر صفر من سنة ١٣٩٦ هجرية في مدينة الكاظمية المقدسة وحُمل جثمانه الطاهر إلى النجف الأعلىٰ حيث أُقبر بجوار جدّه أميرالمؤمنين ومولى الموحدين علي بن أبي طالب عليه صلوات الله وتسليماته.

١٠ / ربيع الأول ١٤٢٠
قم المقدسة ـ هادي الهلالي

المطلب الأول

في ولادة الحسين عليه السلام

ولد الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام لثلاث ليال من شعبان[1]، أو لخمس منه[2]، سنة أربع من الهجرة[3]، وكانت مدة حمله ستة أشهر، ولم يولد لستة أشهر إلّا عيسى بن مريم والحسين، وقيل: يحيى بن زكريا عليهم السلام[4].

ولما ولد الحسين عليه السلام هبط الأمين جبرائيل على النبي صلى الله عليه وآله وسلم ومعه ألف ملك يهنئونه بولادة الحسين عليه السلام، ثم جيء به إليه فأذن في أذنه اليمنىٰ، وأقام في اليسرىٰ، ثم حنكه بريقه، وغذاه من لعاب فمه، ودعا له[5].

وروي عن الصادق عليه السلام أنه قال: «لم يرضع الحسين من ثدي فاطمة ولا من انثىٰ، بل كان يؤتى به النبي صلى الله عليه وآله وسلم فيضع إبهامه في فيه، فيمص منها ما يكفيه

---

(١) مسار الشيعة: ٦١، مصباح المتهجد: ٧٥٨.

(٢) إرشاد المفيد: ٢/٢٧، مناقب ابن شهر آشوب: ٤/٧٦، مقاتل الطالبيين: ٧٨، أُسد الغابة: ٢/١٨، الفصول المهمة لابن الصباغ: ١٧٠.

(٣) انظر ما تقدّم في (١) و(٢).

(٤) انظر تاريخ الخميس: ١/٤١٧.

(٥) مناقب ابن شهر آشوب: ٤/٨٢.

اليومين والثلاث، فنبت لحم الحسين من لحم رسول الله ﷺ ودمه من دمه»[1].

وعن أبي الحسن الرضا عليه السلام «أن النبي ﷺ كان يؤتى بالحسين فيلقمه لسانه، فيمصه فيجتزىء به، ولم يرتضع من انثىٰ»[2].

وإلىٰ ذلك أشار الشاعر بقوله:

لله مرتضع لم يرتضع أبداً	من ثدي انثىٰ ومن طه مراضعه
يعطيه إبهامه طوراً وآونة	من ريقه فاستوت منه طبائعه
سر به خصه باريه إذ جمعت	واودعت فيه عن أمر ودائعه
غرس سقاه رسول الله من يده	وطاب من طيب ذاك الأصل فارعه[3]

نعم ما رضع الحسين عليه السلام عند ولادته من ثدي انثىٰ أربعين يوماً وليلة، كما ذكر ذلك ابن شهر آشوب في المناقب، قال: إعتلت فاطمة عليها السلام لما ولدت الحسين وجف لبنها، فطلب رسول الله ﷺ مرضعة فلم يجد، فكان يأتيه فيلقمه إبهامه يمصها ويجعل الله في إبهام رسوله رزقاً يغذيه[4]، ففعل ذلك اربعون يوماً وليلة، فأنبت الله لحمه من لحم رسول الله ﷺ[5].

ولما كان اليوم السابع سماه حسيناً[6] وعق عنه كبشاً، وأمر أمه أن تحلق

---

(١) أُصول الكافي: ١: ٤/٣٨٦.

(٢) المصدر السابق: ذيل الحديث.

(٣) الأبيات.

(٤) في المصدر زيادة:

ويقال: بل كان رسول الله ﷺ يدخل لسانه في فيه، فيغره كما يغر الطير فرخه، فيجعل الله له في ذلك رزقاً.

(٥) مناقب آل أبي طالب: ٤/٥٧.

(٦) ذكر علي بن عيسى الأربلي عن عمران بن سليمان، قال: «إنّ الحسن والحسين [إسمان] ←

رأسه وتتصدق عنه بوزن شعره فضة كما فعلت لأخيه الحسن عليه السلام، فامتثلت ما أمرها به النبي صلى الله عليه وآله وسلم[١].

وبقي مع جدّه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ثماني سنين، ومع أبيه أمير المؤمنين عليه السلام ثماني وثلاثين سنة، وبعد أخيه الحسن عليه السلام عشر سنين[٢].

وكان حبيباً لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، قال ابن عباس: «كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يحبه ويحمله على كتفه ويقبل شفتيه وثناياه»[٣].

وذكر في كتاب كشف الغمة «لعلي بن عيسى الأربلي»، «وابن عساكر» في التأريخ الكبير، عن أُمّ الفضل لبابة الكبرى بنت الحارث[٤] ـ زوجة العباس بن

من أسماء أهل الجنة، لم يكونا في الجاهلية».

أقول: لم نعثر عليه في مصنف علي بن عيسى الأربلي (كشف الغمة)، وذكره ابن عساكر في تأريخه في ترجمة الإمام الحسن عليه السلام: ١٧، وذكره أيضاً ابن سعد في ترجمة الإمام الحسن عليه السلام، تحقيق العلامة المحقق الكحبير عبدالعزيز الطباطبائي رحمه الله من القسم غير المطبوع من كتاب الطبقات الكبير والذي نُشر في مجلة تراثنا (ع ١١ ـ سنة ١٤٠٨ هـ) ـ ص ١٢٨، وفيه أيضاً عن عمران بن سليمان.

(١) الفصول المهمة لابن الصباغ: ١٧٠.

(٢)

(٣)

(٤) لبابة بنت الحارث بن حزن: الهلالية، الشهيرة بأُمّ الفضل، زوجة العباس بن عبدالمطلب، أنجبت له سبعة، منهم: الفضل وعبدالله وعبيدالله وغيرهم، ويُقال: أنّها أوّل امرأة أسلمت بعد مولاتنا خديجة الكبرى عليها السلام «على قول ابن سعد»، وكانت امرأة جليلة ولها موقف المؤرخون: وهو ضربتها «لأبي لهب» بعمود الحجرة وشجٍّ رأسه، ومات بعدها وعلى إثر تلك الضربة بسبعة أيام، وذلك رداً عليه حين رأته يضرب «أبا رافع» مولى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في حجرة زمزم بعد وقعة «بدر»، وكان رسول الله يكرمها ويزورها ويقيل في بيتها وروت عنه احاديث، انظر ترجمتها في: الإصابة: ٣٩٨/٤ ـ (رقم: ٩٤٢) و٤٨٣/٤ ـ (رقم:

عبدالمطلب ـ قالت: رأيت فيما يرى النائم كأن عضواً من أعضاء رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم سقط في حجري فلمّا انتبهت أتيت إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم وقلت له: يا رسول الله رأيت في منامي كذا وكذا؛ فقال صلى الله عليه وآله وسلم: «خيراً رأيت يا أُم الفضل، ستلد ابنتي فاطمة ولداً فترضعيه بلبن إبنك قُثَم» قالت: فولدت فاطمة الحسين فكفلته. قالت: وتركته يوماً عند جده النبي صلى الله عليه وآله وسلم ومضيت لآتيه بماء، فلمّا رجعت وجدت النبي صلى الله عليه وآله وسلم يبكي فقلت له: بأبي أنت وأُمي ممَّ بكاؤك؟ قال: «يا أُم الفضل هذا جبرائيل يخبرني أن ولدي هذا يقتل، وتقتله أُمتي، لا أنالهم الله شفاعتي يوم القيامة»[1].

ولمّا أتت على الحسين عليه السلام سنة كاملة هبط على النبي صلى الله عليه وآله وسلم إثنا عشر ملك، محمرة وجوههم، باكية عيونهم، قد نشروا أجنحتهم وهم يقولون: «يا محمّد إنّه سينزل بولدك الحسين بن فاطمة ما نزل بهابيل من قابيل، وسيعطىٰ مثل أجر هابيل، ويحمل على قاتله مثل وزر قابيل»، ولم يبق في السماوات ملك إلّا ونزل على النبي صلى الله عليه وآله وسلم ويعرض عليه تربته، والنبي صلى الله عليه وآله وسلم يقول: «اللهم اخذل من خذله، واقتل من قتله، ولا تُمتّعهُ بما طلبه»[2].

ولمّا أتى على الحسين عليه السلام من مولده سنتان خرج النبي صلى الله عليه وآله وسلم في سفر له، فوقف في بعض الطريق ثم استرجع ودمعت عيناه، فسُأل عن ذلك، فقال صلى الله عليه وآله وسلم: «هذا جبرائيل يخبرني عن أرض بشط الفرات يقال لها كربلاء، يقتل فيها ولدي الحسين بن فاطمة»؛ فقيل له: يا رسول الله ومن يقتله: قال صلى الله عليه وآله وسلم: «رجل يقال له

١٤٤٨)، والإستيعاب «بهامش الإصابة»: ٣٩٨/٤ و٤٨٢/٤، وسيرة ابن هشام (طبعة الحلبي): ٣٠٢/٢ و٥٨/٣، والروض الآنف: ٧٨/٢، والاعلام للزركلي: ٢٣٩/٥.

(١) تأريخ ابن عساكر: ١١٤/١٤ و١٩٦ و١٩٧ وكشف الغمة: ٧/٢، والملهوف للسيد ابن طاوس رحمه الله: ٩١.

(٢) مقتل الحسين عليه السلام للخوارزمي: ١٦٣/١، والملهوف للسيد ابن طاوس رحمه الله: ٩٢.

يزيد [لا بارك الله في نفسه][١]، وكأني انظر إلى مصرعه ومدفنه»[٢].

ولمّا رجع من سفره صعد صلى الله عليه وآله على المنبر مهموماً مغموماً، فخطب الناس ووعظهم وكان الحسن والحسين عليهما السلام بين يديه، فلمّا فرغ من خطبته وضع يده اليمنىٰ على رأس الحسن واليسرىٰ على رأس الحسين عليهما السلام، ثم رفع رأسه إلى السماء وقال: «اللّٰهمّ إنّ محمّداً عبدك ورسولك ونبيك، وهذان أطائب عترتي، وخيار ذريتي، وأرومتي ومن أُخلفهما في أُمتي، وقد أخبرني جبرائيل أنّ ولدي هذا مخذول مقتول، اللّٰهمّ فبارك له في قتله، واجعله من سادات الشهداء، اللّٰهمّ ولا تبارك في قاتليه وخاذليه».

قال الراوي: فضج الناس بالبكاء، فقال صلى الله عليه وآله: أتبكونه ولا تنصرونه؟! ثم رجع وهو متغير اللون، محمر الوجه، فخطب خطبة أُخرى موجزة وعيناه تهملان دموعاً، ثم قال:

«أيها الناس إني مخلف فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي، فإنهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض، وإني لا أسألكم في ذلك إلّا ما أمرني ربي أن أسألكم، المودة في القربىٰ، فانظروا أن لا تلقوني غداً على الحوض وقد أبغضتم عترتي وظلمتموهم»[٣].

---

(١) زيادة أوردناها من المصدر.

(٢) في المصدر زيادة بعد (ومدفنه): بها وقد أُهدي رأسه، والله ما ينظر أحد إلى رأس ولدي الحسين فيفرح إلّا خالف الله بين قلبه ولسانه». (يعني): ليس في قلبه ما يكون بلسانه من الشهادة...

(٣) انظر مقتل الحسين عليه السلام للخوارزمي: ١/١٦٤، وللخبر بقية في المصدر. وذكره السيد ابن طاوس في الملهوف: ٧، وابن نما في مثير الأحزان: ١٧، وعنه في البحار: ٤٤/٢٦٤ ـ الحديث (٤٦).

وكان ﷺ لا زال يوصي بعترته إذ أنَّه يعلم ما يصيبهم من شرار أُمته من بعده من قتل الرجال، وسبي العيال من بلد إلى بلد، وليته يرى ولده الحسين يوم عاشوراء وقد مثلوا به أهل الكوفة بكل مُثلة، قطع الشمر رأسه، وبجدل إصبعه، والجمال يديه، وأخذ ابن سعد درعه، وسلبه أبحر بن كعب ثوبه، وتركوه مجدلاً عفيراً، كما قال السيد ؒ:

عفيراً متى عاينته الكماة ... يختطف الرعب ألوانها
تريب المحيا تظن السما ... بأن على الأرض كيوانها[1]

وقال آخر:

عاري اللباس قطيع الرأس منخمد ... الأنفاس في جندل كالجمر مضطرم[2]

---

(١) انظر أسرار الشهادات للفاضل الدربندي: ٣/١٢٤.

(٢) وزينب عليها السلام كأني بلسان حالها:

(نصاري)

يبو روح العزيزه شلون ساجم ... ابهالشمسه او على التربان نايم
ثلث تيّام عنّ الماي صايم ... عاري امگطّع امخضّب امعفّر

(دكسن)

يخويه ابيش اضمّك وين أودّيك ... يخويه اشلون اصد عنّك وخلّيك
تراني تحيَّرت يا مهجتي بيك ... يخويه ابيش اضلّلك عن الحر

ولسان حال الحسين لشيعته:

(بحراني)

شيعتي كثر البچه حگّي عليكم والنّحيب ... شفتوامثلي بالخلگ مذبوح عطشان او غريب
والچفن سافي ياشيعه او بالدمه شيبي خضيب ... والحراير نصب عيني من خدرها امشتّته

(تخميس)

فإن يُمس فوق الترب عريان لم تقم ... له مأتماً تبكيه فيه محارمه
فأيُّ حشىً لم يُمس قبراً لجسمهِ ... وفي أيِّ قلب ما أقيمَتْ مأتمه

المطلب الثاني

في كرم الحسين عليه السلام

قال محمّد بن أبي طلحة الشافعي في «مطالب السؤول في مناقب آل الرسول» ـ في الفصل السابع ـ في كرم الحسين عليه السلام وجوده:

قد اشتهر النقل عنه عليه السلام بأنه يكرم الضيف، ويمنح الطالب، ويصل الرحم، وينيل الفقير، ويسعف السائل، ويكسو العاري، ويشبع الجائع، ويعطي الغارم، ويشد من الضعيف، ويشفق على اليتيم، ويعين ذا الحاجة، وقل أن وصله مال إلا فرقه[1].

وكان عليه السلام يقول: «شر خصال الملوك الجبن عن الأعداء، والقسوة على الضعفاء، والبخل عن الإعطاء»[2].

ذكر صاحب «عقد اللآل في مناقب الآل»: أنّ الحسين عليه السلام كان جالساً في مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بعد وفاة أخيه الحسن عليه السلام وكان عبدالله بن الزبير جالساً في ناحية المجلس، وعتبة بن أبي سفيان[3] أخرى، فجاء أعرابي على ناقة فعقلها

---

(١) مطالب السؤول في مناقب آل الرسول: ٢/٢٨.

(٢) مناقب ابن شهر آشوب: ٤/٦٥.

(٣) عتبة بن أبي سفيان: أخو معاوية لأمه وأبيه، ولد على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، يكنى: أبا

بباب المسجد ودخل، فوقف على عتبة بن أبي سفيان فسلّم عليه فردّ عليه السلام، فقال له الأعرابي: إني قتلت ابن عم لي، وطولبت بالدية، فهل لك أن تعطيني شيئاً؟ فرفع رأسه إلى غلامه وقال: ادفع إليه مائة درهم، فقال الأعرابي: ما أُريد إلّا الدية تماماً؛ ثم تركه وأتى عبدالله بن الزبير، وقال له مثل ما قال لعتبة، فقال عبدالله لغلامه: ادفع مائتي درهم، فقال الأعرابي: ما أُريد إلّا الدية تماماً؛ ثم تركه وأتى الحسين عليه السلام فسلّم عليه، وقال: يابن رسول الله إني قتلت ابن عم لي وقد طولبت بالدية، فهل لك أن تعطيني شيئاً؟ فقال: يا أعرابي نحن قوم لا نعطي المعروف إلّا قدر المعرفة، فقال: سل ما تريد؟ فقال له الحسين: يا أعرابي ما

الوليد، أُمه: هند بنت عتبة بن ربيعة بن عبد شمس، وكانت تذكر في مكة بفجور وعُهر ومن ذوات الرايات، وقالوا: إنّ عتبة كان يُعزىٰ الى الصّباح ـ مُغنٍّ كان لِعُمارة بن الوليد، وكان أيضاً أجيراً لأبي سفيان، وكان شاباً وسيماً، فدعته هند إلى نفسها فغشيها؛ وقالوا أيضاً: إنَّ هند كرهت تضعه في بيتها، فخرجت إلى أجياد فوضعته هناك، وفي هذا المعنى يقول حسان بن ثابت أيام المهاجاة بين المسلمين والمشركين في حياة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم قبل عام الفتح:

لِمَنِ الصَّبِيِّ بِجانِبِ البَطْحا في التُرْبِ مُلْقىً غَيْرَ ذي مَهْدِ
نَجَلَتْ بِه بَيْضَاءُ آنِسَةٌ مِنْ عَبْد شَمْس صَلْتَةُ الخدِّ

وفي زمن خلافة عمر بن الخطاب ولاه عمر مدينة الطائف، وشهد يوم الدار مع عثمان، وشهد يوم الجمل مع عائشة وفقئت عينه، وفي زمن خلافة معاوية حج بالناس سنتين (٤١ ـ ٤٢ هـ)، ثم ولاه معاوية زمناً على المدينة والطائف والموسم، وأخيراً ولاه مصر بعد هلاك عمرو بن العاص، فهلك هو الآخر فيها ودفن فيها، وكان هلاكه سنة أربع وأربعين، وقدمه إلى مصر وتوليه أمرها كان سنة ثلاث وأربعين للهجرة.

انظر: الإستيعاب (بهامش الإصابة): ١٢١/٣، رغبة الآمل من كتاب الكامل: ٣٣/٤ و١٥٩/٨ ـ ٢٧١، والنجوم الزاهرة: ١٢٢/١، والأعلام للزركلي: ٢٠٠/٤، وشرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ٣٣٦/١، وديوان حسان بن ثابت: ١٥٧.

النجاة من الهلكة؟ قال: التوكل على الله عزوجل، فقال: وما الهمة؟ قال: الثقة بالله، ثم سأله الحسين غير ذلك فأجابه الأعرابي، فأمر له الحسين بعشرة آلاف درهم، وقال له: هذه لقضاء ديونك وعشرة آلاف درهم أُخرى، وقال: هذه تلمَّ بها شعثك وتحسن بها حالك وتنفق منها على عيالك، فأنشأ الأعرابي يقول:

طربت وما هاج لي معبق — ولا لي مقام ولا معشق
ولكن طربت لآل الرسول — فلذّ لي الشعر والمنطق
هم الأكرمون هم الأنجبون — نجوم السماء بهم تشرق
سبقت الأنام إلى المكرمات — وأنت الجواد فلا تلحق
أبوك الّذي ساد بالمكرمات — فقصر عن سبقه السبق
به فتح الله باب الرشاد — وباب الفساد بكم يغلق[١]

وعن أنس، قال: كنت عند الحسين عليه السلام فدخلت عليه جارية بيدها طاقة ريحان فحيته بها، فقال لها: أنت حرة لوجه الله تعالى، فقلت له: جارية تجيئك بطاقة ريحان فتعتقها؟ فقال: كذا أدبنا الله فقال تبارك وتعالى: ﴿وَإِذَا حُيِّيتُمْ بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا﴾[٢] وكان أحسن منها عتقها[٣].

وجنى بعض مواليه جناية توجب التأديب فأمر بتأديبه، فقال: يا مولاي قال الله تعالى: ﴿وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ﴾[٤] قال عليه السلام: خلوا عنه فقد كظمت غيظي، فقال: ﴿وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ﴾[٥] فقال عليه السلام: قد عفوت عنك، قال: ﴿وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾[٦]

(١) عن مقتل الحسين للخوارزمي: ١/١٥٥ (باختلاف يسير).
(٢) سورة النساء ٤: ٨٦.
(٣) كشف الغمة: ٢/٣١.
(٤ ـ ٦) سورة آل عمران ٣: ١٣٤.

قال: أنت حرّ لوجه الله تعالى، وأجازه بجائزة سنية[١].

وذكر «ابن عساكر» في تأريخه، قال: إنّ سائلاً خرج يتخطى أزقة المدينة حتى أتى باب الحسين عليه السلام فقرع الباب وأنشأ يقول:

لم يخب اليوم من رجاك ومن ... حرّك من خلف بابك الحلقه
أنت ذو الجود أنت معدنه ... أبوك قد كان قاتل الفسقه

وكان الحسين واقفاً يصلي، فخفف من صلاته، وخرج إلى الأعرابي فرأى عليه أثر ضرٍّ وفاقة، فرجع ونادى بقنبر فأجابه: لبيك يابن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، قال: ما تبقى معك من نفقتنا؟ قال: مائتا درهم أمرتني بتفريقها على أهل بيتك؛ فقال عليه السلام: هاتها فقد أتى من هو أحق بها، فأخذها وخرج يدفعها إلى الأعرابي وأنشأ عليه السلام يقول:

خذها فإني إليك معتذر ... واعلم بأني عليك ذو شفقه
لو كان في سيرنا الغداة عصى ... كانت سمانا عليك مندفقه
لكن ريب الزمان ذو غير ... والكف مني قليلة النفقه

ومن شعره المنسوب له عليه السلام:

إذا جادت الدنيا عليك فجد بها ... على الناس طراً قبل أن تتفلت
فلا الجود يفنيها إذا هي أقبلت ... ولا البخل يبقيها إذا هي ولت[٢]

وجاء أعرابي إليه يوماً فقال له: يابن رسول الله قد ضمنت دية كاملة وعجزت عن أدائها، فقلت في نفسي أسأل أكرم الناس وأنا ما رأيت أكرم من أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أحد؛ فقال الحسين عليه السلام: يا أخا العرب أسألك عن ثلاث

(١) كشف الغمة: ٢/٣١.

(٢) تاريخ ابن عساكر: ١٤/١٨٥.

مسائل فإن أجبت عن واحدة أعطيتك ثلث المال، وإن أجبت عن اثنين أعطيتك ثلثي المال، وإن أجبت عن الكل أعطيتك المال كلّة؛ فقال الأعرابي: يابن رسول الله أمثلك يسأل مثلي وأنت ابن سول الله صلى الله عليه وآله وسلم !! فقال الحسين عليه السلام: بلى سمعت جدي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: «المعروف بقدر المعرفة» فقال الأعرابي: سل عمّا بدا لك، فإن أجبت وإلّا تعلّمت منك ولا قوة إلّا بالله، فقال الحسين عليه السلام: أي الأعمال أفضل؟ فقال الأعرابي: الإيمان بالله، فقال الحسين عليه السلام: فما النجاة من الهلكة؟ فقال الأعرابي: الثقة بالله، فقال الحسين عليه السلام: فما يزين الرجل؟ فقال الأعرابي: علم معه حلم، فقال عليه السلام: فإن أخطأ ذلك؟ قال: مال معه مروءة، فقال عليه السلام: فإن أخطأ ذلك؟ فقال: فقر معه صبر، فقال الحسين عليه السلام: فإن أخطأ ذلك؟ فقال الأعرابي: فصاعقة تنزل من السماء وتحرقه فإنّه أهل لذلك؛ فضحك الحسين عليه السلام ورمى إليه بصرة فيها ألف دينار؛ قيل: وأعطاه خاتمه وقيمته مائة درهم، وقال له: أعط الذهب إلى غرمائك واصرف هذا الخاتم في نفقتك، فأخذ الأعرابي ذلك كله، وقال: الله يعلم حيث يجعل رسالته[1].

وكان للحسين عليه السلام ثلاث خواتم، الخاتم الأول: الّذي أعطاه لهذا الأعرابي كما سمعت، والخاتم الثاني: الّذي أعطاه لولده علي الأكبر يوم عاشوراء وقد رجع إليه من الحرب وهو يقول: أبه العطش قد قتلني، وثقل الحديد قد أجهدني، فهل إلى شربة ماء من سبيل أتقوّىٰ بها على الأعداء؟ فقال له الحسين عليه السلام: «يعزٌّ والله على أبيك أن تدعوه فلا يجيبك، بني هات لسانك، فأخذ لسانه فمصه ودفع إليه خاتمه الشريف، وقال له: بني امسكه في فيك وارجع إلى قتال عدوك»[2] فرجع

---

(١) مقتل الحسين للخوارزمي: ١/١٥٧.

(٢) أسرار الشهادات للفاضل الدربندي: ٢/٦٤١.

علي الأكبر إلى الحرب... الخ. وأمّا الخاتم الثالث: فقد أخذه بجدل بن سليم الكلبي[١] وأقسم بالله لو أن بجدل طلب من الحسين عليه السلام هذا الخاتم لجاد به عليه كما جاد على ذلك الأعرابي، ولكن أبى اللعين إلّا فعل الأراذل، طلب قطعة سيف وحز به خنصر الحسين عليه السلام وقد جمد عليه الدم واستخرج الخاتم.

لهفي على تلك الأنامل قـطّعت ... ولو أنّها اتصلت لكانت أبحرا[٢]

---

(١) أسرار الشهادات للفاضل الدربندي: ٣/١٢٤.

(٢) (بحراني)

فعل بجدل يا خلق ما صار مثله او لا جرى ... هيّج احزاني عليّه ويفت گلبي امن اذكـره

مـا كـفاه اتـقطع اوصـاله ولا حـزّ الوريـد ... اولاترضض جثّته ابخيل العدى فوگ الصعيد

او عاين الخاتم يلوح بخنصر احسين الشهيد ... جامده عـليه الدمـا واحـنا يـحز ابـخنجره

وعلى التكه ويح گلبي گطع جماله الكـفوف ... عاينه موزع على التربان من ضرب السيوف

او عاين التكه ولزمها او لا دخل قلبه الخوف ... ما درى حسين آية الله واهـو جـثّه امـطبّره

مد ابو سكنه يمينه او گطعها او مـد الشـمال ... اورد براها ولكوان تـزلزلت والعـرش مـال

او نزل خير الرسل طه والوصي فخر الرجال ... والحسـن والزاكـيه أُمّـه والشـعور امـنشّره

(نصاري)

من عادت البلمعركه يطيح ... لو بي سلامه لخوته ايصيح

او لو مات ما يبگه طـريح ... يشيلوه ويسوون له اظريح

مشفنه اليگع بين المجاريح ... وامسبّح ابدم راسه تسـبيح

يبگه ابمچانه مـحّد ايـزيح ... عنّه العدى او يمسى ذبـيح

(تخميس)

فادحٌ شبَّ في الحشىٰ بأوارِ ... ومصابٌ قدْ حَطَّ كُلَّ مـنارِ

يوم نادىٰ العلاءُ والدمعُ جار

قوضي يا خيام عـليا نـزار ... فلقد قَوَّضَ العـمادُ الرفـيعُ

المطلب الثالث

في حب النبي صلى الله عليه وآله وسلم للحسين عليه السلام

روى ابن ماجة في «السنن» وابن عساكر في «التأريخ»، وأبوالحسن علي بن عيسى الأربلي في «كشف الغمة» عن يعلى بن مرّة العامري(١) أنه قال: خرج رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى طعام دعوا له، فاذا حسين في السكة مع غلمان يلعب، فتقدم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يضاحكه حتى أخذه فوضع إحدى يديه تحت قفاه والأخرى تحت ذقنه وقبّله، وقال: «حسين مني وأنا من حسين، أحب الله من أحب حسيناً، حسين سبط من الأسباط»(٢).

---

(١) يعلى بن مُرَّة بن وهب العامري: ويكنىٰ: أبو المرازم الثقفي، من ثقيف، وهو يعلى بن سيابة وهي أُمه، شهد مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم الحديبية وخيبر والفتح والطائف وحنين، وروى عنه وعن أميرالمؤمنين عليه السلام وعن أبيه مُرَّة، وأولاده عبدالله وعثمان رووا عنه، وكان صحابياً فاضلاً في عداد أهل الكوفة، وقيل: له دار بالبصرة، وله ثلاثة أحاديث صحيحة ذكرها العامة في كتبهم في فضائل سيدالشهداء الإمام الحسين عليه السلام. انظر مصادر الترجمة: طبقات ابن سعد: ٦/٤٠، وتاريخ الدوري: ٢/٦٨٣، وطبقات خليفة: ١٣١/٥٣ و١٨٢، ومسند أحمد: ٤/١٧٠، وتاريخ البخاري الكبير: ٣٥٣٦/٨، تهذيب أهل الكمال: ٣٢: ٧١١٨/٣٩٨، والإستيعاب (بهامش الإصابة): ٦٦٥/٣، والإصابة: ٣: ٩٣٦١/٦٦٩.

(٢) سُنن ابن ماجة: ١: ١٤٤/٥١ ـ باب (١١)، وتاريخ ابن عساكر: ١٤٨/١٤ و١٤٩، وكشف الغمة: ٦/٢.

وذكر صاحب «الإستيعاب» عن أبي هريرة أنه قال: أبصرت عيناي هاتان، وسمعت أُذناي رسول الله ﷺ وهو يقول: «ترق عين بقه»[١]، قال: فرقى الغلام حتى وضع قدميه على صدر رسول الله ﷺ ثم قال له رسول الله ﷺ: افتح فاك ثم قبّله، ثم قال: «اللَّهمَّ أحبه فإنّي أُحبّه»[٢].

وروى صاحب «ينابيع المودة» عن أبي هريرة أيضاً، قال: كان النبي ﷺ يدلع لسانه للحسين فيرى الصبي حمرة لسانه فيهش إليه، فقال عينية بن بدر: أراه يصنع هذا فوالله إنّ لي ولد وما قبّلته قط، فقال ﷺ: «من لا يَرحم لا يُرحم»[٣].

وعن البراء بن عازب[٤] قال: رأيت رسول الله ﷺ حامل الحسين بن علي

---

(١) البقة (البعوضة) كأنّه يقول: اصعد يا صغير الجثة.

(٢) الإستيعاب في معرفة الأصحاب: ١/٣٩٧.

(٣) ينابيع المودة: ٢: ٢٠٤/٥٩٠.

(٤) البرآء بن عازب: صحابي، ولد قبل الهجرة بعشر سنين، وقيل: بإثنتي عشرة سنة، شهد مع رسول الله ﷺ خمس عشرة غزوة أوّلها غزوة «أُحد»، وشهد مع أميرالمؤمنين عليه السلام «الجمل وصفين والنهروان»، وممّن كتم الشهادة لأُميرالمؤمنين عليه السلام بخصوص «حديث الغدير بخم» ـ في محضر أميرالمؤمنين عليه السلام ـ في قول رسول الله ﷺ: «من كنت مولاه فهذا علي مولاه»، فقال أميرالمؤمنين عليه السلام لجمع من صحابة رسول الله ﷺ: هل تشهدون على ذلك؟ فشهد من حضر وكتم شهادته البرآء بن عازب وأنس بن مالك، فدعىٰ عليهم أميرالمؤمنين عليه السلام، فأصاب البرآء عمىٰ، وأصاب أنس البرص. وروى الشيخ المفيد رحمه الله في الإرشاد: أنّ أميرالمؤمنين عليه السلام قال للبرآء بن عازب ذات يوم بالأبواء: «يقتل إبني الحسين وأنت حيٌّ لا تنصره». فلمّا قتل الحسين عليه السلام كان البرآء بن عازب يقول: صدق والله علي بن أبي طالب، قتل الحسين ولم أنصره. ثم يظهر الحسرة على ذلك والندم. مات البرآء في الكوفة سنة إحدى وسبعين أو إثنتين وسبعين. انظر: ترجمة «البرآء بن عازب» في تاريخ من دفن في العراق من الصحابة: ٥٧.

على عاتقه وهو يقول: «اللَّهمَّ إني أُحبّه فأحبّه»[١].

وربما كان صلى الله عليه وآله وسلم يحمل الحسنين على كتفيه تارة وفي حجره أخرى، بل وكان يصعدهما معه على منبره، كما يروىٰ عن بريدة أنّه قال: كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يخطبنا، إذ جاء الحسن والحسين عليهما السلام وعليهما قميصان أحمران يمشيان ويعثران، فنزل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من المنبر فحملهما بين يديه، ثم قال: «صدق الله حيث قال: ﴿إِنَّمَا أَمْوالُكُمْ وأَوْلادُكُمْ فِتْنَةٌ﴾[٢] نظرت إلى هذين الصبيّين يمشيان ويعثران فلم أصبر حتى قطعت حديثي ورفعتهما»[٣].

وكان صلى الله عليه وآله وسلم ينوه على الأشهاد بحبهما، وعن أُسامة بن زيد قال: طرقت النبي صلى الله عليه وآله وسلم ذات ليلة في بعض الحاجة، فخرج النبي صلى الله عليه وآله وسلم وهو مشتمل على شيء لا أدري ما هو، فلمّا فرغت من حاجتي قلت. ما هذا الّذي أنت مشتمل عليه؟ فكشفه فإذا الحسن والحسين على وركيه، فقال: «هذان إبناي وإبنا إبنتي، اللَّهمَّ إنّي أُحبّهما فأحبّهما وأحب من يحبّهما»[٤].

وفي «الإصابة» عن مسند أبي يعلى بسنده: كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يصلي، فإذا سجد وثب الحسن والحسين على ظهره، فاذا أرادوا أن يمنعوهما أشار إليهم أنْ دعوهما، فإذا قضى الصلوة وضعهما في حجره، فقال: «من أحبني فليحب هذين»[٥].

---

(١) ينابيع المودة: ٩/٣٥/٢.

(٢) سورة الأنفال ٢٨/٨.

(٣) تاريخ ابن عساكر: ١٦١/١٤.

(٤) تاريخ ابن عساكر: ١٥٥/٤.

(٥) الإصابة في تمييز الصحابة: ١٢/٢.

وعن أبي هريرة[١] أيضاً قال: خرج علينا رسول الله ﷺ ومعه الحسن والحسين هذا على عاتقه وهذا على عاتقه، وهو يلثم هذا مرة وهذا مرة حتى انتهى إلينا، فقال: «من أحبهما فقد أحبني ومن أبغضهما فقد أبغضني»[٢].

وقال ﷺ: «من أحب الحسن والحسين أحببته، ومن أحببته أحبه الله، ومن أحبه الله أدخله الجنة، ومن أبغضهما أبغضته، ومن أبغضته أبغضه الله، ومن أبغضه الله أدخله النار»[٣].

وعن زيد بن أرقم[٤]: أنّ النبي ﷺ قال لعلي وفاطمة والحسن والحسين:

---

(١) أبو هريرة الدوسي: من صحابة رسول الله ﷺ، وحاله معروف في صناعة الأخبار والأحاديث الملفقة ونسبتها إلى الرسول الأعظم ﷺ، وذلك لمصالحه الشخصية وإرضاءاً لبني أُمية (عليهم جميعاً لعنة الله).
انظر: تدوين السنة الشريفة: ٢٩٧، ٤٨٦.

(٢) نفس المصدر السابق.

(٣) تاريخ ابن عساكر: ١٤/١٥٦ وزاد فيه: وله عذاب مقيم.

(٤) زيد بن أرقم: الأنصاري، الصحابي الجليل، ولد قبل الهجرة على ما يبدو، فقد شهد «معركة أُحد» واستصغر، وشهد مع رسول الله ﷺ سبع عشرة غزوة، ويقال: أوّل مشاهده «غزوة بني المصطلق» أو «المريسيع» وهي قرية من ناحية «قديد» بأطرف مكة، وشهد مع أميرالمؤمنين عليه السلام صفين، وقال الكشّي: من السابقين الذين رجعوا إلى أميرالمؤمنين، وله مواقف عديدة تُظهر حسنه ومنزلته العالية، منها: موقفه في سقيفة بني ساعدة على ما ذكره مفصلاً في «زهر العيون وجلاء القلوب»، وما ذكره أبوالفرج في «الأغاني» من ردِّهِ على المغيرة بن شعبة واعتراضه على سبّه لأميرالمؤمنين عليه السلام، وذكر ابن مزاحم المنقري في «وقعة صفين»: أنّه دخل على معاوية فإذا عمرو بن العاص جالس معه على السرير فلمّا رأى ذلك جاء حتى رمى بنفسه بينهما، فقال له عمرو بن العاص: أما وجدت لك مجلساً إلّا أن تقطع بين وبين أميرالمؤمنين؟ فقال زيد: إن رسول الله ﷺ غزا غزوة وأنتما معه، فرآكما مجتمعين، فنظر إليكما. فقال ﷺ في اليوم الثالث: «إذا رأيتم معاوية وعمرو بن
⇐

«أنا سلم لمن سالمتم، وحرب لمن حاربتم»[١].

وممّا جاء في فضلهما ما روي عن الصادق عليه السلام: أنّه اصطرع الحسن والحسين بين يدي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فقال رسول الله: «إيها حسن خذ حسيناً، فقالت فاطمة: يا رسول الله أتستنهض الكبير على الصغير؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: هذا جبرائيل يقول إيها حسين خذ حسناً»[٢].

وعن صحيح الترمذي بسنده، قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة»[٣].

وعن عبدالله بن شدّاد، عن أبيه، أنّه قال: خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في

العاص مجتمعين ففرقوا بينهما، فإنهما لن يجتمعا على خير».
وذكر المنقري أيضاً: أن زيد بن أرقم قال: قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «ألا أدلكم على ما إن تسالمتم عليه لم تهلكوا؟ إنَّ وليّكم وإمامكم علي بن أبي طالب، فناصحوه وصدِّقوه، فإن جبرائيل أخبرني بذلك». هذا وقد روى زيد بن أرقم الكثيرة من الأحاديث، ومنها: «حديث الثقلين».
وكان قد سكن الكوفة وابتنى له بها داراً في كندة، وقد ردَّ على ابن زياد حين نكث ثغر الحسين عليه السلام بقضيبه وشهادته بأنَّه رأى شفتي رسوله الله صلى الله عليه وآله وسلم عليهما. وتوفي زيد بن أرقم بالكوفة ودفن فيها، ولا يعرف له قبر اليوم في الكوفة فقد عُفي أثره، وكانت وفاته سنة ثمان وستين، وقيل: ست وستين، وقيل: بعد مقتل سيد الشهداء عليه السلام، رضي الله عنه وأرضاه فقد كان يُعدّ في خواص أميرالمؤمنين عليه السلام وكان محباً لأهل البيت عليهم السلام.
مصادر الترجمة: شذرات الذهب للحنبلي: ١/٧٤، الطبقات الكبير لابن سعد: ٦/١٨، النجوم الزاهرة: ١/١٨١، الأغاني: ٦/٢، وقعة صفين: ٢١٨، تاريخ الإسلام للذهبي: ٣/١٨، سير أعلام النبلاء: ٣/١١٢، رجال الكشّي: ٣٨/٧٨، تاريخ من دفن في العراق من الصحابة: ١٨١.

(١) تاريخ ابن عساكر: ١٤/١٥٧ و١٥٨ ـ رواه بأربعة طرق ـ.
(٢) كشف الغمة: ٢/٧، وذكره في أُسد الغابة: ١/٤٩٧.
(٣) الجامع الصحيح للترمذي: ٥: ٦٥٦/ح٣٧٦٨ ـ باب ٣١.

إحدى صلاتي العشاء وهو حامل حسناً أو حسيناً، فتقدم النبي ﷺ فوضعه ثم كبّر للصلاة، فأطال سجدة الصلاة، فرفعت رأسي فإذا الصبي على ظهر رسول الله ﷺ وهو ساجد، فرجعت إلى سجودي فلمّا قضى الصلاة قيل له: يا رسول الله ﷺ إنّك سجدت بين ظهري صلاتك سجدة أطلتها، حتى ظننا أنّه قد حدث أمر وأنّه يوحى إليك، قال: «كل ذلك لم يكن ولكن إبني إرتحلني فكرهت أن أعجله حتى ينزل هو»[١].

نعم هكذا كان حبه لولده الحسين وريحانته، قالت أُمّ سلمة: دخل النبي ﷺ ذات يوم في حجرتي ونام، فأقبل الحسين وجلس على صدر جده رسول الله ﷺ، فأتيت إليه وأردت أن أرفعه عن صدر جده لئلا ينتبه النبي ﷺ، ففتح النبي عينه وقال: «لا يا أُم سلمه، دعي ولدي على كبدي»[٢].

وروى ابن الصباغ في «الفصول المهمة» عن زيد بن أبي زياد، قال: خرج رسول الله ﷺ من بيت عائشة، فمر على بيت فاطمة فسمع ﷺ حسيناً يبكي، فقال: «ألم تعلمي أن بكائه يؤذينى»[٣].

كان يؤذيه بكائه وهو في المهد رضيع

بابنه قدما فداه وهو ذوالشأن رفيع

ليته اليوم يراه وهو في الرمضى صريع[٤]

---

(١) تاريخ ابن عساكر: ١٤/١٦٠، وآخره: حتى يقضي حاجته.

(٢) تايخ ابن عساكر: ١٤/١٦٠، وآخره: حتى يقضي حاجته.

(٣) الفصول المهمة لابن الصباغ: ١٧١؛ وذكره ابن شهر آشوب في المناقب: ٤/٧١، عن كتاب فضائل العشرة لأبو السعادات، قال يزيد بن أبي زياد:... (وساق الحديث).

(٤) نعم نظرت إليه الحوراء زينب عليها السلام وهو على أرض كربلا فخاطبت جدها ﷺ وا محمّداه

ح

⬅ صلّى عليك مليكُ السما هذا حسينك بالعرا مقطّع الأعضاء ولسان حالها:

(نصاري)

يجدّي مات محّد وگف دونه ولا نغّار غمّضله اعيونه
وحيد ايعالج ومنخطف لونه ولا واحد ابحلگه ماي گطّر

(دكسن)

يجدّي مات محّد مدّد ايديه ولا واحد يجدّي عدل رجليه
يعالج بالشمس محّد گرب ليه يحطله اظلال يا جدّي من الحر

(عاشوري)

يجدّي الرّمح بفّاده تشنّه يجدّي أو بالوجه للسيف رنّه
يجدّي او شيبه ابدمّه تحنّه يجدّي او بالرمل خدّه تعفّر

* * *

أحسين هل وافاكَ جدّك زائراً ورآك مقطوع الوتين معفّرا

المطلب الرابع

في بكاء الأنبياء على الحسين عليه السلام

روى المجلسي عن كتاب الدُرّ الثمين، قال: في تفسير قوله تعالى: ﴿فَتَلَقَّىٰ آدمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ﴾[1] يروى أنّ آدم عليه السلام رأى على ساق العرش اسم النبي صلى الله عليه وآله وسلم والأئمة عليهم السلام، فلقنه جبرائيل بها، وقال له: قل يا حميد بحقّ محمّد، يا عالي بحقّ علي، يا فاطر بحقّ فاطمة، يا محسن بحقّ الحسن والحسين، [ومنك الإحسان][2]. فلمّا ذكر الحسين سالت دموعه وانخشع قلبه، فقال: أخي جبرئيل مالي إذا ذكرت الخامس ينكسر قلبي وتسيل عبرتي؟ فقال جبرائيل: ولدك هذا يصاب بمصيبة تصغر عندها المصائب، قال: يقتل عطشاناً غريباً وحيداً، ولو تراه يا آدم وهو ينادي وا عطشاه حتى يحول العطش بينه وبين السماء كالدخان، فبكى آدم[3].

وروى أنّ زكريا سأل ربه أن يعلمه أسماء الخمسة، فهبط جبرائيل فعلّمه إياها، فكان زكريا عليه السلام إذا ذكر اسم الحسين عليه السلام خنقته العبرة، فقال ذات يوم إلهي

---

(١) سورة البقرة ٢: ٣٧.

(٢) أثبتناه من المصدر.

(٣) بحار الأنوار: ٤٤: ٢٤٥/٤٤ ـ باب (٣٠).

ما بالي إذا ذكرت أربعة منهم تسلّيت بأسمائهم من همومي، وإذا ذكرت الحسين عليه السلام تدمع عيني ؟! فأنبأه الله تعالى عن قصته، وقال: ﴿كهيعص﴾[١] فالكاف: اسم كربلاء، والهاء: هلاك العترة الطاهرة، والياء: يزيد، وهو ظالم للحسين عليه السلام، والعين: عطش الحسين عليه السلام، والصاد: صبره، فلمّا سمع زكريا علا بكاؤه وزاد[٢].

ويروى أنّ رجلاً من بني إسرائيل سأل موسى بن عمران أن يسأل ربه ليعفو عنه، فسأل موسى ربه، فقال عزّ من قائل: يا موسى أغفر لكلّ من سألني إلّا لقاتل الحسين عليه السلام، فقال موسى: ومن يقتله؟ قال: تقتله اُمّة جدّه، عطشاناً غريباً، وينهب رحله، وتسبىٰ نسائه، وتقتل أصحابه، وتشهر رؤسهم على أطراف الرماح، يا موسى صغيرهم يميته العطش وكبيرهم جلده منكمش؛ فبكى موسى ولعن قاتل الحسين عليه السلام[٣].

ومن مناجاة موسى عليه السلام قال: يا رب، بم فضّلت اُمّة محمّد على سائر الأُمم؟ فقال الله تعالى: لعشر خصال، فقال موسى: وما تلك الخصال التي يعملونها؟ قال تعالى: الصلاة، والزكاة، والصوم، والحج، والجهاد، والجمعة، والجماعة، والقرآن، والعلم، والعاشوراء، قال موسى: يا ربي وما العاشوراء؟ قال: البكاء والتباكي على سبط محمّد صلى الله عليه وآله وسلم، والمرثية والعزاء على مصيبته، يا موسى ما من عبد من عبيدي في ذلك الزمان بكى أو تباكىٰ وتعزىٰ على سبط محمّد صلى الله عليه وآله وسلم إلّا وكانت له الجنة خالداً فيها، ومن أنفق من ماله في محبة ابن بنت نبيه درهماً أو

---

(١) سورة مريم ١٩: ١.

(٢) بحار الأنوار: ٤٤: ١/٢٢٣ ـ باب (٣٠).

(٣) بحار الأنوار: ٣٠٨/٤٤.

ديناراً إلّا وباركت له في دار الدنيا، الدرهم بسبعين، وكان منعّماً في الجنة، وغفرت له ذنوبه، يا موسى وعزتي وجلالي ما من رجل من امتي أو أمة من إمائي جرت من دموع عينيه قطرة واحدة إلّا وكتبت له أجر مائة شهيد[١].

وروي أنّ نوحاً عليه السلام لمّا ركب السفينة طافت به جميع الدنيا، فلمّا مرّ بكربلاء أخذه الموج، وخاف نوح الغرق فدعى ربه، فنزل جبرائيل وقال: يا نوح في هذا الموضع يقتل الحسين عليه السلام سبط محمّد خاتم الأنبياء، فبكى نوح، وقال: يا جبرائيل ومن قاتله؟ قال: لعين أهل السماوات والارض؛ فلعنه نوح وسارت السفينة[٢].

وروي أنّ إبراهيم عليه السلام مرّ بكربلاء وهو راكب على فرسه، فعثرت به الفرس فسقط إلى الأرض وشجّ رأسه وسال دمه، فأخذ يكثر من الإستغفار وقال: إلهي أي شيء حدث منّي؟ فنزل عليه جبرائيل وقال: يا إبراهيم ما حدث منك ذنب، ولكن هنا يقتل سبط خاتم النبيين، فسال دمك موافقة لدمه، فبكى إبراهيم ثم قال: يا جبرائيل ومن القاتل له؟ قال: لعين أهل السماوات والأرض، فرفع إبراهيم يديه إلى السماء وقال: اللّهمّ العن قاتل الحسين عليه السلام[٣].

وروي أنّ إسماعيل عليه السلام كانت أغنامه ترعى بشط الفرات، فأخبره الراعي إنّها لا تشرب الماء من هذه المشرعة، فسأل إسماعيل ربه عن سبب ذلك، فأوحى الله إليه: سل غنمك فإنّها تجيبك عن سبب ذلك، فقال لها إسماعيل: لم لا تشربين من هذا الماء؟ فأجابته بلسان فصيح: قد بلغنا أنّ ولدك الحسين عليه السلام سبط

---

(١) ذكره الفاضل الدربندي في أسرار الشهادات: ١/٢١٠، قائلاً: ذكر جمع من العلماء حديثاً... (وساق الحديث).

(٢) بحار الأنوار: ٤٤: ٢٤٣/٣٨ ـ باب (٣٠) عنه باختصار.

(٣) بحار الأنوار: ٤٤: ٢٤٣/٣٩ ـ باب (٣٠) عنه باختصار.

محمّد صلى الله عليه وآله يقتل هنا عطشاناً، فنحن لا نشرب من هذه المشرعة؛ فبكى إسماعيل وسألها عن قاتله، قالت: هو لعين أهل السماوات والأرض، فقال إسماعيل: اللّهمّ العن قاتل الحسين عليه السلام[١].

وروي أنّ سليمان عليه السلام كان يجلس على بساطه ويسير به في الهواء، فمرّ ذات يوم بأرض كربلاء، فأدار الريح بساطه ثلاث دورات حتى خاف سليمان السقوط ثم سكنت الريح، فنزل البساط في أرض كربلاء، فقال سليمان للريح: لم سكنتي؟ فقالت: إنّ هنا يقتل الحسين عليه السلام، قال: ومن يكون الحسين؟ قالت: هو سبط محمّد خاتم الأنبياء، فبكى سليمان، ولعن قاتله، فهبت الريح وسار البساط[٢].

وروي أن عيسى عليه السلام كان سائحاً في البراري ومعه الحواريون، فمرّوا بكربلاء، فرأوا أسداً كاسراً قد أخذ الطريق، فتقدم عيسى إلى الأسد وقال له: لم جلست في هذا الطريق ولا تدعنا نمرّ فيه؟ فنطق الأسد بكلام فصيح وقال: إني لا أدعكم تمرّون حتى تلعنوا يزيد بن معاوية قاتل الحسين؟ [فقال عيسى عليه السلام: ومن يكون الحسين؟] قال: هو سبط محمّد النبي الأمي، فبكى عيسى ومن معه، ثم قال: ومن يقتله قال: لعين أهل السماوات والأرض، فلعنه عيسى ولعنه الحواريون، فتنحّى الأسد عن طريقهم فساروا لقصدهم[٣].

فالحسين عليه السلام بكاه آدم وجميع الأنبياء عليهم السلام، وهو إذ ذاك بساق العرش، وأمّا بعد ولادته بكاه جدّه رسول الله صلى الله عليه وآله وأبوه علي وأُمّه فاطمة عليهما السلام، وأمّا بعد قتله

(١) بحار الأنوار: ٤٤: ٢٤٣/٤٠ ـ باب (٣٠).
(٢) بحار الأنوار: ٤٤: ٢٤٤/٤٢ ـ باب (٣٠).
(٣) بحار الأنوار: ٤٤: ٢٤٤/٤٣ ـ باب (٣٠).

فقد بكته الملائكة والشمس والقمر، بل وكلّ العلوية والسفلية وكل ما خلق الله، ما يرىٰ وما لا يرىٰ، فكيف إذاً لا تبكيه عيون المؤمنين إلى يوم القيامة:

على مثل هذا الرزء يستحسن البكا … وتـقلع مـنّا أنـفس مـن سـرورها

وهو القائل: أنا عبرة كل مؤمن ومؤمنة، ويحق للموالي أن يقول:

تبكيك عيني لا لأجل مـثوبة … لكنّما عيني لأجلك باكـيه[1]

---

(١) (ابوذيّه)

نـياب الدهـر عـضّني ولاچـن … على الظل بالشمس لا ظل ولا چن

مـا لجـل الثـواب ابـچيت لچـن … لجل شخصك يبن حـامي الحـميّه

(بحراني)

يـلّي تـناشدني عـليمن تـهمل العـين … كلّ البكا والنوح والحسرى على احسين

حبّه ابگـلبي وتـظهره ابـصبها ادمـوعي … مـجبور فـي حـبّه ولا شـوفه ابـطوعي

يا ليت گبل اضلوعه انـرضّت ضـلوعي … ومن گبل خدّه اتـعفّرت مـنّي الخـدّين

أبكي على مـصابه بكـل صـبح ومسـيّه … وانحبْ واساعد على البكا الزهرة الزكيه

ولا زال تـندب يـا ضـحايا الغـاضريّه … يحسين يبني يـا عـزيزي وگـرّة العـين

❊ ❊ ❊

أفدي الذي رزؤه أبكى السماء دماً … وزعزع الدين والأركان والحـرما

يا من بخيل الأعادي صدره حُطما

أي المحاجرِ لا تبكي عليك دمـا … أبكيتَ والله حتى محجر الحـجر

المطلب الخامس

في بكاء فاطمة عليها السلام على ولدها الحسين عليه السلام

روى فرات بن إبراهيم في تفسيره عن الصادق عليه السلام، أنّه قال: كان الحسين ابن علي عليهما السلام مع أُمّه تحمله فأخذه النبي صلى الله عليه وآله وسلم وقال: لعن الله قاتلك، ولعن الله سالبك، وأهلك الله المتوازرين عليك، وحكم بيني وبين من أعان عليك، فقالت فاطمة: يا أبة أي شيء تقول؟ قال: يا بنتاه ذكرت ما يصيبه بعدي وبعدك من الأذىٰ والظلم والغدر [والبغي][1] وهو يومئذٍ في عصبة كأنّهم نجوم السماء يتهادون إلى القتل وكأني أنظر إلى معسكرهم وإلى موضع قتلهم[2] وتربتهم. قالت: يا أبة وأين هذا الموضع الذي تصف؟ قال: هو موضع يقال له كربلاء وهي [دار] كربٍ وبلاء علينا وعلى الأُمّة، يخرج عليهم شرار أُمّتي وإنّ أحدهما لو يشفع فيه السماوات والأرض ما شفعوا له، وليأتيه قوم من محبينا ليس في الأرض أعلم بالله ولا أقوم بحقنا منهم، اولئك مصابيح الدجى وهم الشفعاء يوم القيامة، واردون حوضي غداً، أعرفهم إذا وردوا عليَّ بسيماهم، فبكت فاطمة عليها السلام، فقال لها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: يا بنتاه إنّ أفضل أهل الجنة هم الشهداء الذين بذوا أنفسهم

---

(١) أثبتناه من المصدر.

(٢) في المصدر: رحالهم.

في مرضاة الله، فما عند الله خير من الدنيا وما فيها، ومن كتب عليه القتل خرج إلى مضجعه، ومن لم يقتل فسوف يموت، يا فاطمة بنت محمّد أما تحبّين إذا تأمرين غداً بأمرٍ فتطاعي في هذا الخلق؟ أما ترضين أن يكون ولدك من حملة العرش؟ أما ترضين أن يكون أبوك يأتونه فيسألونه الشفاعة؟ أما ترضين أن يكون بعلك من يذود الخلق يوم العطش الأكبر عن الحوض كما يذاد البعير الصادر عن ثناء فيسقي منه أوليائه ويذود عنه أعداءه؟ يا فاطمة بنت محمّد أما ترضين أن يكون بعلك قسيم الجنة والنار؟ يأمر النار فتطيعه، يخرج منها من يشاء ويترك من يشاء، يا فاطمة بنت محمّد أما ترضين أن تنظري إلى الملائكة على أرجاء السماء ينظرون إليك وإلى ما تأمرين به؟ وينظرون إلى بعلك قد حضر الخلائق وهو يخاصمهم عند الله؟ فما ترين الله صانعاً بقاتل الحسين عليه السلام وقاتليك وقاتلي بعلك؟ يا فاطمة بنت محمّد أما ترضين أنّ الملائكة تبكي على ولدك؟ أما ترضين أن يكون من أبَّنَ ولدك زائراً في ضمان الله؟ ويكون من أتاه بمنزلة من حجّ البيت واعتمر؟ ولم يخل من الرحمة طرفة عين، وإذا مات مات شهيداً، وإن بقى لم تزل الحفظة تدعوا له ما بقي، ولم يزل في حفظ الله وأمانه حتى يخرج من الدنيا؟ قالت فاطمة عليها السلام: يا أبة سلَّمت ورضيت بذلك[١].

وفي خبر آخر قالت عليها السلام: يا أبة متى يكون ذلك؟ قال: في زمان خال منّي ومنك ومن بعلك، فاشتدّ بكاؤها، وقالت: يا أبة إذاً فمن يبكي عليه، ومن يلتزم بإقامة العزاء عليه؟ فقال لها: بنية إنّ نساء أُمّتي يبكون على نساء أهل بيتي، ورجالهم يبكون على رجال أهل بيتي، ويجدّدون العزاء جيلاً بعد جيل في كل سنة، فإذا كان يوم القيامة تشفعين أنت للنساء، وأنا أشفع للرجال، وكل من يبكي

---

(١) تفسير فرات الكوفيّ: ١: ١٧١/٢١٩.

منهم على مصاب الحسين أخذناه بيده وأدخلناه الجنة، يا فاطمة كل عين باكية يوم القيامة إلّا عين بكت على مصاب الحسين عليه السلام فإنّها ضاحكة مستبشرة بنعيم الجنة[١].

وروي: أنّ فاطمة عليها السلام لمّا دنت منها الوفاة دعت ابنتها زينب، فشمّتها من نحرها، وقبّلتها في صدرها، وقالت لها: هذه وديعة لي عندك، فإذا رأيت أخاك وحيداً فريداً شمّيه في نحره، وقبّليه في صدره، فإنّ نحره موضع سيف ابن ذي الجوشن، وإنّ صدره موضع حوافر خيول بني أُميّة، قال: فامتثلت الحوراء زينب ذلك، ولمّا كان يوم عاشوراء وبقي الحسين وحيداً فريداً، أراد أن يودّع العيال ويمضي إلى القتال، أقبلت إليه أُمّ المصائب وقالت له: أخي اكشف لي عن صدرك وعن نحرك، فكشف لها الحسين عليه السلام عن صدره، قبّلته في صدره وشمّته في نحره، ثم وجّهت وجهها نحو المدينة صائحة: يا أُمّاه قد استرجعت الوديعة وأخذت الأمانة، فتعجّب الحسين من كلامها فقال لها: أخيّة ومن الأمانة؟ قالت: اعلم يابن أُمّ لمّا دنت الوفاة من أُمّنا فاطمة، قرّبتني إليها وشمّتني في نحري وقبّلتني في صدري، وقالت لي: يا بنيّة هذه وديعة لي عندك، فإذا رأيت أخاك الحسين وحيداً فريداً شمّيه في نحره وقبليّه في صدره. قال الراوي: فلمّا سمع بذكر أُمّه بكى! وسمع مناد ينادي بين السماء والأرض: وا ولداه وا حسيناه.

فالزهراء تبكي على ولدها، بل وتحضر جميع المآتم كما روي: أن فضيل صنع مأتماً للحسين عليه السلام، ولم يخبر به إمامنا الصادق عليه السلام، فلمّا كان اليوم الثاني أقبل إلى الإمام روحي فداه، فقال له: يا فضيل أين كنت البارحة؟ قال: سيدي شغل عاقني، فقال: يا فضيل لا تخفي عليَ، أما صنعت مأتماً وأقمت بدارك عزاء في

---

(١) بحار الأنوار: ٤٤/٢٩٢ ـ الحديث (٣٧).

مصاب جدّي الحسين عليه السلام؟ فقال: بلىٰ سيدي، فقال عليه السلام: وأنا كنت حاضراً، قال: سيدي إذاً ما رأيتك؟! أين كنت جالس؟ فقال عليه السلام: لمّا أردت الخروج من البيت أماعثرت بثوب أبيض؟ قال: بلى سيدي، قال عليه السلام: أنا كنت جالساً هناك، فقال له: سيدي لم جلست بباب البيت ولم ما تصدرت في المجلس؟ فقال الصادق عليه السلام: كانت جدّتي فاطمة عليها السلام بصدر المجلس جالسة، لذا ما تصدّرت إجلالاً لها.

ففاطمة عليها السلام تحضر في كل عزاء يعقد لولدها الحسين عليه السلام، كما حضرت مصرعه فرأته يوم عاشوراء بعد الظهر بساعة.

تريب المحيا تظن السما بأن على الأرض كيوانها[1]

---

(١) (نصاري)

لون حاضره يحسين يمّك وابوك النفل والطيّار عمّك
چا ما راح اضياع دمّك وظلّيت متحيّره بلمّك

(بحراني)

تناديه يبني من گطع راسك والكفوف من كسر اضلوعك يعقلي بضرب السيوف
ومن گطع اوصالك يعيني ابضرب السيوف يا مهجتي مذبوح لا مطلب ولا دين
يحسين گلّي من گطع بالسيف نحرك يا نور عيني من وطا بالخيل صدرك
ومن سلّب ايتامك او يا هو حرگ خدرك ويا هو الذي شتّت بناتي اشمال ويمين

(عاشوري)

مني الوالده يحسين يبني ويمن ريت ذبّاحك ذبحني
أسعدني على ابني يلتحبني مصابك بهض حيلي وكتلني

* * *

فالمعالي بالعَزا قائمةٌ ودموع الأنبيا ساجِمةٌ
وعليهِ حورها لاطمةٌ
ميّتٌ تبكي له فاطمةٌ وأبوها وعليٌّ ذو العُلىٰ

المطلب السادس

في بكاء الأئمّة وشيعتهم على الحسين عليه السلام

قال الله تعالى: ﴿إنَّ عِدَّة الشُّهورِ عِنْدَ اللهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرَاً فِي كِتَابِ اللهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمٰوٰاتِ والأَرضَ مِنهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ذلكَ الدِّينُ القَيِّمُ فَلا تَظْلِمُوا فِيهنَّ أَنْفُسَكُمْ وَقَاتِلُوا المُشْرِكينَ كَافَّة كَمَا يُقاتِلُونَكُم كَافَّة واعلَمُوا أنَّ اللهَ مَعَ المُتَّقِين﴾[1]، وهذه الأشهر الأربعة هي: رجب ـ الذي بين جمادىٰ وشعبان ـ الملقب: بالأصم، وذوالقعدة، وذوالحجة، ومحرم[2].

فهذه الأشهر الأربعة كانت محترمة في الجاهلية، لا يوقعون فيها قتالاً، وإذا تنافسوا فيما بينهم جعلوا عدَّة الأشهر غيرها، بل وحرموا القتال فيها إحتراماً لها، فهذه الأشهر الأربعة هي محترمة سواء كانت في الجاهلية أو في الإسلام، حتى حُكي: أنَّ ضبّة بن أركان كان له ابنان، أحدهما يسمى «سعد» والثاني «سعيد» فخرجا إلى سفرٍ فهلك سعد ورجع سعيد، فخرج والدهما مفتشاً عن إبنه الهالك في الأشهر الحرم ومعه الحارث بن كعب، فبينما هما ذات يوم سائران يتحدثان، إذ مرّا بمكان، فقال الحارث: لقيت بهذا المكان شابّا صفته كذا وكذا فقتلته، وهذا

---

(١) سورة التوبة ٩: ٣٦.

(٢) انظر تفسير الطبري: ١٤/٢٣٤.

سيفه، فقال ضبّة: «الحديث ذو شجون» أي ـ حديثك محزن ـ فذهب قوله مثلاً، ثمّ إنّ ضبّة قتل الحارث فلامه الناس على إستحلال الأشهر الحرم، فقال: «سبق السيف العذل»[١]. فهكذا كانوا يحترمون الأشهر الحرم.

وذكر ابن أبي الحديد: أنّ العرب تسمّي آخر يوم من شوّال فلتة، من حيث إنّ كل من لم يدرك ثأره فيه فاته، لأنّهم كانوا إذا دخلوا في الأشهر الحُرم لا يطلبون الثأر، وذو القعدة من الأشهر الحرم[٢].

وفي البحار عن إبراهيم بن أبي محمود، قال: قال الرضا عليه السلام: إنّ المحرّم شهر كان أهل الجاهلية [فيما مضىٰ] يحرّمون فيه القتال فاستُحلّت فيه دماؤنا، وهتكت فيه حرمتنا، وسُبي فيه ذرارينا ونساؤنا، وأضرمت النيران في مضاربنا، وانتهب منها ثقلنا، ولم ترع لرسول الله صلى الله عليه وآله فيه حرمة في أمرنا.

ثم قال عليه السلام: إنّ يوم الحسين أقرح جفوننا، [وأسبل دموعنا]، وأذلَّ عزيزنا بأرض كرب وبلاء، وأورثنا الكرب والبلاء إلى يوم الانقضاء، فعلى مثل الحسين عليه السلام فليبك الباكون، فانّ البكاء عليه يحطُّ الذنوب العظام.

ثم قال الرضا عليه السلام: كان أبي إذا دخل شهر المحرَّم لا يرى ضاحكاً وكانت الكآبة تغلب عليه حتى تمضى منه عشرة أيام، فإذا كان يوم العاشر كان ذلك اليوم يوم مصيبته وحزنه وبكائه، ويقول: هو اليوم الذي قتل فيه الحسين عليه السلام[٣].

وعن الريان بن شبيب قال: دخلت على الرضا عليه السلام في أول يوم من المحرّم، فقال لي: يابن شَبيب، أصائم أنت؟ فقلت: لا، قال: إنّ هذا اليوم هو اليوم الّذي

---

(١) جمهرة الأمثال: ١: ٥٦٦/٣٧٧.

(٢) شرح نهج البلاغة: ٢٦/٢.

(٣) أمالي الصدوق: ١٩٠/١٩٩ ـ المجلس (٢٧) ـ الحديث (٢).

دعا فيه زكريا عليه السلام ربّه عزّوجلّ، فقال: ﴿ربِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طيِّبَةً إنَّكَ سَمِيعُ الدُّعاء﴾[١] فاستجاب الله له، وأمر الله ملائكته فنادت زكريا، وذلك قوله تبارك وتعالى ﴿فَنَادَتْهُ المَلائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ فِي المِحْرابِ أَنَّ اللهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيىٰ مُصَدِّقاً بِكَلِمَةٍ مِنَ اللهِ وسَيِّداً وحَصُوراً وَنَبِيّاً مَنَ الصّالِحِين﴾[٢] فمن صام في هذا اليوم ثم دعا الله فانه يستجيب له، كما استجاب لزكريا عليه السلام.

ثم قال: يابن شبيب، إنّ المحرّم هو الشهر الذي كان أهل الجاهلية فيما مضى يحرّمون فيه الظلم والقتال لحرمته، فما عرفت هذه الأُمّة حرمة هذا الشهر ولا حرمة نبيّها صلى الله عليه وآله وسلم، لقد قتلوا في هذا الشهر ذريّته، وسبوا نساءه، وانتهبوا ثقله، فلا غفر الله لهم ذلك أبداً. يابن شبيب، إن كنت باكياً لشيء فابك على الحسين عليه السلام، فإنّه ذبح كما يذبح الكبش، وقتل معه من أهل بيته ثمانية عشر رجلاً، ما لهم في الأرض شبيه، ولقد بكت السماوات السبع والأرضون السبع لقتله، ولقد نزل إلى الأرض من الملائكة أربعة آلاف ملك لنصرته فلم يأذن لهم[٣].

وفي العيون والخبر الآخر: أنّهم نزلوا فوجدوه قد قتل، فهم عند قبره شعث غبر إلى أن يقوم صاحب الأمر فيكونون من أنصاره، وشعارهم: يا لثارات الحسين[٤].

وكان الصادق عليه السلام إذا هلّ المحرّم لا يُرى ضاحكاً قط، وكذلك الأئمّة واحداً بعد واحد، بل وهذه سيرة سارت في مواليهم وشيعتهم إذا هلّ عاشوراء اجتمعت

---

(١) سورة آل عمران ٣: ٣٨.

(٢) سورة آل عمران ٣: ٣٩.

(٣) أمالي الصدوق: ١٩٢/٢٠٢ ـ المجلس (٢٧) ـ الحديث (٥).

(٤) عيون أخبار الرضا عليه السلام: ١: ٢٩٩/٥٨ ـ الباب (٢٨). وانظر المصدر السابق أيضاً.

عليهم الأحزان والكروب؛ ولعلّ الخبر يُشير إلى ذلك:

«شيعتنا خُلقوا من فاضل طينتنا، وعجنوا بنور ولايتنا، يصيبهم ما أصابنا، يفرحون لفرحنا، ويحزنون لحزننا»[١] وكانوا عليهم الصلاة والسلام يجلسون للعزاء كما تجلس شيعتهم اليوم.

وكان الرضا عليه السلام يجلس في كل عشرة من المحرّم كئيباً حزيناً، ويعقد مجلساً للعزاء، ويجلس نساءه وراء الستار، وكان إذا دخل عليه أحد من الشعراء يأمره بالإنشاد على جدّه الحسين عليه السلام، كما في قصة دعبل الخزاعي لمّا دخل عليه وقال له: أنشدني، فأنشده التائية الّتي منها:

أفاطم لو خلت الحسين مجدّلاً وقد مات عطشاناً بشط فرات[٢]

وكذلك الصادق عليه السلام لمّا دخل عليه أبو هارون المكفوف، فقال عليه السلام: أنشدني في جدّي الحسين عليه السلام، فأنشأ يقول:

أمرر على جدث الحسين وقل لأعظمه الزكيّة

فبكى الصادق عليه السلام وقال: أنشدني كما تنشدون بالرقة فقال:

يا مريم نوحي على مولاك وعلى الحسين ألا أسعدي ببكاك

فصاحت ابنة الصادق عليه السلام: وا جدّاه وا حسيناه[٣].

وهكذا ساير أهل البيت عليهم السلام لا زالوا صارخين معولين عطاشا جائعين من أول شهر محرّم إلى يوم العاشر.

وقيل للصادق عليه السلام: سيدي جعلت فداك، إنّ الميت يجلسون له بالنياحة بعد

---

(١) أورده الفاضل الدربندي في أسرار الشهادة: ١/١٠٤، في كلامٍ للإمام الصادق عليه السلام.

(٢) بحار الأنوار: ٤٥/٢٥٧ ـ الحديث (١٥).

(٣) انظر ثواب الأعمال للشيخ الصدوق: ١٠٩/١/ باب (١٤٦).

موته أو قتله، وأراكم تجلسون أنتم وشيعتكم من أوّل الشهر بالمأتم والعزاء على الحسين عليه السلام!! فقال عليه السلام: «يا هذا إذا هلّ هلال محرّم نشرت الملائكة ثوب الحسين عليه السلام وهو مخرق من ضرب السيوف، وملطخ بالدماء فنراه نحن وشيعتنا بالبصيرة لا بالبصر، فتنفجر دموعنا».

وقال عليه السلام: فيما قال لمسمع كردين: «يا مسمع ما من عين بكت على الحسين عليه السلام إلا ونعمت بالنظر إلى الكوثر، أو شربت منه إلى يوم القيامة»[١].

فأي عين لا تبكي عليك يا أبا عبدالله، السلام على من دمه غسله، والتراب كافوره، ونسج الرياح أكفانه، والرماح الخطية نعشه، وفي قلب من والاه قبره:

إن يبق ملقى بلا دفن فإنّ له　　　قبراً بأحشاء من والاه محفورا[٢]

---

(١) بحار الأنوار: ٤٤/٢٨٩ ـ الحديث (٣١)، من حديث طويل.

(٢) (ابوذيّه)

لولاك الفرض يحسين ماتم　　　وحگ گلبك المنّه ثلث ماتم

إلك ابگلوبنا يحسين ماتم　　　نجيمه ابكل صباح وكل مسيّه

(بحراني)

وحق راسك المقطوع يا شمس المضيّه　　　للحشر ما ننسا مصابك والرزيّه

ننسىٰ وسهم الصاب گلبك يا ذرانا　　　ذلّلنه وفتّ اگلوبنا ونكّس لوانا

وتگطيع جسمك بالثرى گطّع امعانا　　　وخيل الوطت صدرك على حرّ الوطيّه

داست يبن حيدر علي صدور المحبّين　　　وبگلوبنا انخلّيك عاري ابغير تكفين

وذبح الطفل ننساه هذا محال يحسين　　　ولا ننسى اركوب الوديعه اعلى المطيّه

❊ ❊ ❊

غَدَت ربّة الأخدار ولهىٰ أسيرةً　　　تقاذفُها البيدا ضُحىً وظهيرةً

وتهتف بالحامي الجوار مشيرةً

أترضىٰ وأنت الثاقب العزم غيرةً　　　يلاحظها حسرى القناع يزيدُ

المطلب السابع

في بكاء النبي ﷺ على الحسين عليه السلام
وأنّ البكاء والرقّة من شأن المعصوم

العجب كل العجب ممّن يزعم أنّ المعصوم عليه السلام لا يبكي، أو أنّ البكاء لا يليق له وليس من شأنه، فاذا خطر مثل هذا في البال فهو وهم صرف، إذ أنّ البكاء والرقة من صفات المعصوم عليه السلام، كما أنّ الرحمة والرقة مودوعة في قلب كل نبي وكل معصوم، بل وكل مؤمن فضلاً عن النبي والمعصووم، انظر إلى النبي ﷺ وقد دلّت الأخبار المتواترة أنّه ﷺ بكى في مواطن كثيرة، كان أولها «يوم أُحد»، وذلك لمّا رأى عمّه حمزة عليه السلام قتيلاً ورأى ما مثّل به شهق[1].

ذكر ابن أبي الحديد: أنّ النبي ﷺ كان يومئذ إذا بكت عمّته صفيّة يبكي، وإذا أنشجت ينشج، وكذلك لمّا رأى إبنته فاطمة عليها السلام تبكي على عمّها بكى[2].

وذكر أحمد بنْ حنبل: أنّ النبي ﷺ لمّا رجع من «أُحد» فجعلت نساء الأنصار يبكين على من قتل من أزواجهنّ، فقال ﷺ: «ولكن عمّي حمزة لا

---

(١) المستدرك للحاكم: ٣/١٩٥، وانظر أيضاً: المحب الطبري في ذخائر العقبى: ١٨٠، والهيثمي في مجمع الزوائد: ٦/١١٨ ـ باب مقتل حمزة عليه السلام.

(٢) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ١٥/١٧ ـ الباب (١٩).

بواكي له»، ثم نام وانتبه وهنّ يبكين، قال: «فهنّ اليوم إذا بكين يندبن بحمزة»[(١)].

ومنها: بكى على جعفر بن أبي طالب عليه السلام يوم «مؤتة» لمّا قتل[(٢)]؛ ومنها: لمّا أُصيب زيد بن حارثة انطلق النبي صلى الله عليه وآله وسلم إلى منزله فلمّا رأته إبنة زيد أجهشت بالبكاء، فسالت دمعته[(٣)].

ومنها: عند موت ولده إبراهيم بكى، فقيل له: أتبكي وأنت رسول الله؟ فقال صلى الله عليه وآله وسلم: «إنّما أنا بشر مثلكم، تدمع العين ويحزن القلب، ولا أقول ما يغضب الرب، وإنّا بفراقك يا إبراهيم لمحزونون». ذكره البخاري في «صحيحه في الجزء الأول منه»[(٤)].

ومنها: يوم ماتت إحدى بناته جلس على قبرها وعيناه تدمعان، هكذا ذكر البخاري أيضاً[(٥)].

ومنها: يوم مات صبي لأحد بناته، إذ فاضت عيناه يومئذ فقال له سعد: ما هذا يا رسول الله؟! قال: «هذه رحمة جعلها الله في قلوب عباده، وإنّما يرحم من عباده الرحماء». هكذا في الصحيحين أيضاً[(٦)].

وأخرج الإمام أحمد من حديث ابن عباس ـ في الجزء الأول من مسنده ـ من جملة حديث ذكر فيه موت رقية بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وبكاء النساء عليها،

---

(١) مسند أحمد بن حنبل: ٧/٩٨ ـ الحديث (٤٩٨٤).

(٢) تاريخ الإسلام للذهبي: ٢/٤٨٨ و ٨٨٤، وانظر أيضاً: مختصر تاريخ دمشق لابن منظور: ٦/٧٣ و ١٢/٧٣.

(٣) تاريخ الإسلام للذهبي: ٢/٤٩٦.

(٤) صحيح البخاري (بشرح الكرماني): ٧: ٩٦/١٢٢٨.

(٥) صحيح البخاري (بشرح الكرماني): ٧: ٨١/١٢١٣.

(٦) صحيح مسلم: ٢: ٦٣٥/ ، وصحيح البخاري (بشرح الكرماني): ٧: ٨٠/١٢١٢.

قال: فجعل عمر يضربهنّ بسوطه، فقال ﷺ: «دعهنّ يبكين». ثمّ قال ﷺ: «مهما يكن من القلب والعين فمن الله الرحمة». وقعد على شفير القبر وفاطمة إلى جنبه تبكي قال: فجعل النبي ﷺ يمسح عين فاطمة بثوبه رحمة لها[1].

ومما يعاضد ذلك بكاؤه على الحسين عليه السلام في مواطن كثيرة، منها قبل ولادته وذلك لمّا هبط عليه جبرائيل، قال: يا محمّد يولد لك ولد تقتله شرار أُمتك، فبكى ﷺ وقال: «لا حاجة لي فيه»، فقال جبرائيل: يا رسول الله إنّ الإمامة تكون فيه وفي ولده؛ فسكت ﷺ[2].

وبكىٰ عند ولادته، وذلك لمّا جاءت به صفية بنت عبدالمطلب تحمله أخذه وشمّه ثم بكى، فقالت له صفية: يا رسول الله وما هذا البكاء؟! فقال لها ﷺ: «إن ولدي هذا تقتله شرار أُمتي، لا تخبري ابنتي فاطمة فإنّها جديدة عهد بولادته».

ومنها: بكاؤه ﷺ لمّا دخل على فاطمة ورأى الحسين عليه السلام يبكي في المهد، فقال ﷺ: «بنية سكّتيه فإنّ بكاؤه يؤذيني»؛ ثم بكاه، وكان ﷺ كلّما نظر إليه يبكي، وإذا رآه في يوم عيد يبكي، وإذا رآه يلعب يبكي.

وكان ﷺ يقول: «حسين منّي»، «حسين طمئنينتي»، «حسين روحي التي بين جنبي»، «حسين منّي وأنا من حسين»، «أحبّ الله من أحبّ حسيناً».

قال[3]: ودخل الحسن وأخوه الحسين عليهما السلام على النبي ﷺ يوماً فشمّ الحسن عليه السلام في فمه، وشمّ الحسين عليه السلام في نحره، فقام الحسين وأقبل إلى أمّه،

---

(١) مسند الإمام أحمد: ٥: ٤١/٣١٠٣.

(٢) أُصول الكافي: ١: ٤/٣٨٦، والبحار: ٤٤: ٢٣٢/، الحديث .

(٣) والكلام لابن عباس.

فقال لها: أُمّاه شمّي فمي، هل تجدين فيه رائحة يكرهها جدّي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم؟ فشمّته في فمه فإذا هو أطيب من المسك، ثم جاءت به إلى أبيها فقالت له: أبه لم كسرت قلب ولدي حسين عليه السلام؟ فقال صلى الله عليه وآله وسلم: ممَّ؟ قالت: تشمّ أخاه في فمه وتشمّه في نحره، فلمّا سمع صلى الله عليه وآله وسلم بكى، وقال: «بنية أمّا ولدي الحسن فإنّي شممته في فمه لأنّه يُسقى السم فيموت مسموماً، وأمّا الحسين عليه السلام فإنّي شممته في نحره لأنّه يذبح من الوريد إلى الوريد»؛ فلمّا سمعت فاطمة بكت بكاءاً شديداً وقالت: أبه متى يكون ذلك؟ فقال: «بنية في زمان خال منّي ومنك ومن أبيه وأخيه» فاشتدّ بكاؤها ثم قالت: ابه فمن يبكي عليه؟ ومن يلتزم بإقامة العزاء عليه؟ فقال لها: «بنية فاطمة إنّ نساء أُمّتي يبكون على نساء أهل بيتي ورجالهم يبكون على ولدي الحسين عليه السلام وأهل بيته، ويجددون عليه العزاء جيلاً بعد جيل، فإذا كان يوم القيامة أنت تشفعين للنساء وأنا أشفع للرجال وكل من يبكي على ولدك الحسين عليه السلام أخذنا بيده وأدخلناه الجنة»[1].

وقال صلى الله عليه وآله وسلم: «على الحسين فلتشق القلوب لا الجيوب».

وقال صلى الله عليه وآله وسلم: «ألا وصلّى الله على الباكي على ولدي الحسين عليه السلام».

فرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم تراه تارة يدعو للباكي على ولده الحسين وأُخرى يخبر بفضل الباكي عليه وما له يوم القيامة من الأجر، لقوله صلى الله عليه وآله وسلم: «كل عين باكية يوم القيامة إلّا عين بكت على ولدي الحسين، فإنّها ضاحكة مستبشرة بنعيم الجنة»[2].

---

(١) الخبر ذكره الفاضل الدربندي رحمه الله في أسرار الشهادات: ٢/٧٢٠، وهو خبر طويل ومفصّل وأورده هنا المؤلف رحمه الله على وجه الإختصار.

(٢) انظر أسرار الشهادات للدربندي: ٢/٤٩٦.

وروى المجلسي ﷺ قال:

حكى السيد علي الحسيني قال: كنت مجاوراً في مشهد علي بن موسى الرضا عليه السلام مع جماعة من المؤمنين فلمّا كان اليوم العاشر من المحرم عقدنا مأتماً للحسين عليه السلام فابتدأ رجل منّا يقرأ مقتل الحسين عليه السلام فقرأ روايةِ عن الباقر عليه السلام أنّه قال: «من ذرفت عيناه بالدموع على مصاب الحسين ولو كان مثل جناح البعوضة غفر الله ذنوبه، ولو كانت مثل زبد البحر»، وكان في المجلس معنا رجل يدّعي العلم ولا يعرفه، فقال: ليس هذا صحيح وأنّ العقل لا يقبله.

قال: وكثر البحث بيننا ثم افترقنا وهو مصرّ على ما هو عليه، فلمّا نام تلك الليلة رأى في منامه كأنّ القيامة قد قامت وحشر الناس في صعيد واحد، وقد نصبت الموازين وامتدَّ الصراط، ووضع للحساب ونشرت الكتب، واسعرت النيران وزخرفت الجنان، واشتدّ الحر عليه وعطش عطشاً شديداً، فجعل يطلب الماء فلا يجده، فالتفت هناك وإذا بحوض عظيم الطول والعرض، فقال في نفسه: هذا هو الكوثر؛ فأقبل إليه وإذا عليه رجلان وامرأة أنوارهم مشرقة لابسين السواد، قال: فسألت عنهم فقيل لي: هذا رسول الله صلى الله عليه وآله، وهذا علي عليه السلام، وهذه فاطمة عليها السلام، فقلت: إذاً لماذا لابسين السواد فقيل لي أليس هذا اليوم يوم قتل فيه الحسين عليه السلام، قال: فدنوت إليهما وقلت لفاطمة: سيدتي إني لعطشان، فنظرت إليّ شزراً، وقالت لي: أن الذي تنكر فضل البكاء على ولدي الحسين عليه السلام، لن تذوق منه قطرة واحدة حتى تتوب ممّا أنت عليه؛ قال: فانتبه من نومه فزعاً مرعوباً وجاء إلى أصحابه، وقص عليه رؤياه وقال والله يا أصحابي أنا ندمت ممّا صدر منّي، وأنا تائب عمّا كنت عليه[١].

---

(١) بحار الأنوار: ٢٩٣/٤٤ ـ الحديث (٣٨).

أقول: فليتها كانت حاضرة يوم عاشوراء ومعها جرعة من ماء الكوثر وتسقي ولدها الحسين عليه السلام، لمّا نادى: يا قوم وحق جدّي أنا عطشان. قال رجل من القوم: رأيت شفتي أبي عبدالله يتحرّكان بكلام لم أفهمه، فقلت: إن كان الحسين يدعو علينا هلكنا ورب الكعبة. فأقبلت إليه فسمعته ينادي اسقوني جرعة من الماء، وقال: فأتيت إلى ابن سعد (لعنه الله) وقلت له: يا أمير إن الرجل قد ضعف عن القتال ولا قابلية له على حمل السلاح، ما يضرك لو سقيته جرعة من الماء؟ قال: فسكت اللعين، فعلمت أنّ السكوت من الرضا، فأقبلت إلى خيمتي وأخذت ركوة فملئتها ماء وأتيت مسرعاً إلى الحسين فبينا أنا في بعض الطريق وإذا بالكون قد تغيّرت، وهبت ريح سوداء مظلمة، وتزلزلت الأرض، وإذا بالمنادي ينادي: قتل الإمام ابن الإمام أخو الإمام أبو الأئمة. فنظرت وإذا برأس الحسين عليه السلام على رأس رمح طويل.

وشيبته مخضوبة بدمائه		يلاعبها غادي النسيم ورائحه[1]

---

(١) وزينب عليها السلام كأني بلسان حالها:

(نصاري)

يشيّال راسه لا تلوحه		وهبّط عن بگايا الروس رمحه
أخاف ايفوت ريح الهوى بجرحه		وجرحه عليه يگوم يسعر

(دكسن)

يشيّال راس حامينه او ولينه		دريّض خلّي اتودّعه اسكينه
ليش حسين ساچت عن ونينه		گلّي تعب يو جرحه تخدّر

كأني بها تخاطب رأس الحسين عليه السلام بلسان الحال:

(عاشوري)

يحسين لا تلتفت لينه		وتشوفنه نشگف بدينه
نسوان تدري وانولينه		وعليلك المچتّف ولينه

⇐

المطلب الثامن

في مكارم أخلاق الحسين عليه السلام

جمع الحسين بن علي عليه السلام الفضائل أجمع، كالعلم وأسراره، وفصاحة اللسان وبيانه، ومنتهى الشجاعة، وأقصى غاية الجود والعدل والصبر والحلم والعفاف والمروءة والورع والزهد ومكارم الأخلاق ومحاسن الأعمال، كما خصّه الله عزّوجلّ بسلامة الفطرة، وجمال الخلقة، ورجاحة العقل، وقوّة الجسم، وأضف إلى هذه المحامد كلّها كثرة العبادة، وأفعال الخير، كالصلاة والصوم والحج، والجهاد في سبيل الله، والإحسان للناس، وكان عليه السلام سخيّاً بماله، متواضعاً للفقراء، معظماً عند الخلفاء، مواصلاً للصدقة على الأيتام والمساكين، منتصفاً للمظلومين، وكان عليه السلام علم المهتدين، وهدى للمسترشدين بأنوار محاسنه وآثار فضله.

أمّا علمه فإنّه كان يغرُّ العلم غرّاً، وأنّه ورث العلم من جدّه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ومن أبيه علي عليه السلام، ومن كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم معلّمه ومن كان أبوه علي بن أبي طالب

⊃ (تخميس)

رأت الرمح زينبُ حين مالا وعليه رأس الحسين تلالا

خاطبته مُذ راح يزهو هلالا

يا هلالاً لما استتمّ كمالا غاله خسفه فأبدىٰ غروبا

وأمّه فاطمة الزهراء ناشئاً في أصحاب جدّه وتلامذة أبيه فلا شك أنّه كان يغرُّ العلم غرّاً، ومنه أخذ علم الجفر والجامعة الأئمّة التسعة صلوات الله عليهم.

وكان الناس يقدمون على الحسين عليه السلام وينتفعون بما يسمع منه، ويضبطون ما يروون عنه من الأحاديث والفتيا.

وأمّا فصاحته، ناهيك عن خطبته التي خطبها بالمدينة ومكة قبل خروجه إلى العراق، والتي سجّلها له التأريخ في كربلاء، فمن خطبته الشهيرة بمكة إذ يقول في أولها:

«خطّ الموت على ولد آدم مخطّ القلادة على جيد الفتاة... إلى آخرها»[١].

وخطبته يوم عاشوراء الّتي في أولها يقول:

«ألا إنّ الدّعي ابن الدّعي قد ركّز بين اثنتين، بين السلّة والذلّة، وهيهات منّا الذلّة، يأبى الله لنا ذلك، ورسوله، والمؤمنون، وحجور طابت، وبطون طهرت، وأنوف حميّة، ونفوس أبيّة، من أن تؤثر طاعة اللئام على مصارع الكرام»[٢].

وأمّا شجاعته فصارت تضرب بها المثل، قال صاحب إسعاف الراغبين: «كان الحسين شجاعاً مقداماً من حين كان طفلاً»[٣].

وروى ابن أبي الحديد في شرح النهج قال: فيما أفتخرت به بنو هاشم على بني امية قولهم: من مثل الحسين بن علي عليه السلام يوم الطف، ما رأينا مكثوراً[٤] قد فرّق من اخوته وأهلهِ وأنصاره أشجع منه، كان كالليث المجوب يحطم الفسان حطماً، وما ظنّك برجل أبت نفسه الدنيا الدنية وأن يعطي بيده، فقاتل حتى قتل

---

(١) كشف الغمة في معرفة الأئمة: ٢/٢٩.

(٢) الملهوف على قتلى الطفوف: ١٥٥، وانظر تاريخ ابن عساكر: ٣١٧.

(٣) اسعاف الراغبين: ٢٠٢ (بهامش نور الأبصار للشبلنجي).

(٤) المكثور: المغلوب.

هو وبنوه واخوته وبنو عمّه، بعد بذل الأمان لهم والتوثقة بالإيمان المغلظة، وهو الذي سنّ للعرب الإباء، واقتدى به أبناء الزبير وبنو المهلب، وغيرهم[١].

وقال ابن أبي الحديد أيضاً: سيد أهل الإباء، الّذي علّم الناس الحمية والموت تحت ظلال السيوف، اختياراً له على الدنية، أبو عبدالله الحسين بن علي ابن أبي طالب عليهما السلام، عرض عليه الأمان وأصحابه، فأنف من الذلّ وخاف من ابن زياد أن يناله بنوع من الهوان مع أنّه لا يقتله، فاختار الموت على ذلك، قال: وسمعت النقيب أبا زيد يحيى بن زيد العلوي البصري يقول كأبيات أبي تمام في محمّد بن حميد الطائي ما قيلت إلّا في الحسين عليه السلام:

وقد كان فوت الموت سهلاً فردّه ... إليه الحفاظ المر والخلق والوعر

ونفس تعاف الضيم حتى كأنّه ... هو الكفر يوم الروع أو دونه الكفر

فأثبت في مستنقع الموت رجله ... وقال لها من تحت أخمصك الحشر

تردّى ثياب الموت حمراً فما أتى ... لها الليل إلّا وهي من سندس خضر[٢]

وقال صاحب كشف الغمة: شجاعة الحسين يضرب بها المثل، وصبره في الحرب أعجز الأواخر والأُوَل، وأمّا سخاؤه وجوده، فإنّه كان يهب الألوف من الدنانير حتى عد من سادات أجواد العرب[٣].

روى «ابن عساكر» في تأريخه عن أبي هشام القناد أنّه كان يحمل إلى الحسين بالمتاع من البصرة، ولعلّه لا يقوم حتى يهب عامته، ودخل عليه السلام يوماً على أسامة بن زيد وهو مريض فسمعه يقول: وا غماه، فقال له الحسين عليه السلام: وما غمّك يا أخي؟ قال: ديني وهو ستّون ألف درهم؛ فقال الحسين عليه السلام: هو عليَّ، قال: إنّي

(١ و٢) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد.

(٣) كشف الغمة في معرفة الأئمة: ٢/٢٠.

أخشى أن أموت؟ فقال عليه السلام: لن تموت حتى أقضيها عنك، فقضاها قبل موته(١).

أمّا جماله وحسنه: فقد كان يشبه جدّه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بجمال وجهه الشريف، قال «صاحب الخزانة» في ترجمة «عبيدالله بن الحرّ الجعفي» أنّه قال: ما رأيت أحداً قط أحسن ولا أملأ للعين من الحسين(٢).

وعن أنس بن مالك: أتى عبيدالله بن زياد برأس الحسين بن علي عليه السلام، فجعل في طشت فجعل ابن زياد ينكث ثناياه، وقال في حسنه شيئاً: رحمك الله يا حسين فلقد كنت حسن الثغر، فقال انس بن مالك: كان أشبههم برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم(٣).

وأمّا عبادته: فإنّه كان ينهج نهج أبيه أميرالمؤمنين عليه السلام في عبادته، فقد ذكر «الملك المؤيد أبو الفداء» في تأريخه قال: كان الحسين يصلّي في اليوم والليلة ألف ركعة، ولقد حجّ خمساً وعشرين حجة ماشياً على قدميه ونجائبه تقاد بين يديه، إلى غير ذلك من عبادته(٤).

وأمّا تواضعه: فقد ذكر «ابن عساكر» في التأريخ الكبير: أنّ الحسين عليه السلام مرّ بمساكين يأكلون في الصفة، فقالوا: الغداء؛ فنزل عليه السلام وقال: إنّ الله لا يُحب المتكبرين، فتغدى، ثم قال لهم: قد أجبتكم فأجيبوني، قالوا: نعم، فمضى بهم إلى منزله وقال للرباب خادمته: أخرجي ما كنت تدّخرين(٥).

أقول: يظهر من الرواية أنّ ابن عساكر إشتبه في الرباب خادمة الحسين عليه السلام،

---

(١) تاريخ ابن عساكر.

(٢) خزانة الأدب للبغدادي: ٢٩٨/١.

(٣) انظر تاريخ ابن عساكر (ترجمة الإمام الحسين عليه السلام): ٤٩/٤٦، ٥٠، ٥١.

(٤) تاريخ أبي الفداء. وذكر ذلك أيضاً: ابن عساكر في تأريخه (ترجمة الإمام الحسين عليه السلام): ٢١٥ و٢١٦.

(٥) تاريخ ابن عساكر (ترجمة الإمام الحسين عليه السلام): ١٩٨/٢١٨.

وما سمعنا أنّ للحسين خادمة اسمها الرباب، لكن الرباب زوجته وهي بنت امرء القيس الكندي الّذي يقول فيها:

لعمركَ إنني لأحبُّ داراً تحلُّ بها السكينة والرباب

أحبّهما وأبذل جُلّ مالي وليس لعاتبٍ عندي عتاب[1]

---

(١) كتاب الأغاني: ١٦/١٣٨.

نعم إنّ الرباب زوجة الحسين عليه السلام آلت أن لا تستظلّ تحت ظل بعد شهادة أبي عبدالله عليه السلام وذلك لمّا رجعت مع النسوة إلى المدينة أمرت البنّاء أن يرفع السقف وكان لها بكاء ونحيب على فقد الإمام الحسين عليه السلام وولدها عبدالله الرضيع، ولسان حالها:

(الموشح)

دايك ما يطيب وداي أبوك النوب داي اللي يفلّش ولو سبع اگلوب

حسبت احساب وحسابي طلع مگلوب سكنه اميسّره وانته الفگد يرجاي

يا رجواي يلغيّرك بعد ما لوليت اخلاف احسين عيب اگعد تحت ظل بيت

يبني الكربلا يبني عسن لاجيت يبني اتموت يبني ما شربت الماي

(تخميس)

سألتُ ربع الندا والدمع ينهملُ عن معشر هاهنا عهدي بهم نزلوا

أين استقلّوا عن الأوطان وارتحلوا

بالأمس كانوا معي واليومَ قد رحلوا وخلّفوا في سويد القلب نيرانا

المطلب التاسع

في ترجمة يزيد وكفره

ذكر «القرماني» في تأريخه، عن أبي الدرداء قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «أوّل من يبدل سُنتي رجلٌ من بني أُمية يقال له يزيد بن معاوية وأُمّه ميسون الكلبية»[1].

وذكر أرباب التأريخ: أنّه دخل معاوية بن أبي سفيان يوماً على زوجته ميسون بنت بجدل بن أنيف الكلبي فسمعها تنشد هذه الأبيات:

للبس عباءة وتقرّ عيني	أحب إليّ من لبس الشفوف
وبيت تخفق الأرياح فيه	أحب إليّ من قصر منيف
وبكر يتبع الأضعان صعب	أحب إليّ من بغل زفوف
وكلب ينبح الأضياف دوني	أحب إليّ من هرٍّ أنوف
وخرق من بني عمي فقير	أحب إليّ من علج عنيف

فقال لها معاوية: ما رضيت يا ابنة بجدل حتى جعلتيني علجاً نيفاً، إلحقي بأهلك. فمضت إلى أهلها مع عبد أبيها[2].

وروى المدائني في كتاب بهجة المستفيد: أنّ يزيد بن معاوية أُمّه ميسون

(١ و٢) أخبار الدول وآثار الأُول للقرماني: ١٣٠.

بنت بجدل الكلبية أمكنت عند أبيها من نفسها فحملت بيزيد، وإلى هذا أشار النسابة البكري من علماء السنة بقوله:

فإن يكن الزمان أتى علينا لقتل الترك والموت الوحيي[1]
فقد قتل الدعيّ وعبد كلب بأرض الطف أولاد النبي

اراد بالدعي عبيدالله بن زياد، فإنّ أباه زياد بن سميّة، وهذه كانت عاهرة ذات علم، ولدت زياداً على فراش أبي عبيد من بني علاج، فادّعى معاوية أنّ أبي سفيان زنى بأُم زياد وأنّه أخوه فكان اسمه «الدعي» حتى أنّ عائشة كانت تسمّيه زياد ابن أبيه لأنّه ليس له أب معروف[2]، ومراده بعبد كلب هو يزيد بن معاوية لأنه من عبد بجدل الكلبي.

وكانت ولادته في أيام عثمان بن عفان، سنة خمس وعشرين في بادية طب بني أخواله، وهم نصارى، وتربّى هناك تربية نصرانية حتى إذا ترعرع جيء به إلى أبيه، وكان لا يشابه أباه، ضخم الجسم، كثير اللحم، أسمر، في وجهه آثار الجدري، ولقد بويع له بالخلافة يوم وفاة أبيه معاوية، وكانت ولايته ثلاث سنين وستة أشهر.

ففي السنة الأُولى: قتل الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام سيد شباب أهل الجنة.

---

(١) موت وحي [أي] سم حي: سريع؛ انظر:

(٢) نقول: قال الذهبي في سير أعلام النبلاء:
يُقال: «إنّ أبا سُيان أتىٰ الطائفَ، فَسكِرَ، فطلبَ بغيّاً، فواقع سُميَّة، وكانت مزوَّجةً بِعُبَيد، فولدت من جُماعِهِ زياداً، فلمّا رآه مُعاوية من أفراد الدهر، أستعطفه وادَّعاه، وقال: نَزَلَ من ظهرِ أبي». انظر سير أعلام النبلاء للذهبي: ٣/٤٩٥.
وفي صحيح البخاري في (الفرائض)/ باب (من ادعى إلى غير أبيه): ٨/١٩٤، وفيه: قال صلى الله عليه وآله وسلم: «من ادّعى إلى غير أبيه وهو يعلم أنّه غير أبيه فالجنة عليه حرام».

وفي السنة الثانية: نهب المدينة، وأباحها ثلاثة أيام، وفتك الفتك العظيم بأهلها حتى قتل في الوقعة[١] جماعة من الصحابة، ولم يبق بدري بعد ذلك، وقتل من سائر الناس من الموالي والعرب والتابعين عشرة آلاف، وافتضت ألف عذراء[٢].

وفي السنة الثالثة: غزا الكعبة فهدمها.

قال المسعودي: شمل الناس جور يزيد بن معاوية وعمّاله، وعمّهم الظلم وما ظهر من فسقه، من قتل ابن بنت رسول الله ﷺ، وما ظهر من شرب الخمور، وسيرته سيرة فرعون، بل كان فرعون أعدل منه في الرعية[٣][٤].

وقال محمّد بن علي ـ المعروف بالطقطقي ـ في كتابه «الفخري»: إن يزيد بن معاويه كان موفر الرغبة في اللهو، والقنص، والخمر، والنساء، والشعر[٥].

وفي أيامه ظهر الغناء بمكة والمدينة، واستعملت الملاهي[٦]، ومن قوله في الخمرة:

---

(١) انظر أخبار «وقعة الحرَّةَ» في: الفخري في الاداب السلطانية.

(٢) قال ياقوت في معجم البلدان (حرة): واستباحوا الفروج، وحملت منهم ثمانمئة حرة وولدن وكان يقال لأولئك الأولاد أولاد الحرة.

(٣) مروج الذهب للمسعودي: ٣/٦٨.

(٤) وروى ابن سعد في «الطبقات» ـ ترجمة عبدالله بن حنظلة:
«أنّه بايع أهل المدينة ـ ليلة الحرَّة ـ على الموت، وقال: يا قوم، اتقوا الله وحده لا شريك له، فوالله ما خرجنا على يزيد حتى خفنا أن نرمىٰ بالحجارة من السماء، إنّ رجلاً ينكح الأمهات والبنات والأخوات، ويشرب الخمر، ويدع الصلاة، والله لو لم يكن معي أحد من الناس لأبليت لله فيه بلاءاً حسناً». انظر طبقات ابن سعد: ٥/٦٦.

(٥) الفخري في الآداب السلطانية: ٩٨.

(٦) مروج الذهب للمسعودي: ٣/٦٧.

أقول لصحب ضمت الكأس شملهم ... وداعي صبابات الهوى يترنّم

خذوا بنصيب من نعيم ولذّة ... فكلٌّ وإن طالَ المدىٰ يتصرّم

وهو القائل لمّا نهاه أبوه عن شرب الخمر الكثير:

أمن شربة من ماء كرم شربتها ... غضبت علي اليوم طاب لي الخمر

سأشرب فاسخط أو رضيت كلاهما ... حبيب إلى قلبي عقوقك والسكر

يروى أنّ معاوية أرسل سرية إلى قسطنطنية الروم وأمّر عليها سفيان بن عوف ثم ورد الخبر أنهم أصابهم جوع ومرض شديد، فأنشأ يزيد يقول:

إذا ارتفعتُ على الأنماطِ مُصطبِحاً ... بِدَيْرِ مُرّانَ عندي أُمُّ كُلْثُومِ

فَما أُبالي بِما لاقَتْ جُنودُهمُ ... بالغَذْقَذُونَة مِنْ حُمَّىٰ ومُومِ[1]

وكان له قرد يكنىّ بأبي قيس، يحضره في مجلس منادمته، ويطرح له متكأ، وكان قرداً خبيثاً، وكان يحمله على أتان وحشية، قد رُيّضت وذُلّلت لذلك بسرج ولجام، وكان يسابق بها الخيل يوم الحلبة، فجاء في بعض الأيام سابقاً، فتناول القصبة ودخل الحجرة قبل الخيل، وعلى أبي قيس قباء من الحرير الأحمر والأصفر، منقوش يلمع بأنواع من الألوان، فقال في ذلك بعض شعراء الشام:

تمسك أبا قبيس بفضل عنانها ... فليس عليها إن سقطت ضمان

ألا من رأى القرد الّذي سبقت به ... جياد أميرالمؤمنين أتان[2]

وقال المسعودي في «مروج الذهب»: كان يزيد صاحب طرب، وجوار، وكلاب، وقرود، وفهود، ومنادمة على الشراب، وجلس ذات يوم على شرابه

---

(١) انظر كتاب الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني: ١٧/ ٢١٠.

(٢) مروج الذهب للمسعودي: ٣/٦٨.

وعن يمينه عبيدالله بن زياد[١]، وذلك بعد قتل الحسين عليه السلام فأقبل على ساقيه فقال:

أسقني شربة تروي حشاشتي ثم قم فاسق بعدها ابن زياد

صاحب السر والأمانة عندي ولتسديد مغنمي وجهادي

قاتل الخارجي أعني حسيناً ومبيد الأعداء والحساد[٢]

ويروى أيضاً أنّه لمّا جيء إليه برأس الحسين عليه السلام وهو في طشت من لجين وضع بين يديه، فجعل يشرب الخمر ويصب فضلته حول الطشت الّذي فيه رأس الحسين عليه السلام وهو يتمثّل بأبيات ابن الزبعري:

ليت أشياخي ببدر شهدوا جزع الخزرج من وقع الأسل[٣]

ويروى أنّه لمّا وضعوا الرؤوس بين يدي يزيد وفيها رأس الحسين عليه السلام جعل يقول:

أبىٰ قومنا أن ينصفونا فأنصفت قواضب في أيماننا تقطر الدما

نفلق هاماً من رجال أعزة علينا وهم كانوا أعق وأظلما

(١) هو عبيدالله بن زياد: كان يكنى أبا حفص، وكان أباه زياد قد طلّق أُمّه (مرجانة) وزوّجها من شيرويه الأسواري ودفع إليها عبيدالله، فنشأ بين الأساورة ومن هنا جاءته اللكنة، وكان ولّاه معاوية خراسان ثم ولي البصرة خمس سنين، ولمّا هلك أبوه ضمّت إليه الكوفة فكانت ولايته على العراقين ثمان سنين، وبعد هلاك يزيد أخرجه أهل البصرة من داره واستجار بمسعود بن عمرو الأزدي، ولمّا قتل مسعود هرب إلى الشام فكان مع مروان بن الحكم، وكان يوم «مرج راهط» على إحدى مجنبتي عسكره، فلما ظفر مروان بالضحاك بن قيس الفهري وقتله ردَّه مروان إلى العراق فبينا هو قد قرب من الكوفة إلتقى به إبراهيم بن الأشتر النخعي على جيش من جيوش المختار بن عبيد الثقفي فناجزه الحرب فظفر به وقتله، وكان قتله يوم عاشورا سنة (٦٧ هـ). راجع ترجمة (عبيدالله بن زياد) في:

(٢) مروج الذهب للمسعودي: ٣/٦٧.

(٣) هذه الأبيات نسبها السيد ابن طاوس في اللهوف إلى ابن الزبعري.

فقام يحيى بن الحكم وهو يقول:

لهـام بـجنب الطـف أدنـى قـرابـة　　من ابن زياد النغل ذي الحسب الوغل
سميّة أمسـى نسـلها عـدد الحـصى　　وبنت رسـول الله ليست بـذي نسـل

وجعل يزيد ينكث ثـنايا الحسـين عليه السلام بـعود الخـيزران بـمنظر مـن بـناته وأخواته.

أتـضربها شـلّت يـمينك إنّـها　　وجوه لوجه الله طال سجودها[1]

---

(١) وزينب عليها السلام كأني بها:

(نصاري)

يـحسين راسك حـين شـفته　　تلعب عصى ايزيد على شفته
ذاك الوكت وجـهي لطـمته　　صـدّيتله ابـحرگه ونـدهته
شلّت يمينك يلضربته

(ابوذيّه)

هضمنه ما جرى اعلى احد وشافه　　برى بـينه العـدو جـرحـه وشـافه
عـلى راس السـبط تـلعب وشـافه　　عصى يزيد ويسب حامي الحـميّه

* * *

أيهدىٰ إلى الشامات رأس ابن فاطم　　ويـنكته بـالخيزرانـة كـاشحه

المطلب العاشر

في سبب عداوة يزيد بن معاوية مع الحسين عليه السلام

الأضغان أصلية وفرعية، أمّا الأصلية فهي ما وقع بين هاشم وعبد شمس، لأنهما ولدا توأمين وقد التصقت إبهام رجل هاشم بجبهة عبد شمس، ففرق بينهما بالسيف وخرج الدم فتفؤل بوقوع العداوة بين ذريتهما، ومن هنا كانت العداوة بين حرب بن امية وبين عبدالمطلب بن هاشم، وبين النبي صلى الله عليه وآله وسلم وبين أبي سفيان بن حرب، وبين علي عليه السلام وبين معاوية.

وأمّا سبب عداوة يزيد بن معاوية مع الحسين فإنها فرعية[1].

يروى أنّه كانت امرأة تسمى ارينب بنت إسحاق زوجة لعبدالله بن سلام، بارعة في الجمال، وكانت مثلاً لأهل زمانها لحسنها وجمالها، فعشقها يزيد بن

---

(١) ذكر هذه القصة «محمّد بن مسلم بن قتيبة» في كتاب (الإمامة والسياسة) و«النويري» في (نهاية الإرب)، وذكرها صاحب (المستطرف)، وغيرهم من المؤرخين على اختلاف بسيط شأن أرباب التأريخ. انظر: الإمامة والسياسة: ١/٢١٦، وثمرات الأوراق (بهامش المستطرف): ١/١٩٦، ونهاية الإرب: ٦/١٨٠ ـ ١٨٥، وتاريخ الطبري: ٢/٢٥٢ ـ ٢٥٤، وطبقات ابن سعد: ١/٧٦، والمستطرف، وفصل النزاع والتخاصم فيما بينى بني أُمية وبني هاشم للمقريزي: (٦، ١٨، ٣٨)، والنصائح الكافية للشريف اليمني السيد ابن عقيل: (هامش ص٩٧)، والأرجوزة اللطيفة لأحمد خيري: ٢٠ ـ ٢١ (الأبيات ٣٧ ـ ٣٩).

معاوية وهام بها حتى مرض مرضاً شديداً، فلما نظر إليه معاوية وهو بتلك الحالة ظن أنّه قد أصابه مرض أعيى الأطباء عن معالجته، وقد قيل له: إنّ ولدك هذا عاشق، ولا تنفعه معالجتنا، وهو لا يبرء حتى تأتيه بطلبته، فانظر ما بُغيته وما طلبته، فاذا أتيت به إليه فإنه يبرء؛ فدعا معاوية عبداً له يدعى سرجون، وقال له: اختل مع يزيد واسألهُ ما بغيته وما طلبته؟ فاختلى به سرجون، فأطلعه يزيد على ذلك، فجاء سرجون وأخبر معاوية أنّه عاشق لأرينب بن إسحاق، فأخذ معاوية يدبر الحيلة في إيصالها له بكل طريق، فأرسل إلى زوجها عبدالله بن سلام «أنّي قلبت الأمر ظهراً لبطن[1] ونظرت فرأيت أنّ أهل الشام أوباش، وأنّهم لا يليقون لهذا الأمر وقد وجدتك مستحقاً للخلافة فأقدم إلينا حتى أجعلك ولي عهدي».

فلمّا ورد الكتاب على عبدالله بن سلام فرح وسرَّ سروراً عظيماً، وتجهز من وقته وساعته وجعل يجدُّ السير ليلاً ونهاراً، حتى إذا وصل الشام وبلغ معاوية قدومه خرج لاستقباله هو وحفدته كأبي الدرداء وأبي هريرة ونظائرهما، فلمّا نظر عبدالله إلى ذلك اطمأن قلبه وفرح، ثمّ جيء به الى دار من دور معاوية فأنزل فيها، وبقي بالشام مدّة من الزمن، فقال له معاوية يوماً: أريد أن أزوّجك ابنتي حتى تكون الخلافة لك من بعدي، ـ وكان ذلك على يد أبي الدرداء[2] وأبي هريرة ـ

---

(١) يعني أمر الخلافة وولاية العهد.

(٢) أبو الدرداء هو: عامر بن زيد الأنصاري، كان صحابياً، وكان يعد من ثلاثة علماء أهل الأرض، قال ابن قتيبة: إنّ أبا الدرداء وأبا هريرة جاءا لعلي ـ ولقد بعثهما معاوية ـ فقالا لعلي: إنّ لك فضلاً لا يدفع، وقد سرت مسيرة فتى إلى سفيه من السفهاء، ومعاوية يسألك أن تدفع إليه قتلة عثمان، فإن فعلت ذلك وقاتلك كنا معك؛ فقال عليه السلام: أتعرفانهم؟ قالا: نعم، فقال عليه السلام: فخذاهم، فأتيا محمّد بن أبي بكر وعمار بن ياسر والأشتر فقالا: أنتم من قتلة عثمان قد أُمرنا بأخذكم، قال: فخرج إليهم أكثر من عشرة آلاف رجل فقالوا: نحن قتلة ←

فقبل عبدالله، فأخبرا معاوية بذلك وجاء معاوية إلى ابنته وقال لها: إذا أتاك أبو الدرداء وأبو هريرة ليخطباك لعبدالله فقولي لهما: إنّ عبدالله كفؤ كريم، وقريب حميم، غير أنّه تحت أُرينب بنت إسحاق وأنا خائفة أن يعرض لي من الغيرة ما يعرض للنساء، فأتولّى منه ما أسخط الله فيه فيعذّبني عليه، ولست بفاعلة حتى يفارقها، وإذا طلّقها رضيت به بعلاً.

ثم إنّ أبي الدرداء وأبا هريرة جاءا إلى معاوية وقالا له: قد أخبرنا عبدالله وسرَّ سروراً عظيماً، فقال لهما معاوية: أن ادخلا على ابنتي وكلّماها في هذا الأمر؛ فدخلا عليها، وعرضا عليها ما ارتضاه لها أبوها، فقالت لهما بالّذي علّمها أبوها، فجاءا لمعاوية وأخبراه بذلك، قال: أمضيا وأعلما عبدالله ببغيتها؛ فدخلا على عبدالله وأعلماه ببغيتها قال: نعم إن زوجتي أُرينب بنت إسحاق طالق، فطلّقها بشهادتهما فرجعا لمعاوية وأخبراه، ولمّا بلغ لأرينب الخبر اعتدت بعدتها، وبقي عبدالله بالشام راجياً أن يزوجه معاوية ابنته وأن يجعله ولي عهده، فصار معاوية بعد ذلك لا يعبأ به ولا يلتفت إليه.

ولمّا أن قضت عدّة ارينب، دعا معاوية أبا الدرداء وقال له: تمضي إلى المدينة خاطباً ارينب لولدي يزيد، وليكن المهر حكمها بالغاً ما بلغ؛ فسار أبو الدرداء حتى إذا وصل المدينة فقال في نفسه: والله لا أبتدء بشيء قبل أن أزور قبر النبي صلى الله عليه وآله وسلم، فجاء ودخل مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فزار النبي صلى الله عليه وآله وسلم، ثم خرج وقال في نفسه: لأمضين إلى زيارة سيدي ومولاي الحسين عليه السلام، فلمّا رآه رحّب به وقال

عثمان، فقالا: لا نرى أمراً شديداً.

وذكر نصر بن مزاحم أنّ أبا الدرداء رجع من صفين ولم يشهد القتال. انظر: الإمامة والسياسة لابن قتيبة: ١/١٢٨، ووقعة صفين للمنقري: ١٩٠.

له: من أين أقبلت يا أبا الدرداء؟ قال: سيدي من الشام، فقال له الحسين عليه السلام: ما حاجتك؟ قال: خاطباً أُرينب ليزيد بن معاوية، فقال له الحسين عليه السلام: أجل اذكرني عندها، واجعل مهرها حكم لسانها بالغاً ما بلغ؛ فقال: أعرض عليها إن شاء الله.

ثم خرج من عند الحسين عليه السلام، فلقيه القثم بن العباس بن عبد المطلب(١)، فسأله عن سبب مجيئه فأخبره بما جاء به، فقال: اذكرني عندها؛ ثم لقيه عبدالله بن الزبير فسأله عن سبب قدومه إلى المدينة، فأخبره بذلك فقال له: اذكرني عندها؛ قال: أفعل. ثم أقبل حتى دخل عليها، فسلَّم فردّت عليه السلام ورحبّت به، فلمّا استقرّ به المجلس قال لها: يا أُرينب إني أتيت خاطباً لك؛ قالت: لمن؟ قال: لأربعة نفر للحسين بن علي بن أبي طالب، وليزيد بن معاوية، وللقثم بن العباس، ولعبدالله بن الزبير، والصداق ما تحكمين به أنت بالغاً ما بلغ. فتبسّمت، فقال لها: لا تتبسّمي ولي فيك رغبة، فقالت له: أستشيرك والمستشار لا يخون، فقال: أنا أُشير عليك، وأعرض لك الحقيقة، أمّا إذا أردت دنيا بلا آخرة فعليك بيزيد بن معاوية، وإن كنت تريدين الجمال والبهاء فعليك بالقثم بن العباس، وإن كنت تريدين الشجاعة والبسالة فعليك بابن الزبير إلّا أنّه بخيل، وإن كنت تريدين شرف الدنيا والآخرة فعليك بالحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام، وإن كنت

---

(١) القُثَم بن العباس بن عبدالمطلب: ولد على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وليست له رواية عنه لأنّه كان صغيراً، وكان من خواص أميرالمؤمنين عليه السلام، وكان عامله على مكّة، وكتب إليه في بعض كتبه: «أقم للناس الحج، وذكّرهم بأيّام الله، واجلس لهم العصرين، فأفت المستفتي وعلّم الجاهل وذاكر العالم ... إلى آخر كلامه عليه السلام»، ومنها يُعرف جلالة قدره وعدالته وثقة أميرالمؤمنين عليه السلام به، [انظر نهج البلاغة: ٣: ١٤٠/٦٧]. وفي رجال الشيخ الطوسي: ٧/٥٥، وفيه: في بعض النسخ المعتبرة قبره بسمرقند؛ وفي المعارف: ١٢٢، قال ابن قتيبة: قتل بسمرقند.

تريدين لا دنيا ولا آخرة فعليك بي. قالت: إعقدها للحسين بن علي عليه السلام؛ فعقدها أبو الدرداء للحسين عليه السلام، وبذل لها الحسين عليه السلام أموالاً جزيرة، وأفرغ لها داراً وأعزّها وأكرمها، ولم يصل إليها ولم يدخل بها، وأمّا عبدالله بن سلام فإن معاوية تركه وقطع عنه روافده لسوء قوله فيه، وأسقط ما في يديه، فرجع إلى المدينة وقد بلغه ما فعل الحسين عليه السلام سرَّ سروراً عظيماً، حيث أنّها لم تصل ليزيد بن معاوية، فصادف الحسين في الطريق فسلّم عليه وقبّل يديه، فقال له الحسين عليه السلام: يا عبدالله ما فعل بك معاوية؟ قال: سيدي ما لا خفاء به عليك. فقال له الحسين: ألك حاجة عند ارينب؟ قال: نعم، أُودعت عندها حقاً، وفيه شيء من الدر، سيدي أسألها لعلّها تردّه عليَّ. وكان يظنّ أنّها تجحده لطلاقها من غير سبب كان منها له، فقال له الحسين: امض بنا إليها؛ فمضى عبدالله يمشي خلف الحسين عليه السلام، حتى وافيا المنزل فصاح الحسين عليه السلام: ربة الخدر أرسلي عليك جلبابك؛ فأرسلت عليها جلبابها ثم سألها الحسين عليه السلام عن الحق، قالت: نعم هو عندي ولا أعلم بما فيه، وأنّه مختوم بخاتمه. ثم قامت ودخلت الحجرة وجاءت بالحق فوضعته بين يدي الحسين، فلمّا نظر إليه عبدالله وإلى ختمه على حالته بكى، فقال له الحسين: ممَّ بكاؤك؟ قال: سيدي لحسن وفائها وأنّها لم تخنّي بشيء قط منذ كانت عندي، وأبكي أسفاً على ما ابتليت به. فقال له الحسين عليه السلام: أتحب أن ترجع إليك؟ فسكت عبدالله؛ فقال الحسين عليه السلام: أشهد الله أنّها طالق ثلاثاً، اللَّهمَّ إنّك تعلم أنّي لم أستنكحها رغبة في مالها ولا في جمالها ولكنّي أردت إحلالها لبعلها.

قال الراوي: ولم يأخذ الحسين عليه السلام مما ساق لها من مهرها قليلاً ولا كثيراً، وكان عبدالله سأل ارينب التعويض على الحسين عليه السلام، فأجابته إلى ذلك شكراً لما صنعه، فلم يقبل الحسين عليه السلام وقال: الذي أرجو عليه الثواب خير لي منه؛ فلمّا

انقضت اقراؤها تزوجها عبدالله بن سلام، وعاشا متحابين حتى قبضهما الله تعالى[1].

قال الراوي: ولمّا بلغ يزيد بن معاوية صنع الحسين عليه السلام عظم ذلك عليه، وبقي قلبه يغلي على الحسين عليه السلام كالمرجل، وكادت شظايا قلبه أن تخرج مع نفسه، لذا لمّا هلك معاوية كتب يزيد إلى الوليد بن عتبة بن أبي سفيان، وكان والياً على المدينة أن خذ من أهل المدينة البيعة لي عامة، ومن الحسين خاصة، وإن أبىٰ فليكن جواب كتابي هذا مع رأس الحسين بن علي بن أبي طالب.

ولمّا خاف الحسين عليه السلام أن تهتك حرمة جدّه خرج من المدينة بأهله وعياله، كما قال السيد جعفر رحمه الله:

خرج الحسين من المدينة خائفاً — كخروج موسى خائفاً يتكتّم

أقول: فلو كان الحسين خائفاً من أحد للزم غير الجادة، كما فعل ابن الزبير وأخوه فإنهما هربا على طريق الفرع، والحسين عليه السلام أشاروا عليه في ذلك وقالوا له: لو تنكّبت الطريق كما فعل ابن الزبير لئلّا يلحقك الطلب؟ فقال: لا والله، لا أُفارق الطريق الأقوم حتى يقضي الله ما هو قاض.

ولكنّه إنّما خرج ليلاً خوفاً على حرمه لئلّا تقع عليهنّ عيون الأجانب، لذا قال السيد جعفر رحمه الله:

خرج الحسين من المدينة خائفاً — كخروج موسى خائفاً يتكتم
وقد انجلى عن مكة وهو ابنها — وبه تشرّفت الحطيم وزمزم

---

(١) انظر الإمامة والسياسة لابن قتيبة: ٢١٦/١، وثمرات الأوراق في المحاضرات: ١٩٦/١.

لم يدر أين يـريح بـدن ركـابه فكأنما المأوى عليه محرم[(١)(٢)]

(١) انظر ديوان السيّد جعفر الحلي رحمه الله.

(٢) (حدي)

يـوم الذي راعـي الشيم انــوه يشــد الراحــله
جــاب المحامل للحرم كـل فـرد وجّـه حـيد اله
طب لعـد زيـنب مبتسم عـباس راعـي المرجـله
گــاللها يـا ضنوة علي گـومي نـريد الكـربله
گــالتله خـويه محملي يـا هـو الذي يـتچفّله
گــاللها عـيناچ ابشـري امــرچ نــود نـتمثّله
طلعن او عـباس ايـحدي والزمـل ضـج اهلاهله
كل سـاع وعـباس ونـزل مـحمل الحـرّة ايـعدّله
صـد له لحسـين ونـاشده شـنهي نـزلتك بـالفله
گــلّه يـخويه نـزلتي تـدري بـختنه امـدلّله
مـا تـحمل الذل والهـظم نشات عـلى العـز والعـله
ريتك يـا عـباس اتـحضر يـوم اطـلعت مـن كـربله
سـترت وجـهها اچـفوفها والدمعه على الخد سـايله

(نصاري)

آنه بگيت محيّره واصفگ باليدين لا عـباس يـبرالي ولا حسـين
يضربوني من ابچي وتدمع العـين وتبگه عـبرتي ابـصدري تكسّـر

(تخميس)

هذه زينبُ ومن قـبل كـانت بـفنا دارهـا تـحطُّ الرحـالُ
أضحت اليوم واليتامى عليها يـالقومٍ تـصدّق والأنـذالُ

المطلب الحادي عشر

في مراسلة أهل الكوفة للحسين ووصية معاوية ليزيد

وروى المفيد رحمه الله قال: لمّا قضى الحسن بن علي عليهما السلام اجتمع نفر من أهل الكوفة في دار سليمان بن صرد الخزاعي[1]، وكتبوا إلى الحسين عليه السلام كتاباً يعزونه

---

(١) سليمان بن صرد الجون الخزاعي:
كان صحابياً، اسمه في الجاهلية: يسار، فسمّاه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم سليمان ويكنى أباالمطرف، ونقل الكشي عن الفضل بن شاذان: أنّه كان من التابعين الكبار ورؤسائهم وزهادهم، وقال ابن الأثير في أُسد الغابة في «ترجمة سليمان»: وكان له قدر وشرف في قومه، وشهد مع علي بن أبي طالب مشاهده كلها، وهو الذي قتل حوشباذاظليم الألألهاني بصفين مبارزة، وكان فيمن كتب إلى الحسين عليه السلام بعد هلاك معاوية يسأله القدوم إلى الكوفة، فلما قدمها كان في حبس ابن زياد، فلمّا قتل الحسين عليه السلام ندم هو والمسيب بن نجية الفزاري وجميع من خذله ولم يقاتل معه، وقالوا ما لنا توبة إلا أن نطلب بدمه، فخرجوا من الكوفة مستهل ربيع الآخر سنة أربع وستين، وولوا أمرهم سليمان وسموه أمير التوابين وساروا إلى عبيدالله بن زياد، وكان قد سار من الشام في جيش كثير يريد العراق فالتقوا بعين الوردة من أرض الجزيرة وهي رأس عين، فقتل سليمان والمسيب وكثير ممن معهما، وحمل رأسيهما إلى مروان بن الحكم بالشام وكان عمر سليمان حين قتل ثلاثاً وتسعين سنة. انظر: رجال الكشي: ١٢٤/٩٦، وأُسد الغابة: ٣٥١/٢، والإصابة: / رقم (٣٤٥٠)، وتاريخ الإسلام للذهبي: ١٧/٣، والأعلام للزركلي: ١٢٧/٣، وتاريخ من دفن في العراق من الصحابة (للمؤلف رحمه الله): ٢١٩.

فيه بوفاة أخيه الحسن عليه السلام، وهو:

بسم الله الرحمن الرحيم

إلى الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام.

من شيعته وشيعة أبيه، أمّا بعد...

«فقد بلغنا وفاة أخيك الحسن عليه السلام، فرحمه الله، وضاعف حسناته بدرجة جدّه محمّد صلى الله عليه وآله وسلم، وأبيه علي عليه السلام، وضاعف لك الأجر بالمصاب، فعند الله نحتسبه، فانّا لله وإنّا إليه راجعون ممّا أُصيب به هذه الأُمّة عامة، ورزيت به خاصة، فاصبر يا أبا عبدالله، فانّ ذلك من عزم الأمور، وإنّك والحمد لله خلف لمن كان قبلك، وإنّ الله يعطي رشده لمن سلك سبيلك، ونحن شيعتك المحزونون بحزنك، والمسرورون بسرورك، والمنتظرون لأمرك، والسلام»[1].

ثم صار الناس يقولون: إن هلك معاوية لم نبدل بالحسين أحداً، وصاروا يختلفون إليه، فبلغ ذلك معاوية، فكتب إلى الحسين عليه السلام كتاباً يقول فيه:

بسم الله الرحمن الرحيم

من معاوية بن أبي سفيان

إلى الحسين بن علي بن أبي طالب... أما بعد...

«فقد بلغني عنك أشياء قد انتهت إليّ، وأظنّها باطلة، ولعمري إن كان ما بلغني عنك كما ظننت، فأنت بذلك أسعد، وبعهد الله أوفى، ولا تحملني على أن أقطعك، فإنك متى تكدني أكدك، ومتى تكرمني أكرمك، ولا تشق عصى هذه

---

(١) نقول: لم نعثر على هذه المكاتبة في كتاب الإرشاد للشيخ المفيد رحمه الله، وذكرها اليعقوبي في تأريخه باختلاف يسير؛ انظر تاريخ اليعقوبي: ٢/٢١٦.

الأمة، فقد خبرتهم وبلوتهم، فانظر لنفسك ولدينك، والسلام»[١].

فلما وصل الكتاب إلى الحسين كتب إليه:

أما بعد... فقد وصلني كتابك، وفهمت ما ذكرت فيه، ومعاذ الله أن أنقض عهداً عهده إليك أخي الحسن عليه السلام، وأمّا ما ذكرت من الكلام، فإنما أوصله إليك الوشاة الملقون بالنمائم، فإنهم والله يكذبون، والسلام.

فلما وصل الكتاب إلى معاوية أمسك عنه، ولم يجبه إلى أن أحسَّ بدنوّ أجله، وكان نغله يزيد غائباً، فدعى بدواة وبياض، وكتب له وصيّة، وهي:

بسم الله الرحمن الرحيم

أما بعد... فان الله خلق كل شيء لميقات يوم معلوم، ولو خُلِّدَ في هذه الدنيا أحد، لكان رسول الله أولى بذلك، يا بني أُوصيك بوصية لا تزال بخير ما دمت حافظاً لها، اوصيك بأهل الشام فانهم منك وأنت منهم، فمن قدم عليك منهم فأكرمه، وإذا دهمك عدو سر بهم إليه، وإذا ظفرت فردّهم إلى بلدهم، فإنّهم متى أقاموا بغير بلدهم فسدوا عليك، لأنهم لا يعقلون، وانظر يا بني إلى أهل العراق في أُمورهم، فان سألوك أن تعزل عنهم في كل يوم عاملاً فافعل، فإن عزل العامل أهون عليك من شق العصى، واعلم يا بني إنّي قد وطئت لك البلاد، وذلّلت لك رقاب العباد، ولا أخشى عليك إلّا من أربعة أنفار، فإنهم لا يبايعونك، أولهم: عبدالرحمن بن أبي بكر، فانه صاحب دنيا، فمدّه بدنياه، وأعطه ما يريد.

والثاني: عبدالله بن عمر[٢]، فإنه صاحب محراب وقرآن، وقد تخلّى من

---

(١) الإمامة والسياسة: ٢٠١/١.

(٢) هو عبدالله بن عمر بن الخطاب، كان يكنّى أبا عبدالرحمن، أسلم مع أبيه بمكة وهو صغير، يروىٰ أنّه دخل على الحجاج أيام عبدالملك بن مروان وقال له: مد يدك أُبايعك لعبدالملك،

الدنيا، ولا أظنّه ينازعك في هذا الأمر.

والثالث: عبدالله بن الزبير، فإنه يراوغك مراوغة الثعلب، ويجثوا لك جثو الأسد، فإن حاربك فحاربه، وإن سالمك فسالمه، وإن أشار عليك فاقبل مشاورته.

والرابع: الحسين بن علي بن أبي طالب، يا بني فإنّ الناس لا يدعونه حتى يخرج عليك، فإن ظفرت به فاحفظ قرابته من رسول الله، واعلم يا بني أنّ أباه خير من أبيك، وأنّ أُمّه خير من أُمّك، وأنّ جدّه خير من جدّك، وللمرء ما بقلبه، وهذه وصيّتي إليك، والسلام[1].

أقول: لو أمعنا النظر إلى هذه الوصيّة الّتي أوصى بها معاوية نغله لوجدناها في الحقيقة كما يقال: (كلمة حقّ يراد بها باطل)، كأنه يريد أن يقول: لا يعزب عنك أنّ الحسين بن رسول الله وأبوه أميرالمؤمنين وأُمّه سيّدة نساء العالمين، وهو حي يرزق، والأبصار شاخصة له، وله الأهلية للخلافة، لشرفه وفضيلته، فالناس لا يتركونه حتى يبايعون له، ويخرج الأمر من يدك، فإذا ظفرت به فاقتله.

لذا كتب إلى الوليد كتاباً في أخذ البيعة له من الحسين، وإن أبى فليكن رأس الحسين مع جواب الكتاب، وبعدها كتب إلى ابن زياد في أمر الحسين عليه السلام، وكتب ابن زياد إلى قائد جيش الضلال وهو عمر بن سعد: فإذا قتلت حسيناً فأوطىء

فمدّ الحجاج إليه رجله ـ وكان نائما ـ وقال له: إصفق على هذه، وبعد هذا دسّ إليهالحجاج رجلاً من جنده فسم زجَّ رمحه والتقىٰ معه في الطريق، فزحمه وطعنه في ظهر قدمه بالزج المسموم، فتورّمت قدمه وسرى السم في جسمه فمات. انظر ترجمة (عبدالله بن عمر) في: طبقات ابن سعد: ٤/١٠٥ ـ ١٣٨، تهذيب الأسماء: ١/٢٧٨، الأعلام: ٤/١٠٨.

(١) ذكر الجاحظ في كتابه البيان والتبين وصيّة معاوية بتحريف، منها: وأمّا الحسين فإني أرجو أن يكفيكه الله بمن قتل أباه وخذل أخاه. انظر: البيان والتبيين: ٢/١٠٦.

الخيل صدره وظهره، فإنّه عات ظلوم. فكان كل ذلك بايعاز من يزيد بن معاوية، إذ أنّ ابن زياد لا يستبد برأيه، وامثل القائد بما أمره به زياد، فلمّا قتل الحسين أعطى الجيش إرادة لازمة برض الجسد الشريف، ونادى بأعلى صوته: من ينتدب للحسين فيوطىء الخيل صدره وظهره؟ فانتدبت إليه عشرة عشرة يقدمهم الأخنس عليه اللعنة، وداسوا صدر الحسين بحوافر خيولهم بمرىء من الحوراء زينب:

يا عقّر الله تلك الخيل إذ جعلت ... أعضاءه لعواديها مضاميرا
رضّت جياد الخيل صدري ان سلى ... بالطف قلبي رضّ تلك الأضلع[1]

---

(١) (نصاري)

نادى ابن سعد گوموا يفرسان ... العبوا فوگ صدر احسين ميدان
تعنّت خيل عشره الفخر عدنان ... خبوها اعلى صدره اشلون
جاسين

(دكسن)

داست خيلهم ظهر المچنّه ... بحوافرها يويلي جلبنّه
ظهره فوگ صدره رضرضنّه ... ردّن من بعد ما فعلن الشين

وزينب عليها السلام كأني بها:

(عاشوري)

يخويه فوگ اصاويبك يرضّوك ... ولا راعوا شرف جدّك ولا ابوك
عطشان عن الورد منعوك ... وچثته امعفّره فوگ الوطيّه

(ابوذيّه)

اليمّه تنصب ابعاشور عشره ... على الداست اضلوعه خيول عشره
متنسه الشابچه اعلى الراس عشره ... او متنسه اچفوف ابو فاضل وخيّه

❊ ❊ ❊

ولصدره تطأ الخيول وطالما ... بسريره جبريلُ كان موكلا

المطلب الثاني عشر

في بعض وصية معاوية وتخلف يزيد وكتابه إلى الوليد بن عتبة بالمدينة

قال أهل السير: إنّ معاوية لمّا دنا أجله بعث على نغله يزيد، وكان والياً على حمص[1]، يأمره بالقدوم إليه، فأقبل إليه الرسول وكان يزيد على سطح الدار، فسمع النحيب، نظر إلى صحن الدار فرأى الرسول واقفاً، فقال له: ويلك مات معاوية؟ قال: لا، فأنشأ [يزيد] يقول:

جاءَ البَريدُ بِقِرطاسٍ يحثُّ به ... فأوجس القلبُ من قِرطاسه جزعا

قلنا: لك الويلُ ماذا في صحيفتكم؟ ... قال الخليفةُ أضحى مدنفاً وجعا

---

(١) في ولاية يزيد (لعنه الله) على حمص، قال بها الذهبي في دول الإسلام: ٣٧.
حمص: مدينة مشهورة قديمة وكبيرة، بناها رجل يقال له: حمص بن المهر، وتقع في بلاد الشام بين دمشق وحلب، وتعتبر من المدن الإسلاميّة المهمّة، فيها مشهد أميرالمؤمنين علي عليه السلام، فيه عمود عليه موضع إصبعه عليه السلام، (هكذا يقال) ويقال أيضاً: أن فيها قبر (قنبر) مولى أميرالمؤمنين عليه السلام وقبر سفينة مولى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وبها قبور لأولاد جعفر الطيار عليه السلام، وإن شئت التفصيل أكثر فراجع معجم البلدان للحموي: ٢/ ٣٠٢ وفيه: انّ يزيد بن معاوية كان والياً عليها في خلافة أبيه.

فمادت الأرض أو كادت تميد بنا حتى كأن قوى أركانها قلعا

ثم تهيّأ للمسير من وقته وساعته، وسار إلى الشام فوجده حياً، وكان معاوية قد كتب له وصية كما تقدم، وقد كتب له في أمر الأربعة وكيف يعاملهم، وهم الحسين بن علي بن أبي طالب، وعبدالرحمن بن أبي بكر، وعبدالله بن عمر، وعبدالله بن الزبير؛ قال أرباب التاريخ:

ولما فرغ يزيد من دفنِ أبيه جلس للعزاء، فدخل عليه الناس وهم لا يدرون يعزّونه أم يهنّئونه، فتقدم إليه عبدالله بن همّام السلوي، وقال: آجرك الله يا أمير على الرزية، وبارك لك في العطية، فاشكر الله على عطيته، واصبر على عظيم رزيّته، ثم أنشأ يقول:

اصبر يزيد لقد لاقيت معضلة واشكر أيادي الّذي للملك أعطاكا

لا رزء أعظم والأقوام قد علموا لقد رزيت ولا عقباً كعقباكا

أصبحت والي جميع الناس كلّهم فأنت ترعاهم والله يرعاكا

ودخل عليه الضحّاك بن قيس الفهري، وقال: يا أمير أصبحت خليفة ورزيت بخليفة، هنيئت بالعطية وأجرت على الرزية.

ولما تمّت له الأمور كتب إلى الوليد بن عتبة بن أبي سفيان، كتاباً يأمره بأخذ البيعة له من أهل المدينة عامة، ومن الحسين بن علي، وعبدالرحمن بن أبي بكر، وعبدالله بن عمر، وعبدالله بن الزبير، خاصة[1].

وقال اليعقوبي في تأريخه: كتب إلى الوليد بن عتبة بن ابي سفيان، وهو عامل المدينة:

---

(١) المنتظم لابن الجوزي: ٥/٣٢٢، تاريخ الأُمم والملوك للطبري: ٥/٣٣٨ ـ ٣٢٨، وانظر كتاب التعازي والمراثي لابن المبرد: ١١٩ ـ ١٢١.

إذا أتاك كتابي هذا فأحضر الحسين بن علي، وعبدالله بن الزبير، فخذهما بالبيعة، فان امتنعا فاضرب عنقيهما، وابعث إليَّ برأسيهما، وخذ الناس بالبيعة، فمن امتنع فانفذ فيه الحكم، وفي الحسين بن علي وعبدالله بن الزبير، والسلام[1].

فلما وصل إليه الكتاب بعث على مروان بن الحكم، فأحضره واستشاره في أمر هؤلاء الأربعة، فقال له مروان: الرأي أن ترسل إليهم في الليل، وتدعوهم إلى البيعة، فإن فعلوا فذاك، وإلّا فاضرب عنقهم. ولمّا جنّ الليل أنفذ الوليد إليهم رسولاً، فذكر له أنهم مجتمعون عند قبر النبي صلى الله عليه وآله وسلم، فجاء إليهم وقال لهم: إنّ الأمير يدعوكم؛ فقالوا له: انصرف، نحن نأتي خلفك. فلما انصرف الرسول قال ابن الزبير للحسين عليه السلام: يابن رسول الله أتدري ما يريد منّا الوليد؟ قال عليه السلام: نعم إنّ معاوية قد مات، وقد خل نغله يزيد من بعده، وولاه الأمر، وقد وجّه في طلبكم ليأخذ منكم البيعة له، فما أنتم قائلون؟ فقال عبدالرحمن بن أبي بكر: أمّا أنا فأدخل داري وأغلق عليَّ الباب ولا أبايعه؛ وقال عبدالله بن عمر: أمّا أنا فعليَّ بقرآءة القرآن ولزوم المحراب؛ وقال ابن الزبير: أمّا أنا فلا أُبايع، حتى يصير السيف والرمح بيني وبينه؛ وقال الحسين عليه السلام: أمّا أنا فأجمع فتيتي وأتركهم بباب الدار وأدخل على الوليد، فأناظره ويناظرني، وأطالب بحقّي.

قال الراوي: ثم تفرّقا، وجاء الحسين عليه السلام إلى داره وجمع مواليه وإخوته، وهم تسعة عشر، وخرج حتى وافى دار الوليد، فقال لإخوته: أنا داخل على هذا الرجل فاجلسوا أنتم على الباب، فإن سمعتم صوتي قد علا فهجموا عليه لتمنعوه عنّي؛ ثم دخل عليه فوجد عنده مروان بن الحكم، فقام الوليد إجلالاً له، ورحّب به وأجلسه إلى جنبه، ثم أخرج إليه كتاب يزيد، ونعى إليه معاوية، ودعاه إلى

---

(١) تاريخ اليعقوبي: ٢/٢٢٩.

البيعة.

فقال الحسين عليه السلام: إنّا لله وإنّا إليه راجعون، إذن مثلي لا يبايع سرّاً، ولا أظنّكم ترضون منّي في السر، ولكن إذا خرجت إلى الناس ودعوتهم إلى البيعة كنت أوّل مبايع. وكان الوليد يحبّ حسن العواقب في الأمور، فقال له: انصرف يا أبا عبدالله على اسم الله، حتى تأتينا غداً. فقال له مروان: إن فاتك الثعلب لم تر إلّا غباره فلا تدعه يخرج حتى يبايع أو تضرب عنقه؛ فلمّا سمع الحسين كلامه وثب إليه قائماً على قدميه، وقال له: يا ابن الزرقاء[1] أنت تقتلني أم هو؟! كذبت والله وأثمت؛ ثم التفت الحسين عليه السلام إلى الوليد، وقال له: يا أمير نحن أهل بيت النبوة، ومعدن الرسالة، بنا فتح الله، وبنا يختم، ويزيد رجل فاسق شارب الخمر، ومثلي لا يبايع مثله، ولكن نصبح وتصبحون، وننظر وتنظرون، أيّنا أحقّ بالبيعة والخلافة.

فبينا هو كذلك إذ دخلوا عليه إخوة الحسين مجرّدين سيوفهم، وكأنّي بهم يقدمهم أبوالفضل العباس شاهراً سيفه، منتظراً أمر أخيه الحسين.

قال الراوي: ثم خرج الحسين من عند الوليد وقد أحدقت به إخوته، وهو يقول:

لا ذعرت السوافي فلق الصبح مغيراً ولا دعيت يزيدا

(١) الزرقاء: هي جدّة مروان وكانت مشهورة بالفجور، وكانت لمروان مع الحسين عليه السلام مواقف كثيرة، وكان شديد العداوة للحسين عليه السلام، منها: أنّه صعد يوماً على المنبر بالمدينة وقال: يا بني هاشم إنّما فخركم بامرأة وهي فاطمة وكان الحسين عليه السلام جالساً فقام إليه ولوىٰ عمامته في عنقه حتى خرج الدم من أنفه، ثم أراد قتله فأقسم الناس عليه بجدّه رسول الله صلى الله عليه وآله أن يتركه فتركه. انظر: تاريخ الطبري: ٣٣٨/٤، وتاريخ اليعقوبي: ٢٢٩/٢، وتاريخ الخميس: ٢٩٧/٢، وتاريخ ابن خلدون: ١٩/٣، والكامل في التاريخ لابن الأثير: ١٤/٤.

يوم أعطي مخافة الموت ضيما والمـنايا يـرصدنني أن أحـيدا

أقول: أجل أين كانت عنه هذه الفتية من بني هاشم لما افترق عليه أهـل الكوفة أربعة فرق، نعم كانوا بقربه مجزّرين كالأضاحي:

على الأرض صرعى من كهول وفتية فـرادا عـلى حـرِّ الصـفا وتـوام(١)

(١) وكأنّي بالحسين عليه السلام لمّا نظر إلى أصحابه صرعى مجزّرين على أرض كربلا:

(بحراني)

ظـل يـناديهم يـفرساني تـخلّوني وحـيد شالسبب عفتوا مخيّمكم او نمتوا على الصعيد

لا ولد ليه بقى يحمي حـريمي او لا عـضيد اوبـن سـعد بـعدي يسـيّر هـالحرايـر نـيّته

اشلون يا عباس تـتركني او حـريم امـحيّره عايف الخيمه يـبو فـاضل او نـايم بـالثرى

وهاي زينب عگب عينك بـالحرم مـتمرمره او تدري باليفگد عضيده اتقل يخويه حيلته

(موشح)

صاح يا زهير او يا مسلم يا هلال او يا حبيب صحبتي كلكم نسـيتوها وتـركتوني غـريب

ما تجون الها اليتامه ذوبـوني امـن النـحيب ظلّت اجثثهم تموج او تضطرب مـن نـخوته

اتصيح سامحنا يبو سكنه ترى احنا مصرّعين شـوفنا هـذا كـفوفه امگـطّعه وهـذا طـعين

صاح معذورين ياللي اعلى التراب امجزّرين واگبل عـلى امـخيمه عـزمه يـودّع نسـوته

(تخميس)

لهفي لهم وبحدِّ السيف قد صُرعوا من بعدهم للأسى والحزن ارتضعُ

بالله هل لهمُ في رجعةٍ طمعُ

نذُر عليَّ لئن عادوا وإن رجعوا لأزرعـنَّ طـريق الطـف ريـحانا

المطلب الثالث عشر

في موبقات معاوية

ذكر ابن عساكر في تأريخه، قال:

«اربع خصال كنّ في معاوية لو لم يكن فيه منهنّ إلّا واحدة لكانت موبقة[١]: إنتزاؤه على هذه الأمة بالسفهاء حتى إبتزّها أمرها بغير مشورة منهم وفيهم بقايا الصحابة وذوي الفضيلة[٢]، واستخلافه إبنه [يزيد] بعده سكّيراً خمّيراً يلبس الحرير ويضرب بالطنابير، وادّعاؤه زياداً ـ وقد قال رسول الله ﷺ: «الولد للفراش وللعاهر الحجر» ـ وقتله حجر بن عدي؛ فيا ويلاً له من حجر، ويا ويلاً له من حجر وأصحاب حجر»[٣].

---

(١) قوله تعالى: ﴿وجعلنا بينهم موبقاً﴾ أي: مهلكاً، ويوبقهنّ (أي): يهلكهنّ، ومنه: «أعوذ بك من موبقات الذنوب»، أي: مهلكاتها، من إضافة الصفة إلى الموصوف، أي: الذنوب المهلكة؛ والموبق: واد في جهنّم؛ انظر: سورة الكهف ١٨: ٥٢، ومجمع البيان: ٧٣٥/٦، ومجمع البحرين.

(٢) قال المبرّد في الكامل: ويروى أنّ يزيد بن معاوية قال لمعاوية في يوم بويع له على عهده، فجعل الناس يمدحونه ويقرظونه: يا أميرالمؤمنين انخدع الناس أم يخدعوننا؟ فقال له معاوية: كل من أردت خديعته فتخادع لك حتى تبلغ حاجتك فقد خدعته. انظر الكامل للمبرّد: ٣٠٥.

(٣) تاريخ ابن عساكر. ونقله فضيلة الاستاذ المرحوم أحمد خيري عن ابن الأثير والطبري ←

قال أرباب التأريخ: أمّا سبب قتله حجر بن عدي، فإنّه كان المغيرة بن شعبة والي الكوفة من قبل معاوية، فكان يلعن علي بن أبي طالب عليه السلام في خطبته، فيقوم له حجر بن عدي الكندي ويقول له: إنّ الفقراء محتاجون، فلو قسمت مال المسلمين عليهم لكان خير من هذا ـ وغرضه أن يهيّج عليه، حتى يمتنع من سبّ أميرالمؤمنين عليه السلام ـ فقيل له: لو ضربت عنقه فقد أهاج الناس عليك، فقال: إنّه رجل صحابي وتابعي، وما أحب أن ألقى الله بدمه، وسيأتي غيري، فيفعل معه مثل ما يفعل بي، فيتولى قتله.

حتى إذا ولى المصرين زياد بن أبيه ـ وهما الكوفة والبصرة ـ صار يلعن أميرالمؤمنين عليه السلام أمام خطبته، فيقوم له حجر ويقول له مثل ما كان يقوله للمغيرة: قسم المال على الفقراء فإنّهم محتاجون، ودع لعن علي بن أبي طالب.

فأمر زياد (لعنه الله) بقبضه، فقبض ومعه ثلاثون رجلاً وبعثه إلى معاوية، فلمّا وصلوا «مرج عذراء»[1] حبسا هناك، فأُخبر معاوية بوصولهم، فأمر معاوية بقتل حجر وبعض من كان معه وعفى عن الباقين لتشفع أقوامهم بهم، فلما قدموا

وأيضاً عن ابن عبد ربه، وذلك في أرجوزته اللطيفة: ١٩/ البيت (٣٥).

انظر: الكامل في التأريخ لابن الأثير: ٣/٢٠٩، وتاريخ الطبري: ٦/١٥٧، والإستيعاب (بهامش الإصابة): ١/١٣٤.

وفي خزانة الأدب للبغدادي نقله أيضاً، وأضافة بعدها ما نصّه: (ورُوي عن الشافعي أنّه أسرّ إلى الربيع أن لا يقبل شهادة أربعة، وهم: معاوية وعمرو بن العاص والمغيرة وزياد). انظر خُزانة الأدب للبغدادي: ٢/٥١٩.

(١) مرج عذراء: قرية بغوطة دمشق فتحها حجر بن عدي الكندي، وقتل بها (رضوان الله عليه)، وقبره بها، وفيها يقول الشاعر:

وكم من قتيلٍ يومَ عذراءِ لم يكن ... لصاحبه في أوّل الدهر قاليا

انظر معجم البلدان للحموي: ٤/٩١.

للقتل، قال حجر: أمهلوني حتى أُصلّي لربّي ركعتين، فأمهلوه، فقام حجر فتوضّأ وصلّى ركعتين، أطال فيهما ليرى الناس أنّه مسلم وموحّد، فَبِم يستحلّ معاوية قتله؟ فلم ير في ذلك اليوم من يقول له: هذا مسلم موحّد، بم تستحلّ قتله؟ ولما قتله؟ فسمعت ابنة حجر بقتل أبيها فأنشأت تقول:

ترفع أيها القمر المنير ... لعلك أن ترى حجراً يسير
يسير إلى معاوية بن حرب ... ليقتله كما زعم الأمير
تجبّرت الجبابر بعد حجر ... وطاب لها الخورنق والسدير
وأصبحت البلاد به محولاً ... كأن لم يأتها يوم مطير
ألا يا حجر حجر بني عدي ... تلقّتك السلامة والسرور
أخاف عليك ما أردى عدياً ... وشيخاً في دمشق له زئير
فإن يهلك فكلّ عميد قوم ... إلى هلك من الدنيا يصير(١)

وحدّث زكريا بن أبي زائدة، عن أبي إسحاق قال: أدركت الناس وهم يقولون: إنّ أوّل ذلٍّ دخل الكوفة هو لمّا مات الحسن بن علي عليه السلام، وقتل حجر بن عدي الكندي(٢).

إذ أنّ حجر كان ثقة، معروفاً، صحابياً، وتابعاً، شهد مع علي عليه السلام صفين،

---

(١) قيل هذه الأبيات لهند بنت زيد الأنصارية قالتها حينما ساروا بحجر إلى معاوية، وذكر بعضهم أنّ هذه الأبيات لأخت حجر، ورثاه أيضاً عبدالله بن خليفة الطائي بقوله:

أقول ولا والله أنسى فعالهم ... سجين الليالي أو أموت فأُقبرا

وكذلك رثاه قيس بن فهدان بقوله:

يا حجر يا ذاالخير والأجر ... يا ذاالفضائل نابه الذكر

انظر: ترجمة «حجر بن عدي» من بغية الطلب لابن العديم: ١٥١، ١٥٩.

(٢) تاريخ الطبري: ٥/٢٧٩، وفي آخره: ودعوةُ زياد. (أي): ادّعاء معاوية لزياد واستلحاقه بأبي سفيان.

والنهروان، والجمل، وكان من رجاله المشهورين، ولمّا قتله معاوية ندم على ما فعل، فدخل عليه رجل من الناس، وقال له: أين صار عنك أبي سفيان؟ قال له: حين غاب عنّي مثلك[١].

وكا معاوية بعدها يقول: ما قتلت أحداً إلّا وأنا أعرف فيم قتلته، ما خلا حجراً فإنّي لا أعرف بأي ذنب قتله[٢].

وروى اليعقوبي في تاريخه: قال معاوية للحسين بن علي عليه السلام: يا أبا عبدالله علمت أنّا قتلنا شيعة أبيك فحنطناهم، وكفناهم، وصلّينا عليهم، ودفنّاهم. فقال الحسين عليه السلام: حججتك ورب الكعبة، لكنّا والله إن قتلنا شيعتك، ما كفناهم، ولا حنطناهم، ولا صلّينا عليهم، ولا دفناهم[٣].

أقول: لا يخفى على العارف مغزى جواب الحسين عليه السلام، كأنّه يقول: إنّ أصحاب أبي إسلام، وأصحابك ليسوا بإسلام.

وذكر اليعقوبي أيضاً: قالت عائشة لمعاوية حيث حج، ودخل إليها: يا معاوية أقتلت حجراً وأصحابه؟ فأين عزب حلمك عنهم؟ أمّا إنّي سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: «يقتل بمرج عذراء نفر يغضب لهم أهل السماوات»[٤] قال: لم يحضرني رجل رشيد يا أم المؤمنين. ويروى أنّ معاوية كان يقول: ما أعدّ نفسي

---

(١) انظر ترجمة حجر بن عدي الكندي في كتاب الصاحب كمال الدين عمر بن أحمد بن أبي جرادة، المعروف «بابن العديم» المتوفى (سنة ٦٦٠ هـ) والمطبوع مستلاً من كتابه: بغية الطلب في تاريخ حلب، بتحقيق الدكتور سهيل زكّار.

(٢) وكان قتل حجر سنة إحدى وخمسين، وقيل سنة ثلاث وخمسين من الهجرة.
انظر: المنتظم لابن الجوزي: ٥/٢٤١، وتاريخ الطبري: ٥/٢٥٣، والكامل في التأريخ لابن الأثير: ٣/٢٠٩.

(٣) تاريخ اليعقوبي: ٢/٢١٩.

(٤) كنز العمال للمتقي الهندي: ١١/٣٠٨٨٧، مثله.

حليما بعد قتلي حجراً وأصحاب حجر[١].

وأمّا استلحاقه زياد بن أبيه وقد كان زياد يدّعي لجماعة، وكان أخطب الناس وألسنهم فخاف معاوية عاقبة أمره لأنه كان يتشيّع ويرى ولاية علي بن أبي طالب، ولمّا قتل أميرالمؤمنين عليه السلام استمال الناس لولده الحسن عليه السلام، فخاف منه معاوية، فاستلحق زياداً به لأنّ أباه أبا سفيان كان من جملة الذين وقعوا على أُمّه سمية ـ فكان ما كان من أمرها ـ فرغبه معاوية بالمال وألحقه به[٢]، ونسى قول النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «الولد للفراش وللعاهر الحجر»[٣].

وأمّا استخلافه يزيد (لعنه الله) من بعده وأخذ البيعة له، فقد رواه المؤرخون كمحمّد بن عبدالله بن مسلم بن قتيبة في كتاب الإمامة والسياسة، قال:

لم يلبث معاوية بعد وفاة الحسن بن علي عليه السلام إلّا يسيراً حتى بايع ليزيد بالشام، وكتب بيعته إلى الآفاق وإلى عمّاله، وكان عامله على المدينة مروان بن الحكم، فكتب له يأمره أن يجمع من قبله من قريش وغيرهم من أهل المدينة، ثم ليبايعوا يزيداً.

فلمّا قرأ مروان كتاب معاوية أبى ذلك، وأبته قريش، فكتب له: إنّ قومك قد أبوا إجابتك إلى بيعتك يزيد، فأرني رأيك، والسلام. فلمّا بلغ معاوية كتاب مروان عرف أنّ ذلك من قبله، فعزله واستعمل سعيد بن العاص[٤].

---

(١) تاريخ اليعقوبي: ٢/٢١٩ ـ ٢٢٠.

(٢) تاريخ اليعقوبي: ٢/٢٠٧ ـ ٢٠٨.

(٣) رواه الترمذي في سننه: ٥: ٢١٢٠/٤٣٣ و٢١٢١/٤٣٤ ـ الباب (٥) ـ كتاب الوصايا.
ورواه السيوطي في الجامع الصغير: ٢: ٩٦٨٨/٧٢٣، وغيرهما بأسانيد أُخرى، وهو من الأحاديث المتواترة والمسلّم على صحّتها عند المسلمين عامة وخاصة.

(٤) الإمامة والسياسة: ١/١٩٧.

قال أهل السير: وأمر معاوية أن يأتيه من كل مصر وفد إليه، فلما أن وفدت عليه الوفود قال للضحاك بن قيس الفهري: لما تجتمع الوفود عندي، أتكلم فإذا سكت فكن أنت الذي تدعو إلى بيعة يزيد، وتحثّني عليها. فلمّا جلس معاوية للناس، وتكلّم فعظّم الإسلام وحرمة الخلافة وحقّها، وما أمر الله بها، ثمّ ذكر يزيد وفضله وعلمه بالسياسة، وعرض بيعته عليهم، فقام الضحاك وقال: يا أميرالمؤمنين إنّه لابد للناس من والٍ بعدك، ويزيد ابن أميرالمؤمنين في حسن هديه، وقصد سيرته، وهو من أفضلنا علماً، وحلماً، فولّه عهدك، واجعله علماً لنا بعدك؛ قال:

وقام عمرو بن سعيد الأشدق وتكلّم بنحو من ذلك؛ وقام يزيد بن المقفع العذري، فقال: هذا أميرالمؤمنين ـ وأشار إلى معاوية ـ فإن هلك فهذا ـ وأشار إلى يزيد (لعنه الله) ـ ومن أبى فهذا ـ وأشار إلى سيفه ـ، فقال معاوية: اجلس فأنت سيد الخطباء.

وقال معاوية للأحنف بن قيس[١]: ماتقول ياأبابحر؟ فقال: نخافكم إن صدقنا، ونخاف الله إن كذبنا، وأنت يا أمير أعلم بيزيد في ليله ونهاره، وسرّه وعلانيته[٢].

وروى أبو جعفر الطبري، قال:

بايع الناس ليزيد بن معاوية (لعنه الله)، غير الحسين بن علي بن أبي طالب، وعبدالله بن عمر، وعبدالله بن الزبير، وعبدالرحمن بن أبي بكر[٣].

---

(١) هو أبو البحر، واسمه: الضحاك، وقيل: صخر بن قيس بن معاوية بن حصين بن عبادة بن النزال ابن مرّة بن عبيد بن الحارث بن عمرو بن كعب بن سعد بن مناة بن تيم التميمي السعدي، والأحنف إنّما كان لقبه لأنّ برجله حنف ـ أي اعوجاج رجليه ـ وكان مع أمير المؤمنين عليه السلام في صفين وتوفي سنة (٦٧)، أُنظر تاريخ من دفن في العراق من الصحابة: ١٣.

(٢) الكامل في التاريخ لابن الأثير: ٣/٥٠٧.

(٣) في المصدر زيادة: وابن عباس، انظر تاريخ الطبري: ٥/٣٠٣.

أمّا ابن الزبير فإنّه هرب إلى مكة على طريق الفرع هو وأخوه جعفر، وليس معهما ثالث، وأرسل الوليد خلفه أحد وثمانين راكباً فلم يدركوه، وخرج الحسين من المدينة إلى مكة فسمع يزيد (لعنه الله) بذلك، فغضب على الوليد لصنعه، وعزله عن المدينة، وولّاها عمر بن سعيد الأشدق، فدخلها في شهر رمضان سنة ستين من الهجرة، وأمّا الحسين فإنّه خرج من المدينة بفتيته كما قال الشاعر:

في عصبة من هاشم علوية — طهرت أرومتهم وطاب المولد
ساروا ولولا قضاء الله يمسكهم — لم يتركوا لبني سفيان من أثر[1]

---

(١) (نصاري)

طلعوا آل هاشم عن وطنهم — وظل خالي حرم جدّهم بعدهم
ساروا ابليلهم وابعد ظعنهم — ولن صوت العليله ابگلب محتر
دريضوا هنا يهلنه للعليله — يهلنه افراگكم ما ليش حيله
يهلنه بعدكم ما نام ليله — او عيني من بعدكم دوم تسهر
يهلنه خلّوا خويه الطفل بالله — يظل عندي وارحوا وداعة الله
يهلنه امن المرض گلبي تگلّه — يهلنه خلّوا خويه الطفل وسدر
بچن ويلي ونادنها دخلّيه — اهلها وبحضن أُمّه درديه
طفل او فراگ أُمّه يصعب عليه — ولا أُمّه على فرگاه تصبر
صاح يحسين يا فاطم درديّ — درديّ للمدينة وطن جدّي
اوديّ لچ على ابني او چبدي — اولابد ما تجي يمّچ امخبر

(دكسن)

ردّت للمدينه او سار ابوها — او ظلّت ترتقب عمها واخوها
ظنّت فاطمه لنهم يجوها — اخوها والبطل عمها المشكّر

(تخميس)

مَنْ منشد لي عن صحب هُنا نزلوا — مثل البدور بها الأنوار تشتعل
من طيبةٍ طلعوا في كربلا أفِلُوا
بالأمس كانوا معي واليوم قد رحلوا — وخلّفوا في سويد القلب نيرانا

المطلب الرابع عشر

في زيارة الحسين عليه السلام قبر جدّه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ووداعه

ذكر صاحب مدينة المعاجز وغيره:

لمّا همّ الحسين عليه السلام على الخروج من المدينة إلى مكة أقبل في نصف الليل إلى قبر جده رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقف باكياً، وقال: «السلام عليك يا رسول الله، أنا الحسين بن فاطمة، فرخك وابن فرختك، وسبطك الّذي خلّفتني في أُمّتك، فاشهد عليهم يا رسول الله أنّهم قد خذلوني، وضيّعوني، ولم يحفظوني، وهذه شكواي إليك حتى ألقاك». ثم قام عليه السلام وصفّ قدميه، ولم يزل تلك الليلة قائماً وقاعداً، وراكعاً وساجداً.

وأرسل الوليد إلى منزله رسولاً لينظر أخرج الحسين عليه السلام من المدينة أم لا، فجاء الرسول فلم يصبه في منزله، ورجع فأخبر الوليد بذلك فقال: الحمد لله الّذي أخرجه ولم يبتلني بدمه.

قال الراوي: وعند الصباح رجع الحسين عليه السلام إلى منزله، وفي الليلة الثانية خرج إلى القبر أيضاً، فصلّى عنده ركعات، ولمّا فرغ من صلاته جعل يقول: «اللّهمّ إنّ هذا قبر نبيّك محمّد صلى الله عليه وآله وسلم، وأنا ابن بنت نبيّك، وقد حضرني من الأمر ما قد علمت، اللّهمّ إنّي أُحبّ المعروف وأنكر المنكر، وأنا أسألك يا ذاالجلال والإكرام بحقّ القبر ومن فيه، إلّا اخترت لي ما هو لك رضى ولرسولك صلاح». ثم جعل يبكي عند القبر حتى إذا كان قريباً من الصباح وضع رأسه على القبر فأغفى،

فإذا هو برسول الله ﷺ قد أقبل في ركباً من الملائكة ورعيل[١] من الأنبياء، عن يمينه، وعن شماله، ومن خلفه، وبين يديه، حتى ضمّ الحسين إلى صدره، وقبّل ما بين عينيه، وقال: «حبيبي يا حسين كأنّي أراك عن قريب مزمّلاً بدمائك، مذبوحاً بأرض كرب وبلا، في عصابة من أُمّتي، وأنت مع ذلك عطشانا لا تسقىٰ، وظمئاناً لا ترویٰ، وهم مع ذلك يرجون شفاعتي، لا أنالهم الله شفاعتي يوم القيامة، حبيبي يا حسين إنّ أباك وعمّك وأخاك قدموا عليَّ، وهم مشتاقون إليك، وإنّ لك في الجنان لدرجات لن تنالها إلّا بالشهادة».

قال الراوي: فجعل الحسين عليه السلام يبكي، ويقول: يا جداه لا حاجة لي بالرجوع إلى الدنيا، خذني إليك وأدخلني معك في قبرك:

ضمّني عندك يا جدّاه في هذا الضريح ... علّي يا جد من بلوى زماني أستريح
ضاق بي يا جد من فرط الاسى كلّ فسيح ... فعسى طود الأسى يندك بين الدكّتين
جدُّ صفو العيش من بعدك بالأكدار شيب ... وأشاب الهمُّ رأسي قبل أبان المشيب
فعلىٰ من داخل القبر بكاء ونحيب ... ونداء بافتجاع يا حبيبي يا حسين
أنت يا ريحانة القلب حقيق بالبلا ... إنّما الدنيا أُعدّت لبلاء النبلا
لكن الماضي قليل بالذي قد أقبلا ... فاتّخذ درعين من حزم وعزم سابغين
ستذوق الموت ظلما ظاميا في كربلاء ... وستبقى في ثراها ثاوياً منجدلا
وكأنِّ بلئيم الأصل شمر قد علا ... صدرك الطاهر بالسيف يحزّ الودجين
وكأنّي بالأيامىٰ من بناتي تستغيث ... لغباً تستعطف القوم وقد عزّ المغيث[٢]
قد برىٰ أجسامهنّ الضرب والسير الحثيث ... بينها السجاد في الأصفاد مغلول اليدين[٣]

---

(١) الرعيل: اسم كل قطعة متقدمة من خيل أو رجال أو طير، جمعه: رعال. انظر: القاموس المحيط.

(٢) لغب: «وَتَلغَّبَ السيرُ فُلاناً» أتعبه أشد التعب. انظر: مجمع البحرين.

(٣) للدمستاني رحمه الله، انظر: ديوان الدمستاني.

فقال له النبي صلى الله عليه وآله وسلم: لابد لك من الرجوع إلى الدنيا حتى ترزق الشهادة وما قد كتب الله لك فيها من الثواب الجزيل والثناء الجميل، حبيبي يا حسين فإنّك وأباك وعمّك وعمّ أبيك تحشرون يوم القيامة في زمرة واحدة حتى تدخلون الجنة.

قال الراوي: فانتبه الحسين عليه السلام من نومه فزعاً مرعوباً، ورجع إلى منزله وقصّ رؤياه على أهل بيته وبني عبدالمطلب، فلم يكن في ذلك اليوم في مشرق ولا مغرب أهل بيت أشد غمّاً من آل بيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ولا أكثر باك وباكية، لأنهم يريدون أن يفارقوا سيدهم وزعيمهم، وهم مع ذلك يعلمون أنّ ذاك أمر من الله ومن رسوله، إذ يقول له جدّه في منامه: يا بني لا بد لك من الرجوع إلى الدنيا حتى ترزق الشهادة وما قد كتب الله لك فيها من الثواب الجزيل والثناء الجميل. فكأنّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم يقول له: أي بني إنّ حياة هذه الأمّة بشهادتك.

في الحقيقة إنّ الحسين عليه السلام صار هو المعلم الروحاني لأمّة جدّه، فأخرج الناس من ظلمات الجهل إلى نور الهداية بقتله كما تشير بذلك الزيارة:

«أخرج عبادك من الجهالة وحيرة الضلالة، والذي جرى عليه عليه السلام نزلت به صحف مكرمة وذلك عند موت النبي صلى الله عليه وآله وسلم».

يروى أنّه استدعىٰ عليا، وأعطاه أثنى عشر صحيفة. وقال: «يا علي هذه الصحف مختومة من رب العزة لك وللأئمّة من ذريّتك، فانظر أنت ما في صحيفتك واعمل بها». فكان أميرالمؤمنين عليه السلام بعد وفاة النبي صلى الله عليه وآله وسلم ينظر في صحيفته ويعمل على ما فيها.

ولمّا حضرته الوفاة استدعى ولده الحسن عليه السلام، وأعطاه أحد عشر صحيفة وأخبره بذلك، ولمّا أخذ الحسن عليه السلام صحيفته عمل على ما فيها وبما أُمر به إلى أن حضرته الوفاة استدعى الحسين عليه السلام وأعطاه عشرة صحائف وأخبره بذلك، فعمل الحسين على ما فيها وبما أُمر به، حتى إذا جاء كربلاء وقتلت إخوته وأولاده وأنصاره وبقي وحيداً فريداً، ناداه مناد: «يا حسين أين العهد، بع نفسك وأنا

المشتري». فقام عليه السلام في ذلك المقام الرهيب ووقف تجاه أعدائه وهم يريدون قتله، ولمّا حمل عليهم ونازلهم، وقاتلهم مقاتلة الأبطال حتى دمّر فيهم وأزالهم عن مواقفهم، فقلّب القلب على الجناحين، والظهير على الكمين، ولمّا نظر قائد الجيش إلى الشجاعة الحسينية قال لأصحابه وهو مشرف على الميدان ينظر إلى الحسين عليه السلام: والله لإن بقي الحسين على هذه الحالة أفنانا عن آخرنا، انظروا كيف الحيلة إلى قتله؟

فقال شبث بن ربعي: يا أمير الحيلة أن تأمر الجيش فيفترق عليه أربعة فرق، فرقة بالسيوف، وفرقة بالرماح، وفرقة بالسهام، وفرقة بالحجارة؛ فأنفذ ابن سعد ما أشار عليه شبث بن ربعي، ونادا منادي العسكر: افترقوا عليه أربعة فرق، فرق بالسيوف والرماح والسهام والحجارة.

فوجّهوا نحوه في الحرب أربعة — السهم والسيف والخطي والحجرا[1]

---

(١) (نصاري)

دار العسكر على احسين يا حيف — ناس بالرماح او ناس بالسيف
يشبه دورها على الليث المخيف — بياض العين بصبيها ايتدور
تلگّه انبالها احسين ابوريده — نوب بالضلوع او نوب بيده
تلايم غيمها واثجل رعيده — او بالزانات فوگ احسين يمطر
ثكل ما يندره ابنشابها امنين — يجيه اُوژانها يخطف على احسين
سهم بيده او سهم بحاجب العين — يويلي وافغرت روحه امن الحر

(دكسن)

صار اشبيح بيه امن المنيّه — ألف نبله يويلي او تسع ميّه
وگف تبة نبل بالغاضريّه — اوزور ارماح شابچ عيب ينطر

* * *

وقف الطرف يستريح قليلاً — فرماه القضا بسهم مُتاحِ
فهوى العرش للثرىٰ وادلهمّت — برمادِ المصابِ منها النّواحي

المطلب الخامس عشر

في وداع الحسين عليه السلام للهاشميين والهاشميات

وترجمة أُمّ سلمة

يا بنفسي مودّعين وفي العين	بكاها وفي القلوب لظاها
من بحور تضمّنتها قبور	وبدورٍ قد غيّبتها رباها
ركبهم والقضا بأضغانهم يسـ	ـري وحادي الردى أمام سراها
والمساعي من خلفهم نادبات	والمعالي مشغولة بشجاها
ساكبات الدموع لا تتلاقى	بين أجفانها وبين كراها

كان يوم خرج الحسين عليه السلام من مدينة جدّه صلى الله عليه وآله وسلم أعظم يوم على الهاشميين والهاشميات، إذ أنّ الحسين كان سلوة لهم عن جدّه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وعن أبيه أميرالمؤمنين عليه السلام، وعن أخيه الحسن عليه السلام، فأقبلت الهاشميات ونساء بني عبدالمطلب إلى دار الحسين عليه السلام لوداعه والتزوّد به ووداع عيالاته وأطفاله، فجعلن يبكين ويندبن، فمشى فيهنّ الحسين عليه السلام، وقال: أنشدكنّ الله أن لا تبدين هذا الأمر، لأنّه معصية لله ولرسوله. فقلن: يا أبا عبدالله فعلا من نتبقى النياحة والبكاء بعدك؟ وهذا اليوم عندنا كيوم مات فيه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وعلي وفاطمة والحسن عليهم السلام، جعلنا الله فداك يا حبيب الأبرار.

قال الراوي: وجاءت أُمّ سلمة[1] وقالت له: يا بني لا تحزني بخروجك إلى

---

(١) أمّ سلمة:

اسمها: هند، وهي من أُمّهات المؤمنين، بنت أبي امية بن المغيرة بن عبدالله بن عمرو بن مخزوم القرشية المخزومية واسم أبيها: حذيفة، وقيل: سيل، ويلقّب: زاد الراكب، لأنّه كان أحد الأجواد، فكان إذا سافر لا يترك أحداً يرافقه ومعه زاد بل يكفي رفقته من الزاد؛ وأُمّها عاتكة بنت عامر بن ربيعة بن مالك الكنانية، من بني فراس، وكانت زوج ابن عمّها أبـي سلمة، فمات عنها، وقد أسلمت قديماً هي وزوجها وهاجرا إلى الحبشة فولدت له سلمة. ثم قدما مكة وهاجرا إلى المدينة فولدت له عمر، ودرة، وزينب؛ ولمّا أراد أن يهاجر بها زوجها إلى المدينة منعه رجال من بني المغيرة ونزعوا خطام البعير من يده، فنضب عند ذلك بنو عبد الأسد وهو والي سلمة، وقالوا: والله لا نترك ابننا عندها إذا نزعتموها من صـاحبنا، فتجاذبوا سلمة حتى خلعوا يده وانطلق به عبد الأسد وتركها زوجها حتى لحق إلى المدينة ففرّق بينها وبين زوجها وابنه فكانت تخرج إلى الأبطح تبكي وتولول سبعة أيام، فقال لها قومها: إلحقي بزوجك. فقصدت المدينة، وكان زوجها نازلاً في قرية بني عمرو بن عوف بقباء، فقصدته وقيل: إنّها أوّل امرأة خرجت مهاجرة إلى الحبشة، وأوّل ضـعينة دخـلت المدينة.

قال أرباب التأريخ: ولمّا توفي زوجه وانقضت عدّتها خطبها أبو بكر فلم تتزوجه، فبعث النبي ﷺ يخطبها، فقال للرسول: أخبر رسول الله ﷺ إنّي امرأة غيري وإنّـي امـرأة مصيبة، وليس أحد من أوليائي شاهد. فقال: قل لها أمّا قولك إنّي امرأة غيري فساعدوا الله فتذهب غيرتك، وأمّا قولك إنّي امرأة مصيبة فسلي صبيانك، وأمّا قـولك ليس أحـد مـن أوليائك شاهد فليس أحد من أوليائك شاهد وغاب يكره ذلك. فقالت لابنها عمر: قم فزوّج رسول الله ﷺ ابنتها سلمة.

وأخرج ابن سعد من طريق عروة عن عائشة، قالت: لمّا تزوج رسول الله ﷺ ام سلمة حزنت حزناً شديداً لما ذكر لنا من جمالها، فتلطّفت حتى رأيتها، فرأيت والله أضعاف ما وصفت، فذكرت ذلك لحفصة فقالت: وما هي كما يقال، قالت: فرأيتها بعد ذلك فكان كما قالت حفصة، ولكنّي كنت غيري، وكانت ام سلمة موصوفة بالجمال البارع والعقل البالغ والرأي الصائب، وإشارتها على النبي ﷺ يوم الحديبية تدلّ على وفور عقلها وصواب

العراق، فإني سمعت جدك رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: يقتل ولدي الحسين في العراق بأرض يقال لها كربلاء. فقال لها: يا أُمّاه والله إني أعلم ذلك وإنّي مقتول لا محالة وليس لي من هذا بد، وإنّي والله لأعرف اليوم الّذي أقتل فيه، وأعرف من يقتلني، وأعرف البقعة التي أدفن فيها، وأعرف من يقتل من أهل بيتي وقرابتي وشيعتي، وإن أردت يا أُمّاه اريك حفرتي ومضجعي، قال: ثم أشار بيده الشريفة إلى جهة كربلاء.

قال صاحب مدينة المعاجز وإثبات الوصية قال: «بسم الله الرحمن الرحيم» فانخفضت الأرض باذن الله تعالى حتى أراها مضجعه ومدفنه وموضع عسكره. فعند ذلك بكت أُم سلمة وسلّمت أمرها إلى الله، فقال لها الحسين عليه السلام: يا أُمّاه قد شاء الله أن يراني مقتولاً مذبوحاً ظلماً وعدواناً، وحرمي ورهطي ونسائي مسبيين، وأطفالي مشرّدين.

فقالت أُم سلمة: يا أبا عبدالله عندي تربة دفعها إليّ جدك رسول الله صلى الله عليه وآله في قارورة، فقال عليه السلام: والله إنّي مقتول كذلك، وإن لم أخرج إلى العراق يقتلوني.

ثم إنّه عليه السلام أخذ تربة وجعلها في قارورة وأعطاها إيّاها، وقال لها: اجعليها مع قارورة جدّي رسول الله، فإذا فاضتا دماً فاعلمي أنّي قد قتلت. فأخذتها أُم سلمة ووضعتها مع قارورة رسول الله صلى الله عليه وآله[1].

ولمّا سار الحسين عليه السلام إلى العراق جعلت أُم سلمة في كل يوم تتعهّد

رأيها.

قال صاحب الإستيعاب: شهدت ام سلمة غزوة خيبر فقالت: سمعت وقع السيف في أسنان مرحب (يعني سيف أميرالمؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام) وهي آخر امهات المؤمنين موتاً، توفّيت سنة ٦٣ من الهجرة. انظر: الإستيعاب بهامش الإصابة، وطبقات ابن سعد

(١) إثبات الوصية للمسعودي: ١٦٦، ومدينة المعاجز للبحراني:

القارورتين حتى إذا كان يوم عاشوراء أقبلت على عادتها لتنظر إلى القارورتين فنظرتهما وإذا بهما دماً عبيطاً، صاحت وولولت وندبت الحسين، فاجتمعن عندها الهاشميات فخبرتهن بالخبر، ووقعت الصيحة بالمدينة، وصار كيوم مات فيه رسول الله ﷺ، وصار الناس ينتظرون البريد حتى إذا وافىٰ البريد بقتل الحسين جدّدوا العزاء والنياحة على الحسين عليه السلام، وهكذا اتّصلت النياحة حتى يوم ورد السجاد زين العابدين عليه السلام بعمّاتهِ وبخواته من أسر يزيد (لعنه الله)، فاتّصلت الصيحات والنياحات على الحسين، ولمّا دخلت الحوراء زينب إلى المدينة صارت إلى قبر جدّها رسول الله ﷺ وقد حفّتها الهاشميات مشقّقات الجيوب ينادين: وا حسيناه. ودخلت زينب على قبر جدّها رسول الله ﷺ منادية: يا جد إنّي ناعية إليك عزيزك الحسين.

قتلوه بعد علم منهم أنّه خامس أصحاب الكسا[1]

---

(١) وزينب عليها السلام تخاطب جدّها ﷺ بلسان الحال:

(نصاري)

يجدّي احسينكم رضّوا اضلوعه او شاف الموت روعه بعد روعه
يصد لعياله او تسچب ادموعه يخافنها عگب عينه تيسّر
يجدّي احسينكم ذبحوا انصاره ابو فاضل تكوّر بالمعاره
وجّ ابگلب اخوه حسين ناره دمع عينه على خدّه تحدّر

(دكسن)

جدّي گوم ذاك احسين مذبوح على الشاطي او على التربان مطروح
يجدّي ما بگت له من الطعن روح يجدّي گلب اخويه حسين فطّر

(تخميس)

ولو أنّ أحمد قد رآك على الثرى لفرشن منه لجسمك الأحشاءُ
أو في الطفوف رأت ظماك سقتك من ماء المدامع أُمّك الزهراءُ

المطلب السادس عشر

في هيئة سفر الحسين عليه السلام إلى العراق

لا يعذر الله ابن أحمد أن يرى عـزّ الرشـاد بـذلة وخـضوع

حتى يغض له الوجود مصائبا تبكي السماء له بحمر دمـوع

قال أرباب التأريخ: لمّا أراد الحسين عليه السلام الخروج من المدينة جمع أولاده وإخوته، وأولاد أخيه وبنو عمومته، ومواليه وجواريه، ثم أمر بـاحضار مـاءتين وخمسين مركب من الخيل والجمال، ولمّا أن أُحـضرت أمـر أن تـحمل عـليها الأثقال وما يـحتاجه فـي الطـريق ولوازم السـفر، كـالخيم والمـراجـل والأوانـي والقرب، وكل ما هيّأه من الأمتعة، حتى الزعفران والورس، والكثير من الصناديق المملوءة من البرود اليمانية والحلل السندسية، عدا الصناديق الّتي مُلئت بالدنانير والدراهم، وأمر أيضاً بخمسين شقة من الهوادج حملت على النوق التي أعدها لحمل العائلة من النساء والأطفال والخدم والجواري، وأحضر كل من الهاشميين جواده ثم أمر باحضار فرس رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وكان يـدعى «المـرتجز»[1] فـركبه

---

(١) المُرْتَجِزُ: «اسم فرس لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، سمّي بذلك لجهارة صهيله وحسنه، وكان رسول ←

هو عليه السلام، والمرتجز هو الفرس الذي شهد به خزيمة بن ثابت ذي الشهادتين، وكان صاحبه رجلاً من بني مُرّة[١]، اشتراه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم منه بالمدينة بعشرة أوراق، وقيل: اشتراه رسول الله بأربعة آلاف درهم، وأوّل غزوة غزا به صلى الله عليه وآله وسلم غزوة «أُحد»، وكان من جياد الخيل على ما رواه ابن قتيبة في «المعارف»[٢].

ثم لما قبض رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم انتقل هذا الجواد بعده إلى علي بن أبي طالب عليه السلام، وقد ركبه يوم صفين على ما رواه نصر بن مزاحم في «كتاب صفين»[٣].

ثم صار من بعده إلى ولده الحسين، فركبه «يوم الطف» ووقف قبالة القوم فخطبهم ووعظهم فلم يتّعظوا، وقال عليه السلام: «أنشدكم الله هل تعلمون أنّ هذه فرس رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنا راكبها؟ قالوا: اللّهمّ نعم». ولمّا صرع الحسين عليه السلام يوم الطف من على ظهره، جعل يحوم حول الحسين عليه السلام، ثمّ مرّغ ناصيته بدم الحسين ونحا نحو خيم العيال يصهل ويحمحم معلناً بقتل الحسين عليه السلام.

قال الراوي: ثم أمر باحضار سيف رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فتقلّد به، وكان اسمه البتّار، وقيل: الرسوب، وقيل: العضب، وقيل: الحتف[٤]، وكان مكتوباً عليه هذا البيت:

⮌ الله صلى الله عليه وآله وسلم قد اشتراه من الأعرابي، وشهد لهُ خزيمة بن ثابت». انظر لسان العرب: ٥/٣٥٢ (مادة: رجز).

(١) انظر الكامل في التاريخ لابن الأثير: ٢/٢١٤، وأُسد الغابة للجزري: ١/٣٠.

(٢) المعارف لابن قتيبة: ١٤٩.

(٣) وقعة صفين: ٤٠٣.

(٤) ذكر ابن الأثير في تأريخه «أنّه كان لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عدّة سيوف، منها: البتّار والحتف والرسوب والعضب»، انظر الكامل في التأريخ لابن الأثير: ٢/٣١٦، وانظر لسان العرب: ١/٤١٨ (مادة: رسب)، وانظر أُسد الغابة: ١/٣٠.

الجبن عار وفي الإقدام مكـرمة والمرء بالجبن لا ينجوا من القدر

وهو الّذي أعطاه إلى علي عليه السلام «يوم أُحد» على ما ذكره السمعاني في «كتاب الفضائل»، وحمله أميرالمؤمنين عليه السلام في حروبه الثلاث، وقاتل به ثم انتقل بعده إلى ولده الحسين عليه السلام وكان يحارب به «يوم الطف»، ولقد استشهد الحسين عليه السلام على أهل الكوفة به في خطبته، إذ قال: «أنشدكم الله هل تعلمون أنّ هذا سيف رسول الله أنا متقلّده؟ قالوا: اللّهمّ نعم». ولمّا أن قتل عليه السلام تكاثرت القوم على سلبه، فأخذه جميع بن الخلق (لعنه الله).

ثم أمر باحضار درع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فأفرغها على بدنه الشريف، وكان اسمها الصعديّة، وقيل: فضة، وقيل: ذات الفضول، وقيل: ذات الوشاح[1]، ولقد أعطاها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى علي عليه السلام، فأفرغها على بدنه الشريف أيضاً في حروبه الثلاث: البصرة وصفين والنهروان.

ثم من بعده انتقلت إلى ولده الحسين عليه السلام، وقد لبسها «يوم الطف»، ولمّا أن وعظ القوم وقال لهم فيما قال: «أنشدكم الله هل تعلمون أنّ هذا درع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنا لابسها؟ قالوا: اللّهمّ نعم». ولمّا قتل صلوات الله عليه أخذها عمر بن سعد قائد الجيش ولبسها، ودخل على عيالات الحسين عليه السلام فتقدّمت زينب عليها السلام وقالت: يابن سعد أيقتل أبو عبدالله وأنت تنظر إليه؟!

---

(١) قال ابن الأثير في تأريخه: «إنّه كان لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم درعاً يُقال لها «الصعديّة»، وأُخرى يقال لها «فضة»، وأُخرى يقال لها «ذات الفضول»، وأُخرى يقال لها «ذات الوشاح»، انظر الكامل في التأريخ: ٢/٣١٦.
وفي أُسد الغابة أيضاً، قال عز الدين الجزري: كان له (دروع) تسمىٰ: ذات الفضول، وذات الوشاح وغيرها، أُنظر أُسد الغابة: ١/٣٠.

ثم أمر باحضار عمامة رسول الله ﷺ، وكان اسمها «السحاب»[١] وكانت من الخزِّ دكناء، وكان رسول الله ﷺ قد تعمَّم بها يوم «بدر» و«حنين»، ولمّا أن قبض ﷺ تعمَّم بها أميرالمؤمنين عليه السلام «يوم صفين» على ما رواه نصر بن مزاحم في «كتاب صفين»[٢]، ولمّا ضربه ابن ملجم (لعنه الله) بسيفه وقضى نحبه ورثها ولده الحسن عليه السلام، ثمّ انتقلت بعد الحسن إلى الحسين فتعمّم بها «يوم الطف»، ولمّا ناشد القوم في خطبته وقال فيما قال: «أيها الناس أنشدكم الله هل تعلمون أنّ هذه عمامة رسول الله ﷺ أنا لابسها؟ قالوا: اللَّهمَّ نعم».

ثم أمر باحضار حربة رسول الله ﷺ، وكانت حربة صغيرة تشبه العكازة يقال لها «العنزة»، وكانت تحمل مع رسول الله ﷺ في الأعياد، وتركز بين يديه فيصلّي بالناس صلاة العيد، وكان يصحبها في أسفاره، ذكرها عزالدين الجزري في «أُسد الغابة»[٣]، ثم لمّا توفي ﷺ ورثها أميرالمؤمنين عليه السلام، وكانت معه «يوم صفين» يحملها كما ذكر ذلك «نصر بن مزاحم»[٤]، ثم لمّا استشهد عليه السلام انتقلت إلى الحسن عليه السلام، ثم إلى الحسين عليه السلام، وكانت معه «يوم الطف» وكان إذا حمل على جيش أهل الضلال ورجع من الحرب إلى مركز يتّكىء عليها وهو يقول: «لا حول ولا قوّة إلّا بالله العلي العظيم».

أقول: بهذه الهيئة وبهذه الصفة خرج ابن رسول الله من مدينة جدّه، وهو

---

(١) انظر أُسد الغابة: ١/ ٣٠.

(٢) وقعة صفين: ٤٠٣.

(٣) أُسد الغابة: ١/ ٣٠.

(٤) وقعة صفين.

يقدم ضعينته والفتية من بني هاشم مجرّدين سيوفهم شاهرين رماحهم قد احدقوا بالمحامل.

ركب حـــجازيون بـين رحـالهم | تسري المنايا انجدوا او اتــهموا
يحدون في هزج التلاوة عيسهم | والكــل فــي تسـبيحه يـترنّم
مــتقلّدين صــوارمــاً هـنديّة | من عزمهم طبعت وليس تكهّم[1]

---

(١) (بحراني)

طـوح الحـادي والظـعن هـاج ابـحنينه | او زينب تـنادي سـفرة الگشـره عـلينه
صاحت ابكافلها شـديد العزم والبـاس | شمر اردناك وانشـر البـيرق يـا عـباس
چـنّي اعـاينها مـصيبة اتشيب الراس | مـا ظـنّتي نـرجـع ابـدولتنا المـدينه
گـلها يـزينب هـاج عـزمي لا تـنخين | مـا دام آنـه مـوجود يـختي مـا تـذلّين
لو تــنجلب شــاماتهم ويــالعراگـين | لطـحن جـماجمهم ونـا حـامي الظـعينه
لا تهيجيني اولا يدش ابگـلبچ الخـوف | ميروعني طعن الرماح او ضرب السيوف
بس طلبي امن الله يسـلّم لي هـالكفوف | لحـمل عـلى العسكـر واذكّـرهم بـبونا
گالت اعرفك بالحرب يـا خـوي وافـي | او قـطع الزنـد هـذا الذي منّه مـخافي
اليوم المعزّه او بـعدكم مـدري شـوافـي | يـاهو اليـرد الخـيل لو هـجمت عـلينه

❊ ❊ ❊

فأينَ تلك البدورُ التـمّ لا غـربوا | وأين تلك البُحور الفُعمُ لا نضبوا

المطلب السابع عشر

في ترجمة أُم هاني ووداعها للحسين عليه السلام

لمّا بلغ خبر سفر الحسين عليه السلام إلى الهاشميات ونساء بني عبدالمطلب صرن يأتين إلى دار الحسين عليه السلام وينحن ويبكين، قال [الراوي]:

وأقبلن عدّة من الهاشميات إلى عمّة الحسين «أُم هاني»[1] فأخبرنها الخبر، وكانت «أُم هاني» من النساء الجليلات القدر العظيمات الشأن، وكيف لا تكون كذلك وهي إبنة أبي طالب شيخ الأباطح، وأخت علي أميرالمؤمنين عليه السلام وشقيقته، وقد اختلف المؤرخين في إسمها فبعض يقول إنّ اسمها هند، وقال بعضهم: أنّها فاطمة، وقال بعضهم: أنّها فاختة وهو الأصح؛ وأُمّها فاطمة بنت أسد أُم أميرالمؤمنين عليه السلام، وكان زوجها هبيرة المخزومي[2]، وكان من المشركين ومن المبغضين لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ومن المؤلبين عليه والمساعدين على حربه، وما قامت راية لحرب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلّا وهو في مقدمة من يحارب النبي فيها، وكان

---

(١) انظر ترجمة أُم هاني في: اسد الغابة: ٥٠١/٥ وكذلك في الاستيعاب: ٥١٧/٤. هي ام هاني بنت ابي طالب بن عبدالمطلب بن هاشم اخت علي بن أبي طالب كانت تحت هبيرة بن أبي وهب بن عمر بن عائذ بن عمران بن مخذم اسلمت عام الفتح ولدت ام هاني لهبيره عمر وبه كان يكنى وهانئاً ويوسف وجعدة.

(٢) انظر ترجمة «هبيرة المخزومي».

مع أبي سفيان حين تحزّبت الأحزاب على حرب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وهو من جملة الذين عبروا الخندق مع عمرو بن عبد ود العامري، ولمّا قتل عمرو فرَّ هُبيرة منهزماً، وفي ذلك يقول لزوجته أُم هاني:

لَعمرُكِ ما وليتُ ظهري محمّداً وأصحابهِ جُبناً ولا خيفةَ القتلِ
ولكنّني قلَّبتُ ظهري فلم أجدْ لِسيفي غِناءً إن ضربْتُ ولا نبلِ
وقفتُ فلمّا خِفتُ ضيعةَ وقفتي رجعتُ لعودٍ كالهزبرِ أبي الشبلِ

ولمّا فتح النبي صلى الله عليه وآله وسلم مكة وذعنت له قريش فرّ هبيرة منهزماً من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى نجران ومات فيها كافراً، وفي ذلك يقول:

اللهُ يعلمُ ما تركتُ قِتالهم حتى رَموا فَرَسي بِأشقرِ مزَيَدِ

وكان إسلامها «يوم الفتح»، وقد استجار عندها جماعة من المشركين في ذلك اليوم لعلمهم بها أنّها تجيرهم، وكان من المستجيرين بها الحرث بن هشام، وقيس بن السائب، فجاء علي عليه السلام وهو مقنع بالحديد لا يُرى منه إلّا حدقتا عينيه، فطرق الباب عليها، فخرجت إليه أُم هاني وقالت له: ما تريد يا عبد الله؟ قال: أخرجوا من آويتم؛ قالت: إنصرف يا عبدالله إني ابنة عمِّ محمّد صلى الله عليه وآله وسلم، وأُخت علي عليه السلام؛ فلم يلتفت إليها وقال: إن لم تخرجيهم وإلّا هجمتُ عليهم الدار. وقالت: والله لأشكونّك إلى رسول الله؛ فلمّا سمع أميرالمؤمنين عليه السلام ذلك ألقى المغفر من على رأسه فعرفته، فألقت بنفسها عليه وقالت له: أخي فدتك أُختك تريد أن تخفر جواري بين العرب؟ ثم قالت: أخي إنّي حلفت أن أشكوك عند رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فقال لها: إمضي فإنّه في الوادي، فأقبلت أُم هاني فلمّا رآها صلى الله عليه وآله وسلم مقبلة قال لها: مرحباً بك يا أُم هاني، جئتيني تشكين علياً عندي فإنّه أخاف أعداء الله وأعداء رسوله، ثم نادى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: إنّا قد أجرنا من أجارته أُم هاني.

نعم أسلمت أُم هاني في ذلك اليوم، ولمّا بلغ هبيرة زوجها خبر إسلامها

اغتاظ غيظاً شديداً، وفي ذلك يقول معاتباً لها:

لئن كنت قد تابعت دين محمّد وقطعت الأرحام منك حبالها
فكوني على أعلىٰ سحيق بهضبة ممنعة لا يستطاع قلالها
فإنّي من قوم إذا جدّ جدهم على أي حال أصبح القوم حالها
وإني لأحمي من وراء عشيرتي إذا كثرت تحت العوالي مجالها
وطارت بأيدي القوم بيض كأنّها مخاريق ولدان تنوش ظلالها
وإنّ كلام المرء من غير كُنهِهِ لَنبلٌ تهوي ليس فيها نصالها[١]

وكانت قد ولدت له أربعة أولاد: أحدهم جعدة بن هبيرة، وولدت له ثانياً فكنيت به، وعمرو فكنى به أبوه، ويوسف[٢]، أمّا جعدة فانّه ولد على عهد رسول الله ﷺ، وليست له صحبة وقال العجلي: إنّه تابعي، وقيل: بل هو من الصحابة. قال ابن أبي الحديد في «شرح النهج»: أدرك رسول الله ﷺ، وأسلم يوم الفتح مع أمّه «أم هاني»[٣].

وشهد جعدة مع أميرالمؤمنين عليه السلام صفين[٤]، وأبلىٰ بلاءاً حسناً، ودعاه يومئذ عتبة فناداه: يا جعدة، فاستأذن جعدة من أميرالمؤمنين عليه السلام في الخروج إليه، فأذن له. واجتمع الناس لكلامهما، فقال له عتبة: يا جعدة إنّه والله ما أخرجك علينا إلا حبك لخالك وعمّك ابن أبي سلمة عامل البحرين، وإنّا والله ما نزعم أنّ معاوية أحقّ بالخلافة من علي [عليه السلام] لولا أمره في عثمان، ولكن معاوية أحقّ بالشام لرضا أهلها به، فاعفوا لنا عنها، فوالله ما بالشام رجل به طِرْقٌ إلّا هو أجدُّ من

(١) الإستيعاب (بهامش الإصابة).
(٢) انظر شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ١٠/٧٩.
(٣) انظر شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ١٠/٧٧.
(٤) وقعة صفين للمنقري: ٤٦٣ ـ ٤٦٥.

معاوية في القتال، ولا بالعراق من له مثل جدّ علي بن أبي طالب في الحرب، ونحن أطوع لصاحبنا منكم لصاحبكم، وما أقبح بعليٍّ أن يكون في قلوب المسلمين أولى الناس بالناس، حتى إذا أصاب سلطاناً أفنى العرب. فقال جعدة: أمّا حبّي لخالي فوالله لو كان لك خال مثله لنسيت أباك، وأمّا ابن أبي سلمة فلم يصب أعظم من قدره، والجهاد أحبّ إليّ من العمل، وأمّا فضل علي على معاوية فهذا ممّا لا يختلف فيه اثنان، وأمّا رضاكم اليوم بالشام فقد رضيتم بها أمس فلم نقبل، وأمّا قولك إنّه ليس بالشام من رجل إلّا وهو أجدُّ من معاوية وليس بالعراق لرجل مثل جدِّ علي عليه السلام فهكذا ينبغي أن يكون، مضى بعليٍّ يقينه وقصر بمعاوية شكّه، وقَصْدُ أهل الحقّ خير من جهد أهل الباطل، وأمّا قولك نحن أطوع لمعاوية منكم لعلي عليه السلام فوالله ما نسأله إن سكت ولا نرد عليه إن قال، وأمّا قتل العرب فإنّ الله كتب القتل والقتال فيمن قتله الحق فإلى الله. فغضب عتبة وفحش على جعدة، فلم يجبه جعدة وأعرض عنه وانصرفا جميعاً مغضبين، فلمّا انصرف عتبة جمع خيله فلم يستبق [منها] شيئاً، وجلَّ أصحابه السّكون والصّدف والأزد، وتهيّأ جعدة بما استطاع فالتقيا، وصبر القوم جميعاً، وباشر جعدة يومئذ القتال بنفسه، وجزع عتبة فأسلمَ خيله وأسرع هارباً إلى معاوية، فقال له معاوية: فضحك جعدة وهزمتك، لا تغسل رأسك منها ابداً، فقال عتبة: لا والله، لا أعود إلى مثلها [أبداً]، ولقد أعذرت وما كان على أصحابي من عتب، ولكن أبى الله أن يديلنا منهم، فما أصنع وحظّي بها جعدة عند علي؛ فقال النجاشي فيما كان من شتم عتبة لجعدة شعراً في ذلك اليوم:

إنَّ شَتْمَ الكَريمِ يا عُتْبَ خَطْبٌ ... فاعلمَنْهُ مِنَ الخطوبِ عظيمُ

أُمّه أُمّ هانىء وأبوهُ ... مِنْ مَعَدٍّ ومِنْ لُؤَيٍّ صَمِيمُ

ذاكَ مِنها هُبيرَةُ بن أبي وَهْـ ... ـبٍ أقرَّت بِفَضْلهِ مَخْزُومُ

كانَ في حَرْبِكُم يُعدُّ بِألْفٍ حينَ تَلقىٰ بِها القُرُومُ القُرومُ
وٱبنِهِ جُعدةَ والخليفةِ مِنْهُ هكذا يَخْلُفَ الفُروعَ الأرومُ
كُلُّ شيءٍ تُريدهُ فهو فيهِ حَسَبٌ ثاقِبٌ ودِينٌ قَويمُ
وَخَطيبٌ إذا تَمعَّرت الأو جُهُ يَشجىٰ بِهِ الألَدُّ الخَصيمُ
وَحليمٌ إذا الحُبىٰ حَلّها الجَهْـ ـلُ وخُفَّتْ مِنَ الرِّجالِ الحُلُومُ
وَشَكيمُ الحُروبِ قَدْ عَلِمَ النَّا سُ إذا حُلَّ في الحروبِ الشَكيمُ
مَا عَسىٰ أن تقولَ للذَّهبِ الأحـ ـمَرِ عَيباً هيهاتَ مِنْك النُّجومُ

وقال الشّنيُّ في ذلك لعتبة:

مَا زِلْتُ في عِطْفَيكَ أُبَّهةً لا يَرفعُ الطَّرْفَ مِنْكَ التِّيهُ والصَّلَفُ
لا تَحسبُ القومَ إلّا فَقْعَ قَرْقَرةٍ أو شَحْمَةً بَزَّها شاوٍ لها نُطَفُ
حتّى لَقيتَ ابن مخزومٍ وأيُّ فتىً أحيا مآثِرَ آباءٍ لَهُ سَلَفُوا
إن كانَ رَهطُ أبي وَهَبٍ جَحاجِحةً في الأوّلينَ فَهذا مِنْهمُ خَلَفُ
أشجاكَ جُعْدَةُ إذْ نادى فَوارِسَهُ حامَوْا عن الدّينِ والدُّنيا فَما وَقَفُوا
حتّى رَمَوْكَ بِخَيلٍ غَيْرِ راجعةٍ إلّا وسُمْرُ العَوالي مِنكمُ تَكِفُ
قَدْ عاهدوا اللهَ لَنْ يَثْنُوا أعِنَّتها عِنْدَ الطِّعانِ ولا في قولهم خُلُفُ
لمّا رأيْتَهُمْ صُبحاً حَسِبْتَهُمْ أُسْدَ العَرينِ حَمَىٰ أشْبَالَها الغُرَفُ
نَاديتَ خَيْلَكَ إذ عَضَّ الثِّقافُ بِهِم خَيلي إليَّ ، فَما عَاجُوا وَلا عَطَفُوا
هَلاَّ عَطَفْتَ عَلىٰ قَتْلَىٰ مُصَرَّعَةٍ مِنْها السَّكونُ وَمِنها الأزْدُ والصَّدِفُ
قَدْ كُنْتَ في مُنْظَرٍ مِنْ ذا وَمُسْتَمَعٍ يا عُتْبَ لَولا سَفاهُ الرَّأيِ والسَّرَفُ
فَاليَومَ يُقرَعُ مِنْكَ السِّنُّ عَنْ نَدَمٍ مَا للمُبارزِ إلّا العَجْزِ والنَّصَفُ

فهذان الشاعران مدحا جعدة بموقفه «يوم صفين» تجاه العدو، الموقف المشرف وحق لمثله أن يمدح بمثل هذا الشعر الرائق، وكان جعدة ملازماً لخاله

أميرالمؤمنين عليه السلام إلى أن قتل أميرالمؤمنين عليه السلام، فلازم بعده الحسن والحسين عليهما السلام إلى أن توفي أيام معاوية، وكان جعدة يفتخر ـ ويحقّ له الفخر ـ ويقول:

أبي مِن بني مَخزوم إن كُنتَ سائلاً وَمِــن هـاشمٍ أُمّــي لَـخيرُ قَـبيلِ

فَمن ذا الّذي يـبني عَـليَّ بِـخالهِ كَخالي عَلي ذي النَّدىٰ وعَقيلِ(١)

«ولقد كاتب الحسين عليه السلام بعد وفاة أخيه الحسن عليه السلام:

أمّا بعد، فإنّ الشيعة متطلّعة أنفسها إليك، لا يعدلون بك إلى أحد وقد عرفوا رأي أخيك الحسن في دفع الحرب، وعرفوك باللين لأوليائك والغلظة لأعدائك، فإن أحببت أن تطلب هذا الأمر لك فقد وطنّا أنفسنا على الموت معك».

فأجابه الحسين عليه السلام، غير أنّ جوابه يظهر كان لعموم الشيعة:

«أمّا بعد، فإنّ أخي الحسن أرجو أن يكون الله قد وفّقه وسدّده، فيما يأتي، وأمّا أنا فليس رأيي ذاك، فألصقوا بالأرض واحترسوا عن الظنّة والتهمة ما دام معاوية حيّاً، فإن حدث به حادث كتبت إليكم برأي والسلام».

فأُم هاني على ما ذكرت كانت جليلة القدر، عظيمة الشأن، روت عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أحاديث كثيرة ذكرت في الصحاح؛ ولعظم شأنها أنّ الهاشميات إذا أصابتهنّ مصيبة أو نزلت بهنّ نازلة فزعن إليها، لذا لمّا بلغهنّ خبر سفر الحسين عليه السلام إلى العراق أقبلن إليها وقلن لها: يا أُم هاني أما علمت بما عزم عليه الحسين عليه السلام، فإنّه عزم على المسير إلى العراق، فهل لك أن تمضين لنودع النسوة ونتزوّد من الحسين؟ فقامت أُم هاني ـ وهي امرأة عجوز محدودبة الظهر ـ حتى أقبلت إلى دار الحسين عليه السلام، وكان الحسين واقفاً على باب داره، فلمّا نظر إليها التفت إلى غلامه وقال له: من هذه المقبلة؟ فقال له: سيدي أظنّها عمّتك أُم هاني؛

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد.

فقال له: اضرب بيني وبينها ستراً، فوقف الغلام قبالة الحسين عليه السلام ودخلت أُم هاني على النساء وهي تبكي، فدخل عليها الحسين عليه السلام وقال لها: عمّه ما هذا البكاء؟ فقالت: عمّه عميت عين لا تبكي من بعدك. فقال لها الحسين عليه السلام: عمّه لا تتطيّري، فقالت: والله لست بمتطيّرة ولكن سمعت البارحة هاتفاً يقول:

وإنَّ قتيل الطفّ من آلِ هاشمٍ أذلّ رقاباً مِنْ قريشٍ فَذُلّت

فقال لها عليه السلام: عمّه لا تقولي من قريش ولكن قولي: «أذلّ رقابَ المسلمين فَذُلّت».

قال الراوي: وعلا صراخ النساء وبكاؤهن، هذا والحسين نصب أعينهن.

أقول:: إذاً كيف حالهنّ لمّا دخل بشر بن حذلم المدينة ونادى:

يا أهل يثرب لا مقام لكم بها قتل الحسين فأدمعي مدرار

الجسم منه بكربلاء مضرّج والرأس منه على القناة يدار[1]

---

(١) (نصاري)

يولي اتقابلن للنوح والون ربـاب اتعدّدلهن وهن يبچن
ظلمه دورها او بالحزن يدون وهن بالنوح دامن على الوقتين
گومن جاي نلطم على الشبّان وسط الدور وانغلّج البيبان
بعد احسين وحشه هاي الوطان گومن جاي نتساعد على البين

وزينب عليها السلام:

يدور أهلي أعاينچن ابياعين عگب عباس اخوي او عگب الحسين
نعب بيچن اغراب الحزن والبين او عليچن يهالدور الحزن غيّم

(تخميس)

أنقيمُ في جور الزمان وذلّهِ يا منيةَ الباقي وكعبةَ نيلهِ
كم غائب سرّ الإله بوصله
يا ليتَ غائبنا يعودُ لأهله فنقولُ أهلاً بالحبيب ومرحبا

المطلب الثامن عشر

في سبب عدم سفر محمّد بن الحنفية مع أخيه الحسين عليه السلام

كان السبب لعدم خروج محمّد بن الحنفية مع أخيه الحسين عليه السلام إلى العراق أمران:

أحدهما ـ على ما رواه المؤرخون وأهل السير ـ أنّه أُهدي درع للحسين فلمّا لبسه الحسين عليه السلام فضل عليه مقدار أربعة أصابع، فأراد الحسين عليه السلام أن يرسله إلى بعض الحدّادين ليقطع منه مقدار أربعة أصابع، وكان محمّد بن الحنفية جالساً فأخذه ولواه على يديه وسرده، فأصابه بعض الحاضرين بنظرة فشلّت يده من وقتها وساعتها، وصار لا يقدر على حمل السلاح.

والأمر الثاني: هو أنّه إعتراه مرض الإغماء، وهذا الذي منعه عن الخروج مع أخيه الحسين عليه السلام، وكان أميرالمؤمنين عليه السلام يحبّه حبّاً شديداً، وشهد معه الجمل وصفّين، وله فيهما المقام المحمود، وفي بعض أيّام صفّين قال لأبيه عليه السلام: أبه لم لم تأذن لأخوي الحسنين بالبراز وتأذن لي؟ فقال له عليه السلام: إنّ الحسن والحسين عيناي، وأنت يميني، فأنا أُدافع عن عيني بيميني.

وكان عالماً، فقيهاً، منطقياً، فارساً شجاعاً، يكفي من شجاعته ما ظهر منه يوم الجمل وصفين، ويكفي من بلاغته خطبته المشهورة يوم صفين، وحتى أنّ

جماعة إلى الآن يدّعون بإمامته وهم «الكيسانيّة»[١] وبزعمهم أنّه لم يمت وأنّه حي يرزق، وأنّه مقيم «بجبل رضوى» وأنّه هو المهدي من آل محمّد، وأمّا من طرقنا فإنّ محمّد بن الحنفية مات ودفن «بابلة» أو «بالطائف»[٢]، وفي بعض الأخبار بالمدينة، مات وله من العمر خمس وستّون سنة[٣].

وكان يحبّ الحسين حبّاً جمّاً، ولمّا علم أنّ الحسين عازم على الخروج من المدينة أقبل إليه وقال له: يا أخي أنت أحبّ الناس إليّ، وأعزّهم عليّ، ولست والله أدخر النصيحة لأحد من الخلق [إلّا لك][٤]، وليس أحد أحق بها منك، (لأنّك زاج مائي ونفسي، وروحي وبصري، وبكير أهل بيتي، ومن وجبت طاعته في عنقي، لأنّ الله قد شرّفك عليّ وجعلك من سادات أهل الجنّة)[٥]، تنح ببيعتك عن يزيد وعن الأمصار ما استطعت، ثم أبعث رسلك إلى الناس فادعهم إلى نفسك، فإن بايعك[٦] الناس حمدت الله على ذلك، وإن اجتمع الناس على غيرك لم ينقص الله بذلك دينك ولا عقلك ولا تذهب به مروءتك ولا فضلك، أخي إنّي أخاف عليك أن تدخل مصراً من هذه الأمصار فيختلف الناس بينهم، فطائفة معك وأخرى عليك، فيقتتلون فتكون لأوّل الأسنة غرضاً، فإذا خيرُ هذه الأمّة كلّها نفساً وأباً وأمّاً اضيعُها دماً وأذلّها أهلاً.

---

(١) انظر: رجال الكشّي: ٩٤/١٤٩ و٩٦/١٥٢ و١٢٧/٢٠٤، وانظر: المعارف لابن قتيبة: ٦٢٢، والملل والنحل: ١/١٣١، وفرق الشيعة: ٢٦ ـ ٣١، والفرق بين الفرق: ٣٨/٥٢، وتعليقة الوحيد البهبهاني: ٤١٠.

(٢) انظر: محمد بن الحنفية ـ للمؤلف ـ ص٨٢.

(٣) انظر: كانت وفاته سنة احدىٰ وثمانين في ايام عبدالملك بن مروان. محمد بن الحنفية ـ للمؤلف.

(٤) أثبتناها من المصدر.

(٥) مابين القوسين لم يرد في نسختنا من المصدر.

(٦) في المصدر: تابعك.

فقال له الحسين عليه السلام: «فأين أذهب يا أخي؟». قال: تخرج إلى مكة فإن اطمأنّت بك الدار بها فذاك وإلّا خرجت إلى اليمن، فإنّهم أنصار جدك وأبيك، وهم أرأف الناس وأرقهم قلباً وأوسع الناس بلاداً، فإن اطمأنّت بك الدار فذاك وإلّا لحقت بالرمال وشعوب الجبال، وجزت من بلد إلى بلد حتى تنظر ما يؤل إليه أمر الناس، ويحكم الله بيننا وبين القوم الفاسقين، فإنك أصوب ما تكون رأياً حين تستقبل الأمر استقبالاً.

فقال الحسين عليه السلام: «يا أخي والله لو لم يكن في الدنيا ملجأ ولا مأوى لما بايعت يزيد بن معاوية». فقطع محمّد بن الحنفية كلامه وبكى، وبكى الحسين معه ساعة ثم قال: «يا أخي جزاك الله خيراً فقد نصحت وأشفقت، وأرجو أن يكون رأيك سديداً موفقاً، وأنا عازم على الخروج إلى مكة، وقد تهيّأت لذلك أنا وإخوتي وبنو أخي، وشيعتي أمرهم أمري، ورأيهم رأيي، وأمّا أنت فلا عليك إلّا أن تقيم بالمدينة فتكون عيناً عليهم، ولا تخفي عنّي شيئاً من أمورهم»[1].

ثم دعى الحسين عليه السلام بدوات وبياض وكتب هذه الوصية لأخيه محمّد بن الحنفية:

بسم الله الرحمن الرحيم

هذا ما أوصى به الحسين بن علي بن أبي طالب إلى أخيه المعروف «بابن الحنفية»...

«إنّ الحسين يشهد أنْ لا إله إلّا الله وحده لا شريك له، وأنّ محمّداً عبده ورسوله، جاء بالحقّ من عند الحق، وأنّ الجنّة حقّ، وأنّ الساعة آتية لا ريب فيها، وأنّ الله يبعث من في القبور، وإنّي لم أخرج أشراً ولا بطراً ولا مفسداً ولا ظالماً، وإنّما خرجت لطلب الإصلاح في أُمّة جدّي محمّد صلى الله عليه وآله وسلم أُريد أن آمر بالمعروف

---

(١) انظر: إرشاد المفيد: ٢/٣٤ ـ ٣٥.

وأنهي عن المنكر وأسير بسيرة جدي محمد ﷺ وأبي علي بن أبي طالب عليه السلام، فمن قبلني بقبول الحق فالله أولى بالحق، ومن ردّ عليَّ هذا أصبر حتى يقضي الله بيني وبين القوم بالحق وهو خير الحاكمين، وهذه وصيّتي يا أخي إليك، وما توفيقي إلّا بالله عليه توكّلت وإليه أُنيب».

ثمّ طوى الكتاب وختمه بخاتمه، ودفعه إلى أخيه محمّد بن الحنفية ثم ودّعه وخرج من عنده(١).

أقول: وصايا الحسين عليه السلام أربع، الاولى: الّتي أوصى بها محمّد الحنفية كما مرّ آنفاً، أوصاه بالنسبة إلى شؤون المدينة وأن يراسله في أمرها، وأن يكون عيناً له عليها.

والوصية الثانية: الّتي أوصى بها ولده السجاد وهي بالنسبة إلى الإمامة ونصبه علماً للناس وإماماً من بعده وسلّمه مواريث الأنبياء(٢).

أمّا الوصية الثالثة: أوصى بها أخته الحوراء زينب ليلة العاشرة من المحرم، فقد قال لها: أُخيّه إذا أنا قتلت فلا تشقّي عليَّ جيباً ولا تخمشي عليَّ وجهاً... إلى آخرها(٣).

وأمّا الوصية الرابعة: أوصى بها شيعته جيلاً بعد جيل إلى يوم القيامة، وذلك ما روي عن سكينة بنت الحسين قالت: لمّا رميت بنفسي على جسد أبي الحسين أشمّه وأُودّعه، سمعت الكلام يخرج من منحر أبي الحسين وهو يقول: «بنية سكينة إقرأي شيعتي عنّي السلام وقولي لهم إنّ أبي الحسين قتل عطشاناً وقيل عن لسانه:

---

(١) محمد بن الحنفية ـ للمؤلف ـ ص ٦٠.

(٢) أسرار الشهادات للفاضل الدربندي: ٢/٧٧٩ ـ ٧٨٤.

(٣) أسرار الشهادات للفاضل الدربندي: ٢/٢٢٥، نقلها عن الإرشاد للشيخ المفيد: ٢/٩٣ ـ ٩٤.

شيعتي مهما شربتم عذب ماء فاذكروني — أو سمعتم بقتيل أو شهيد فاندبوني

وأنا السبط الذي من غير جرم قتلوني — وبجرد الخيل بعد القتل عمداً سحقوني

صرت استسقي لطفلي فأبوا أن يرحموني[1]

وقال المؤلف مخمساً بيتين من قصيدة الشيخ صالح العرندس:

أيا زائراً قبراً على العرش قد علا — تضمّن سبط المصطفى خيرة الملا

اسل دمعك القاني وقل متمثّلا — أيقتل عطشاناً حسين بكربلا

وفي كلّ عضو من أنامله بحر

فمن مبلّغ الزهراء بضعة أحمد — قضى نجلها ظام بصارم ملحد

أيقضي ظماً سبط النبي محمّد — ووالده الساقي على الحوض في غد

وفاطمة ماء الفرات لها مهر[2][3]

---

(١) أسرار الشهادات للفاضل الدربندي: ٣/٢٨٢.

(٢) ديوان الهاشديات للمؤلف رحمه الله: ٦٩ ـ ٧٠.

(٣) ولسان حال الزهراء عليها السلام لمّا نظرت إلى ولدها ليلة الحادي عشر من المحرم:

(نصاري)

شافت الزهره احسين محزوز الوريدين — ليلة اهدعشر وهي صاحت آه يحسين

ما لومك او لشره عليك او لا اعتبك — ارخصت هالروح العزيزة الدين ربّك

يبني أرد أشبگك وحط گلبي فوگ گلبك — وبچي ونادي ساعدوني يلمحبين

شلتك ابطني تسعة اشهر يا جنيني — وسهرت ليلي او وسيدتك عن يميني

تاليها مرمي اعله الثرى تنظرك عيني — عگب الدلال اعلى التريبه اتنام يحسين

يحسين يبني مصرعك گطّع اگليبي — يا ريت دونك يذبحوني يا حبيبي

ابروحي فديتك وشربت صافي حليبي — او برباك يوليدي اسهرت يا گرّة العين

(تخميس)

قضى ظامياً ما ذاق للماء بَرْدَهُ — بحرٍّ هجيرٍ تصهرُ الشمس خدَّه

فوالله لو يوماً تقومين بعدَهُ

إذاً للطمت الخدّ فاطمُ عندهُ — وأجريت دمع العين ي الوجنات

المطلب التاسع عشر

في كيفية خروج موسى من مدينة فرعون
وخروج الحسين عليه السلام من مدينة جدّه صلى الله عليه وآله وسلم

كان خروج الحسين بن علي عليه السلام من المدينة يوم الأحد ليومين بقين من رجب سنة ستين من الهجرة، وكان خروجه ليلاً خائفاً يتكتّم[1]، كما قال المرحوم السيد جعفر الحلي رحمه الله في قصيدته الغرّاء الميمية:

خرج الحسين من المدينة خائفاً كخروج موسى خائفاً يتكتّم[2]

ولكن هناك فرق عظيم بين خروج الحسين عليه السلام وخروج موسى عليه السلام، خرج من مدينة فرعون شرّ خلق الله والحسين عليه السلام خرج من مدينة جدّه صلى الله عليه وآله وسلم خير خلق الله، موسى خرج خائفاً على نفسه، والحسين عليه السلام خرج خائفاً من أن يقتل بالمدينة وتهتك حرمة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، موسى عليه السلام خرج وحده ولم تكن معه عائلة ولا أطفال والحسين عليه السلام خرج بعيالاته وأطفاله؛ قالت سكينة: خرج أبي بنا في ليلة ظلماء، وما كان أحد أشدّ خوفاً منّا.

---

(١) إرشاد المفيد: ٢/٣٤.

(٢) ديوان السيد جعفر الحلي رحمه الله.

وموسى عليه السلام لمّا وصل إلى «مدينة شعيب» أمن ونجا، والحسين عليه السلام لمّا وصل إلى «مكة» حرم الله وبيته لم يأمن على نفسه من القتل لأن يزيد بن معاوية كان قد دسّ له مع الحاج ثلاثين شيطاناً من شياطين بني امية وقال لهم: اقتلوا الحسين أينما وجدتموه ولو كان متعلقاً بأستار الكعبة.

موسى عليه السلام لمّا وصل إلى «مدين» وجد بنتي شعيب على البئر يسقيان، فسقى لهنّ وكان الدلو لا يجره إلّا عشرة فجره، وقد حكى الله ذلك في محكم كتابه المجيد: ﴿ولمّا وَرَدَ ماءَ مَدينَ وَجَدَ عليهِ أُمّةً مِنَ النّاسِ يَسْقونَ وَوَجَدَ منْ دونِهِمُ امرأتينِ تذودانِ قالَ ما خَطْبُكُما قالتا لا نَسقي حتّى يُصْدِرَ الرّعاءُ وأبونا شيخٌ كبيرٌ * فَسقىٰ لهما ثمّ تَوَلّى إلى الظِلِّ﴾ ـ وكان جائعاً خائفاً ﴿فقالَ ربِّ إنّي لِمَا أنزَلْتَ إليَّ مِنْ خَيرٍ فقير﴾[1] فأقبلتا إلى أبيهما بالماء وقد أسرعتا في الرجعة، فتعجّب شعيب وقال: أسرعتنّ؟! فقالت إحداهنّ: إنّ رجلاً صفته كذا وكذا سقى لنا قبل الناس؛ فبعث إحداهنّ خلفه، وقد أشار تعالى إلى ذلك بقوله عزَّ إسمه العظيم ﴿فَجآءَتْهُ إحداهُما تَمْشِي علَى ٱسْتِحياءٍ قالَتْ إنَّ أبي يَدعُوكَ﴾ فمشى خلفها وجاءت الريح فحملت ثوبها فأدار موسى عليه السلام وجهه عنها، وقال لها: إمشي خلفي وارم لي الحصاة على الطريق فإنّا قوم لا ننظر إلى أعجاز النساء؛ فصارت تمشي خلفه ـ ﴿فَلَمّا جاءهُ وَقَصَّ عليهِ القَصَصَ قالَ لا تَخَفْ نَجَوْتَ من القومِ الظّالمين﴾[2].

فموسى عليه السلام إستسقى بطريقه لبنات شعيب، والحسين عليه السلام سقى في طريقه الحرّ وأصحابه الّذين كانت عدّتهم ألف فارس عدا خيولهم؛ موسى عليه السلام لمّا قصّ

---

(١) سورة القصص ٢٨: ٢٣، ٢٤.

(٢) سورة القصص ٢٨: ٢٥.

على شعيب قصّته وهو خائف قال له: ﴿لا تَخَفْ نَجَوْتَ من القومِ الظّالمين﴾، والحسين عليه السلام لمّا قصّ قصّته للحرّ عند توجّهه إلى العراق جعجع به الحرّ وأُرعبت العائلة؛ قال أرباب التفسير:

ولمّا جاء موسى إلى شعيب ورغبت فيه إحدى إبنتيه كما حكى الله تعالى ذلك ﴿قَالَتْ إحداهُما يأَبَتِ ٱسْتَأْجِرْهُ إنَّ خَيْرَ مَنِ ٱسْتَأْجَرْتَ ٱلْقويُّ الأمين قالَ إنّي أُريدُ أنْ أُنكِحَكَ إحدىٰ ٱبْنَتَيَّ هَاتَيْنِ علىٰ أنْ تأْجُرَني ثَمانيَ حِجَج﴾[1].

والعلة في خدمة موسى عليه السلام لشعيب ـ وهو كليم الله ـ هي: أنّ شعيب عليه السلام بكى من خشية الله حتى ذهب بصره فأعاد الله عليه بصره، فبكى ثانياً فذهب بصره فأعاد الله عليه بصره ثلاثاً، فأوحى الله: «يا شعيب ممَّ بكاؤك طمعاً في جنّتي أعطيتك إيّاها، أو خوفاً من ناري أمنتك»؛ فقال [شعيب]: «ربّي لا ذا ولا ذاك، ولكن رأيتك أهلاً أنْ تخشىٰ»، فأوحى الله إليه: «وعزّتي وجلالي لأخدمنّك كليمي موسى».

﴿فَلَمّا قَضىٰ موسىٰ ٱلأَجَلَ وَسَارَ بِأهلِهِ آنَسَ مِنْ جَانِبِ ٱلطُّورِ نَاراً قالَ لأهْلِهِ ٱمْكُثُوا﴾ ـ وكانت زوجته حاملة ـ ﴿إنّي آنست ناراً لعلّي آتيكُمْ منها بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِنَ ٱلنّارِ لَعلّكم تَصْطلون﴾[2].

ويروىٰ في ذلك الحين كان قد أخذها الطلق، فلمّا مضى إلى النار وأراد أن يقتبس منها مالت عليه فولّى هارباً، وإذا بالنداء: ﴿يا موسىٰ إنّي أنا الله ربُّ

(١) سورة القصص ٢٨: ٢٧.
(٢) سورة القصص ٢٨: ٢٩.

العالَمين﴾[١] وما أحسن ما قيل من باب المثل في ذلك: «رُبَّ أمْرٍ لَيْسَ يُرجىٰ لَكَ في الغَيْبِ يَخْبِي»، إنّ موسى عليه السلام راح كي يطلب ناراً فتنبّىٰ، وإذا بتلك النار هي نور الجلالة فبعثه الله إلى فرعون.

أقول: خاف موسى عليه السلام من تلك النار بمجرّد أن رأى الميلان صار عليه وهرب منها، والحسين عليه السلام مالت عليه سيوف أهل الكوفة ورماحهم يوم «عاشوراء» ونار الحرب تستعر فلم يرع منها، بل كان ثابت الجنان، رابط الجأش، حتى شهد له العدو بذلك، فقال بعضهم: «والله ما رأينا مكثوراً قط قتل ولده وأهل بيته أربطُ جأشاً من الحسين عليه السلام، ولقد كان يشدّ علينا وقد تكاملنا ثلاثين ألفاً فننكشف من بين يديه إنكشاف المعزىٰ إذا شدّ فيها الذئب، وهو يقول: والله لا أُعطيكم بيدي إعطاء الذليل ولا أقرّ لكم إقرار العبيد».

فأبى أن يعش إلّا عزيزاً أو تجلى الكفاح وهو صريع

فتلقّى الجموع فرداً ولكن كلّ عضو في الروع منه جموع

زوج السيف بالنفوس ولكن مهرها الموت والخضاب النجيع[٢]

---

(١) سورة القصص ٢٨: ٣٠.

(٢)

لاح ابظهر غوجه احسين او سل سيفه او تعنّه الگوم

صكها الحيد وراواها انجوم الظهر ذاك اليوم

تجلّى الغيم من سيفه او تموت العده امن اتشوفه

خطفها او خطف منه الروح ومن الخوف مخطوفه

برض الغاضريه احسين ابد ما ترك بالكوفه

بيت الله النوايح بيه تنوح او مچدر او مهموم

لاچــن لوله مــا يــنزل امن الباري العهد لحسين
نــاداه الوعــد وينه او گال انـچان هـذا الدين
ابد ما يستقيم الّـه بـچتلي اخذيني يـالسيوف الحين
يســيوف العـده او دارت عـليه او كـل كـتر ملزوم
حــاطت بـيه بس تـرميه بـحجار او نـبل وسـهام
هــذا ايـطعنه بـالخطي او ذاك ايضربه بـالصمصام
حال العـطش عـن شـوفه او عنّ الماي بـالطف صـام
مــن كـثر النـبل والزان مــا يگـدر يـولي ايگـوم
ألف وتسـعميت اصـواب والمــــثلث مــرد گــلبه
او وگـع للگـاع ابـو اليـمه او عــليه الدنــيا مـنجلبه
گطع راسه الشمر بـالسيف او فــزعو كــلهم الســلبه
او لامت حــربه ســلبوها او عليه ما تركو من اهدوم
عليه ما تـركو مـن ثـياب ومــوسد عــلى التــربان
ورضّت خـيلهم جســمه او راسه على سنان اسـنان
ظــل عــاري ثـلث تـيّام ابليـاليها او گـضه عـطشان
او مـاي العـذب مـهر امّـه او من عِنده انچتل محروم

(تخميس)

أيــقتل ضـــمآناً حســين بكـربلا وفـي كـلّ عـضو مـن أنـامله بـحرُ
وَوالده الساقي على الحوض في غد وفــاطمةُ مــاء الفــرات لهـا مـهرُ

المطلب العشرون

في خروج الحسين عليه السلام من المدينة ودخوله مكة المكرمة

قال الشيخ المفيد رحمه الله: فسار الحسين عليه السلام [من المدينة] إلى مكة [وهو يقرأ][1]: ﴿خَائِفاً يَتَرَقَّبُ﴾ ـ وهو يقول: ـ ﴿رَبِّ نَجِّنِي مِنَ ٱلقَومِ الظَّالمين﴾[2] ولزم الطريق الأعظم، فقال له أهل بيته: [لو تنكّبت الطريق الأعظم كما صنع ابن الزبير][3] لئلّا يلحقك الطلب، فقال: «لا والله لا أُفارقه حتّى يقضي الله ما هو قاض».

ولمّا دخل [الحسين][4] مكة المشرفة، وكان دخوله إياها يوم الجمعة لثلاث مضين من شعبان [سنة ستين من الهجرة][5]، دخلها وهو يقرأ: ﴿وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَاءَ مَدْيَنَ قالَ عَسىٰ رَبِّي أنْ يهدِيَني سَواءَ السَّبيل﴾[6] ثم نزل بها (فأقام بقية شعبان

---

(١) ما أثبتناه من المصدر.

(٢) سورة القصص ٢٨: ٢١.

(٣) ما أثبتناه من المصدر، وفي الأصل: خَلٍّ عن هذا...

(٤) ما أثبتناه من المصدر.

(٥) لم ترد في المصدر، وأثبتها المؤلف رحمه الله نقلاً عن الملهوف للسيد إبن طاوس: ١٠١.

(٦) سورة القصص ٢٨: ٢٢.

وشهر رمضان وشوال وذي القعدة وثمان ليال خلون من ذي الحجة)[١] (وكان الناس يختلفون إليه وكان عبدالله)[٢] بن الزبير[٣] بها قد لزم جانب الكعبة [فهو قائم يصلّي عندها ويطوف، ويأتي الحسين عليه السلام فيمن يأتيه، فيأتيه اليومين المتواليين، ويأتيه بين كل يومين مرة][٤]، وصار الحسين أثقل خلق الله عليه لأنّه يعلم أنّ أهل الحجاز لا يبايعونه ما دام الحسين عليه السلام موجوداً بمكة، وأنّ الحسين أطوع للناس منه وأجلّ وأشرف[٥].

وكان ابن الزبير يسمىٰ «حمامة الحرم» لأنّه يصلي في اليوم والليلة ألف ركعة، وكان (ضَبٌّ خَب)[٦] كما قال أميرالمؤمنين عليه السلام: «بنصب الآخرة حبائل للدنيا ويروم أمر فلا يدركه»[٧]. وكان يتردد على الحسين عليه السلام بين اليوم واليومين، ويقول له: يا أبا عبدالله إنّ أهل الكوفة شيعتك وشيعة أبيك؛ وكان الحسين عليه السلام يعرض عنه فالتفت إليه ابن عباس يوماً وقال: يابن الزبير تريد أن يخلو لك

---

(١) مابين القوسين من المؤلف رحمه الله، لم ترد في المصدر، وأثبتها عن السيد ابن طاوس: ١٠١.

(٢) مابين القوسين من المؤلف رحمه الله، وفي المصدر: وأقبل أهلها يختلفون إليه، ومن كان بها من المعتمرين وأهل الآفاق،...

(٣) ولد عبدالله بن الزبير بعد الهجرة بعشرين شهراً ـ كما ذكر الواقدي ذلك ـ وكان يكنىٰ: ابابكر، وأبا حبيب، قتله الحجاج بعد أن حاصره بمكة وقد أصابته رمية فمات بها، وكان بخيلاً، وهو صاحب المثل: «أكلتم تمري وعصيتم أمري» حتى قال فيه الشاعر:

رأيتُ أبـابكرٍ وربُّكَ غـالبٌ ... على أمرِهِ، يبغي الخِلافَةَ بالتمرِ

قتل وهو ابن ثلاث وسبعين سنة، وصلب حيثُ أُصيب.

(٤) ما أثبتناه من المصدر، لعلّه سقط في الأصل.

(٥) إرشاد المفيد: ٢/٣٥.

(٦) يقال: رجلٌ خَبٌّ ضبٌّ ـ أي ـ مراوغ، والضب ـ أيضاً ـ الحقد الخفي.

(٧) الظاهر من كلامه عليه السلام [أنّه] يروم الخلافة فلا يحصل عليها، وهذه من المغيبات الّتي أخبر عنها أميرالمؤمنين عليه السلام.

الحجاز من الحسين؟ ثم التفت إلى الحسين عليه السلام وقال له: «يا ابن العم إنّي أتصبّر ولا أصبر، أنت سيد أهل الحجاز فأقم في هذا البلد، وإن أبيت إلّا أن تخرج فاخرج إلى اليمن فإنّهم أنصار جدك وأبيك، وهم أرقّ الناس عليك فإنّي أخاف عليك أن تقتل ونساؤك وأطفالك تنظر إليك». فقال له الحسين عليه السلام: «إنّ جدّي رسول الله قد أمرني بأمر وأنا ماض فيه»[١].

ثم قال له عبدالله بن الزبير: يابن رسول الله قد حضر الحج وأنت ماض إلى العراق؟ فقال عليه السلام: «لأن أُدفن بشاطىء الفرات أحب إليّ من أن أُدفن بفناء الكعبة، فإنّ أبي حدّثني أنّ بها كبشاً يستحلّ حرمتها، فما أحب أن أكون ذلك الكبش»[٢].

قال السيد ابن طاوس رحمه الله في «الملهوف»: وجاء إليه محمّد بن الحنفية فأجابه مثل ما أجاب عبدالله بن عباس[٣]، وجاءه عبدالله بن عمر[٤] فأشار عليه بصلح أهل الضلالة وحذره من القتل والقتال، فقال عليه السلام: «يا أبا عبدالرحمن أما علمت أنّ من هوان الدنيا على الله أنّ رأس يحيى بن زكريا أُهدي إلى بغي من بغايا

(١) انظر الملهوف للسيد ابن طاوس: ١٠١.

(٢) وهذه من المغيبات التي أخبر عنها إمامنا أميرالمؤمنين عليه السلام، فإنّ ابن الزبير حوصر بمكة خمسة أيام ـ حاصره الحجاج ـ ثم قتل في البيت، فكان هو الكبش، وأمر به الحجاج فصلب بمكة، وكان مقتله يوم الثلاثاء لأربع عشرة ليلة خلت من جمادي الأوّل سنة (٧٣ هـ).
انظر: تاريخ ابن الأثير: ١٣٥/٤، تاريخ الطبري: ٢٠٢/٧، فوات الوفيات: ٢١٠/١، تاريخ الخميس: ٣٠١/٢، الأعلام للزركلي: ٨٧/٤، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد:

(٣) ابن عباس، حبر الأُمّة والصحابي الجليل رضي الله عنه، ولد بمكة ولازم الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وروى عنه، وشهد مع أميرالمؤمنين عليه السلام الجمل وصفين ونهروان، كفّ بصره في آخر عمره وسكن الطائف وتوفي بها سنة (٦٨ هـ). انظر: الاستيعاب، الإصابة، صفة الصفوة: ٣١٤/١، حلية الأولياء: ٣١٤/١، نسب قريش: ٢٦، المحبر: ٩٨، الأعلام للزركلي: ٩٥/٤.

(٤) عبدالله بن عمر: وكنيته أبو عبدالرحمن، آخر من توفي بمكة من الصحابة، وكانت ولادته بمكة. انظر: الإصابة، الإستيعاب، طبقات ابن سعد: ١٠٥/٤.

بني إسرائيل، أما تعلم أنّ بني إسرائيل كانوا يقتلون مابين طلوع الفجر إلى طلوع الشمس سبعين نبياً ثم يجلسون في أسواقهم يبيعون ويشترون كأنّهم لم يفعلوا شيئاً، فلم يعجل الله عليهم بل أخذهم بعد ذلك أخذ عزيز ذي انتقام، اتّق الله يا أبا عبدالرحمن ولا تدع نصرتي».

وقال: وسمع أهل الكوفة بقدوم الحسين عليه السلام إلى مكّة وامتناعه من البيعة ليزيد، فاجتمعوا في منزل سليمان بن صرد الخزاعي، فلمّا تكاملوا قام [سليمان] فيهم خطيباً، وقال في آخر خطبته:

«[يا معشر الشيعة]، إنّكم قد علمتم بأنّ معاوية قد هلك، وقد قعد في موضعهابنه يزيد [شارب الخمور والضارب بالطنبور]، وهذا الحسين بن علي عليه السلام قد خالفه وجاء الى مكّة، وأنتم شيعته وشيعة أبيه من قبل، فإن كنتم تعلمون أنّكم ناصروه ومجاهدون دونه، فاكتبوا إليه، وإن خفتم الوهن والفشل فلا تغرّوا الرجل».

قال: فأجابوه بأننا نبايعه ونجاهد عدوّه، فقال: إذاً أُكتبوا إليه كتاباً؛ فكتبوا إليه:

بسم الله الرحمن الرحيم

إلى الحسين بن علي بن أبي طالب.

من سليمان بن صرد الخزاعي[١]، والمسيب بن نجبة[٢] ورفاعة بن

(١) تقدّمت ترجمته عن المؤلف رحمه الله، وذكرنا هناك مصادر ترجمته.

(٢) المسيب بن نجبة الفزّاري: تابعي، شهد القادسية وفتوح العراق، وشهد مع أمير المؤمنين عليه السلام حروبه الثلاثة، وكان شجاعاً مقداماً، ومتعبداً ناسكاً، ثار مع التوابين في طلب دم الإمام الحسين عليه السلام، واستشهد مع سليمان بن صرد الخزاعي بالعراق في «وقعة عين الوردة»، وحمل رأسيهما إلى مروان بن الحكم (لعنه الله)، وكان الّذي حمل رأسيهما هو ←

شدّاد[1]، وحبيب بن مظاهر، وعبدالله بن وائل، وشيعته من المؤمنين، سلام الله عليكم.

أمّا بعد، فالحمد لله الذين قصم عدوّك وعدوّ أبيك من قبل، الجبار العنيد الغشوم الظلوم، الذي ابتزّ هذه الأُمّة أمرها، وغصبها فيأها، وتأمّر عليها بغير رضى منها، ثمّ قتل خيارها واستبقى شرارها، فبعداً له كما بعدت ثمود وجعل مال الله دولة بين جبابرتها وعتاتها، فبعداً له كما بعدت ثمود.

ثمّ أنّه ليس علينا إمام غيرك، فأقبل لعلّ الله يجمعنا بك على الحق، والنعمان في قصر الإمارة، فإنّا لا نجتمع معه في جمعة ولا جماعة، ولا نخرج معه إلى عيد، ولو بلغنا قدومك لأخرجناه حتى يلحق بالشام، والسلام عليك ورحمة الله وبركاته[2].

قال أهل السير: وجعلت الكتب تترى على الحسين عليه السلام من أهل الكوفة حتى ملأ منها خرجين[3]، وإلى ذلك أشار الشاعر بقوله:

قد بايعو السبط طوعاً منهم ورضى ... وسيّروا صحفاً بالنصر تبتدر

أقدم فإنّا جميعاً شيعة تبع ... وكلّنا ناصر والكلّ منتظر

أقبل وعجّل قد اخضرّ الجناب وقد ... زهت بنظرتها الأنهار والثمر

⮌ أدهم بن بحير الباهلي (لعنه الله) وكانت «وقعة عين الوردة» في أوّل ربيع الآخر سنة (٦٥ هـ). انظر: الكامل في التأريخ لابن الأثير: ٦٨/٤، الإصابة: رقم (٨٤٢٤)، الأعلام للزركلي: ٢٢٥/٧، تاريخ من دفن في العراق من الصحابة (للمؤلف رحمه الله): ٢٢٠ (آخر ترجمة: سليمان بن صرد الخزاعي).

(١) رفاعة بن شدّاد البجلي:

(٢) الملهوف على قتلى الطفوف للسيد ابن طاووس: ١٠٢ ـ ١٠٥.

(٣) الأخبار الطوال للدينوري: ٢٢٩.

أنت الإمـام الذي نـرجـو بـطاعته خـلد الجـنان إذا النـيران تسـتعر
لا رأي للـناس إلّا فـيك فأت ولا تخشى اختلافاً ففيك الأمر منحصر
وأثـمـوه إذا لم يأتـهم فأتـى قوماً لبيعتهم بـالنكث قـد خـفروا
فـعاد نـصرهم خـذلاً وخـذلهم قـتلاً له بسـيوف للـعدى ادّخـروا
يا ويلهم من رسول الله كـم ذبـحوا ولدا له وكـريمات له أسـروا

وكان آخر كتاب قدم عليه مع هانيء بن هانيء السبيعي وسعيد بن عبدالله الحنفي، فضّه وقرأه وإذا فيه:

بسم الله الرحمن الرحيم

للحسين بن علي

من شيعته وشيعة أبيه أميرالمؤمنين

أمّا بعد، فإنّ الناس ينتظرونك لا رأي لهم إلى غيرك، فالعجل العجل يابن رسول الله، فقد أخضر الجـناب، وأيـنعة الثـمار، وأعشـبت الأرض، وأورقت الأشجار، فأقدم علينا إذا شئت، فإنّما تقدم على جند لك مجنّدة، والسلام عليك وعلى أبيك من قبلك ورحمة الله وبركاته.

فقال الحسين عليه السلام للرسول وهو هانيء بن هانيء السبيعي: «أخبرني من هؤلاء الذين كتبوا إليّ هذا الكتاب؟» قال: يابن رسول الله هم شيعتك، فقال عليه السلام: من هم؟ قال: شبث بن ربعي، وحجار بن أبجر، ويزيد بن رويم، وعروة بن قيس، وعمر بن الحجاج الزبيدي[1]، وهؤلاء كلهم من أعيان الكوفة.

---

(١) الملهوف على قتلى الطفوف للسيد ابن طاوس: ١٠٥ ـ ١٠٧، وفي الأخبار الطوال للدينوري: شبث بن ربعي وحجار بن أبجر ويزيد بن الحارث وعزرة بن قيس وعمرو بن الحجاج ومحمّد بن عمير بن عُطارد، وكان هؤلاء الرؤساء من أهل الكوفة...؛ انظر ذلك: ص ٢٢٩.

أقول: هؤلاء كلهم حضروا يوم الطف ورأوا الحسين عليه السلام يستغيث فلا يغاث، ويستجير فلا يجار، فما نصروه وما أجابوه، بل أعانوا عليه، أمّا شبث بن ربعي فإنّه قال لابن سعد: يا أمير آمر العسكر أن يفترق عليه أربعة فرق ضرباً بالسيوف، وطعناً بالرماح، ورمياً بالسهام، ورضخاً بالحجارة؛ فافترقوا على الحسين أربعة فرق كما أشار شبث بن ربعي على ابن سعد، وهؤلاء أيضاً كلهم هجموا على خدره وانتهبوا ثقله وأحرقوا خيمه وروّعوا عياله وأطفاله.

ومخدّرات من عقائل أحمد   هجمت عليها الخيل في أبياتها
وحائرات أطار القوم أعينها   رعباً غداة عليها خدرها هجموا[1]

---

(١) وزينب عليها السلام كأني بها تخاطب أخاها الحسين عليه السلام بلسان الحال:

(ابوذيّه)

الحراير من لهيب النار هاجن   ولعد جسمك يبو السجاد هاجن
يگلّنك علينه الليل هاجن   وانته اموسّد الغبره رميّه

* * *

يخويه النار وسط الخيم تنهاب   او وصلت خيلهم للخدر تنهاب
الماعدها عشيره اشلون تنهاب   يليث الغاب ما تلحك عليّه

(طور عبود غفله)

يفترن خوات احسين   من خيمه لعد خيمه
ينخن وين راحو اوين   ما مش بالكفر شيمه
كل خيمه تشبّ ابنار   ردن ضربن الهيمه
والسجاد اجو سحبوه   ودمعه اعلى الوجن ساله

(تخميس)

قلّبوه عن نطع مسجّىً فوقه   فبكت له أملاك سبع شداد
ويصيح وا ذلّاه أين عشيرتي   وسراة قومي أين أهل وداد

المطلب الحادي والعشرون

في خطبة الحسين عليه السلام قبل خروجه من مكة المشرفة

لقد دمعت عيون البيت حزناً ... لفقد منى قلوب العارفينا
وطافت طائفوه طواف ثكلى ... وقد لبسوا السواد ملهّفينا
وكانت تلبياتهم رثا رثاءاً ... لسبط كان خيرَ الناسكينا
فقدنا هاهنا قصراً مشيداً ... وبيت العز والبلد الأمينا
فقدنا هاهنا كهف الأيامى ... وسور المحتمين وطور سينا[1]

روى السيد في اللهوف وغيره قال:

لمّا همّ الحسين عليه السلام أن يتوجّه إلى العراق قام خطيباً في أصحابه فقال:

«الحمد لله ما شاء الله ولا حول ولا قوّة إلّا بالله، وصلّى الله على رسوله محمّد وآله أجمعين، خطّ الموت على ولد آدم مخطّ القلادة على جيد الفتاة، وما أولهني إلى أسلافي اشتياق يعقوب إلى يوسف، وخيّر لي مصرع أنا لاقيه، كأنّي بأوصالي تقطّعها عسلان الفلوات بين النواويس وكربلاء، فيملأن منّي أكراشاً جوفاً وأجربة سغباً، لا محيص عن يوم خطّ بالقلم، رضى الله رضانا أهل البيت، نصبر على بلائه ويوفّينا أُجور الصابرين، حين تشذّ عن رسول الله لحمته، وهي

---

(١) هنا أشار عليه السلام إلى ابن الزبير، فإن تقتله هتكت حرمة الحرم، وهذه من معيباته التي أخبر عنها عليه السلام.

مجموعة له في حظيرة القدس تقرّ بهم عينه وينجز بهم وعده».

ثم قال عليه السلام: «ألا ومن كان فينا باذلاً مهجته موطناً على لقاء الله نفسه فليرحل معنا فإنّي راحل مصبحاً إنشاء الله تعالى»(١).

قال أرباب التأريخ: وجاء كتاب من ابن عمّه مسلم بن عقيل من الكوفة مع عابس بن شبيب الشاكري يقول فيه:

«أمّا بعد، فإنّ الرائد لا يكذب أهله وقد بايعني من أهل الكوفة ثمانية عشرة ألف رجل، فعجّل الإقبال حين وصول كتابي، فإنّ الناس كلّهم معك، وليس لهم في آل معاوية [آل أبي سفيان] رأي ولا هوى والسلام»(٢).

وروى محمّد بن داود القمي بإسناده عن أبي عبدالله الصادق عليه السلام قال: «وجاء ابن الحنفية إلى الحسين في الليلة التي أراد الحسين الخروج في صبيحتها من مكة فقال له: يا أخي إنّ أهل الكوفة قد عرفت غدرهم بأبيك وأخيك، وقد خفت أن يكون حالك كحال من مضى، فإنْ رأيت أن تقيم فإنّك أعزّ من بالحرم وأمنعه» فقال له: يا أخي قد خفت أن يغتالني يزيد بن معاوية بالحرم، فأكون الذي يستباح به حرمة هذا البيت(٣).

فقال له ابن الحنفية: فإن خفت ذلك فصر إلى اليمن أو بعض نواحي البرّ، فإنّك أمنع الناس به، ولا يقدر عليك أحد. [فقال الحسين عليه السلام](٤): أنظر فيما قلت.

ولمّا كان السحر ارتحل الحسين عليه السلام، فبلغ ذلك محمّد بن الحنفية فأتاه

---

(١) الملهوف في قتلى الطفوف للسيد ابن الطاووس: ١٢٦.

(٢) الاخبار الطوال: ٢٤٣.

(٣) هنا أشار عليه السلام إلى ابن الزبير، فإنّ يقتله هتكت حرمة الحرم، وهذه من مغيباته التي أخبر عنها عليه السلام.

(٤) اثبتناه من المصدر، والظاهر أنّه سقط في الأصل.

وأخذ بزمام ناقته التي ركبها، وقال له: يا أخي ألم تعدني النظر فيما سألتك؟ قال: بلى، قال: إذاً فما حداك على الخروج عاجلاً؟ فقال له: يا أخي أتاني رسول الله ﷺ بعد ما فارقتك وقال لي: يا حسين أُخرج قد شاء الله أن يراك قتيلاً، فقال ابن الحنفية: إنّا لله وإنّا إليه راجعون، أخي إذاً فما معنى حملك هذه النسوة وأنت تخرج على مثل هذه الحالة والصفة؟ قال له: أخي قد شاء الله أن يراهنّ سبايا على أقتاب المطايا»[1].

أخي إنّ الله شاء بأن يرى جسمي بفيض دم الوريد مخضّبا
ويرى النساء على الجمال حواسراً أسرى وزين العابدين سليبا
فاكفف فقد خطّ القضاء بأنّني أمسي بعرصة كربلاء غريبا

وفي رواية أخرى قال له: «أخي أُناشدك الله أن لا تسير إلى قوم غدروا بأبيك سابقاً، وغدروا بأخيك لاحقاً، وأبقوا عدوّكم، فأقم في حرم جدك رسول الله ﷺ وإلّا فارجع إلى حرم الله، فإنّ لك فيها أعواناً كثيرة، فقال له: «لابدّ من المسير إلى العراق»، فقال له محمّد إنّه ليفجعني ذلك، ثم بكى وقال: والله يا أخي لا أقدر أن أقبض على قائم سيفي ولا أقدر على حمل رمحي، ثمّ لا فرحت بعدك أبداً». ثم ودّعه وسار الحسين عليه السلام.

قال الراوي: وعند خروجه من مكة لقيه رجل من أهل الكوفة يكنّى أبا هرة الأزدي، فسلّم عليه ثم قال له: يابن رسول الله ما الذي أخرجك عن حرم الله وحرم جدك رسول الله ﷺ؟ فقال له عليه السلام: «ويحك يا أبا هرة إنّ بني امية أخذوا مالي فصبرت، وشتموا عرضي فصبرت، وطلبوا دمي فهربت، وايم الله لتقتلني الفئة الباغية، وليلبسنّهم الله ذلّاً شاملاً، ويرسل عليهم سيفاً قاطعاً، وليسلّطنّ عليهم من يذلّهم حتى يكونوا أذلّ من قوم سبأ إذ ملكتهم إمرأة فحكمت في

---

(١) الملهوف للسيد ابن طاووس رحمه الله: ١٢٧.

أموالهم ودمائهم»[١] قال: ثم ودّعه وسار الحسين عليه السلام ومن معه قاصدين العراق[٢].

ومقوّضين تحمّلوا وعلى — مسراهم المعروف محتمل
ركبوا إلى العزِّ الردى وحدى — للموت فيهم سائق عجل
وبهم ترامت للعلىٰ شرفاً — إبل المنايا السود لا الإبل
نزلوا بأكناف الطفوف ضحىٰ — وإلى الجنان عشية رحلوا[٣]

---

(١) كلما ذكره الحسين لأبي هرة جرى على أهل الكوفة من قبل المختار وأضرابه.
(٢) الملهوف للسيد ابن طاوس رحمه الله: ١٣٢.
(٣) (نصاري)

سار احسين واصحابه بلظعون — وصلوا كربلا ووچب الميمون
ركب ستة افراس امن اليسجون — وگفوا وانشد اجموع الحميه
شسم هلگاع گالو شاطي الفرات — وسمها نينوى والغاضريات
رد انشد او گالوله المسنات — ورض لعراگ يا شبل الزچيه
بچه او گلهم او دمع العين مذروف — هم الها اسم گالوله الطفوف
رجع سايل اسمها البيها معروف — سكتوا والدموع اتكت هيه
ناده احسين واليكم ترونه — سايلكم وشو متجاوبونه
گالوا كربلا واهلّت اعيونه — او تحسّر والگلب ناره سريّه

(دكسن)

صاح احسين يصحابي انزلونه — ابهاي الگاع كلنه ايذبحونه
اوبس يبگه علي ويگيدونه — او طفلي ينذبح مابين ايديّه
يگومي ابهاي يتشتت شملنه — او نبگه بالشمس والدم غسلنه
او تسبى احريمنا او تندب يهلنه — چه ترضون نتيسّر هديّه

(تخميس)

يا من اذا ذكرت لديه كربلا — لطم الخدود وللمدامع أهملا
مهما مررت على الفرات فقل ألا
بعداً لشطّك يا فرات فمرّ لا — تخلو فإنّك لا هنيٌ ولا مري

المطلب الثاني والعشرون

في استنصار الحسين عليه السلام

إستنصر الحسين عليه السلام جماعة في طريقه إلى كربلاء، وألقى عليهم الحجج وحذّرهم سماع واعيته، وكان استنصاره لهم تارة بلسانه، وتارة بإرسال رسول من قبله إلى من يستنصره، وتارة بالكتب، فمنهم من أجابه ورزق الشهادة معه، وسُعد في الدارين بل وحظي بالسعادة الأبدية، ومنهم من اعتذر بتجارة له، ومنهم من لم يجبه إلى ذلك بشيء وبعدها أسف وندم على ما فاته من فضل الشهادة، فالذي أجاب الحسين عليه السلام لمّا دعاه لنصرته هو «زهير بن القين البجلي رضي الله عنه»، أرسل عليه الحسين عليه السلام في أثناء الطريق وطلب منه النصرة، فأجاب ورزق الشهادة وحظي بالسعادة، والذي اعتذر بتجارته هو «عمرو بن قيس المشرفي» ـ كما ذكره صاحب أسرار الشهادات ـ قال عمرو:

دخلت على الحسين عليه السلام أنا وابن عمّ لي وهو في «قصر بني مقاتل» فسلّمنا عليه، فقال له ابن عمّي: يا أبا عبدالله هذا الذي أرى خضاب أو شعرك؟ فقال [عليه السلام]: «خضاب، والشيب إلينا بني هاشم يعجل»، قال: ثمّ أقبل عليه السلام علينا، وقال: جئتما لنصرتي؟ قال عمرو: فقلت له: سيدي إنّي رجل كبير السن، كثير الدين، كثير العيال، وفي يدي بضائع للناس ولا أدري ماذا يكون من أمرك، وأكره أن أُضيّع أمانتي، وقال له ابن عمّي مثل ذلك، فقال لنا: «إذاً انطلقا ولا تسمعا لي

واعية، ولا تريا لي سواداً، فإنّه من سمع واعيتنا أو شهد سوادنا ولم يعيننا كان حقاً على الله عزّوجلّ أن يكبّه على منخريه في النار»[١]. فهذا عمرو بن قيس وابن عمّه تقاعدا عن النصرة واعتذرا للحسين عليه السلام بالتجارة.

وأمّا الذي استنصره الحسين عليه السلام وما أجابه وندم بعدها على عدم نصرته هو: «عبيدالله بن الحرّ الجعفي» ـ كما ذكره صاحب درّ النظيم ـ عن أبي مخنف قال:

لمّا نزل الحسين عليه السلام «قصر بني مقاتل» رأى فسطاطاً مضروباً، فقال: لمن هذا الفسطاط؟ فقيل له: لعبيدالله بن الحرّ الجعفي، وكان مع الحسين عليه السلام الحجاج بن مسروق الجعفي وزيد بن معقل الجعفي، فأرسل الحسين عليه السلام الحجاج ليدعوه إليه، فلمّا أتاه قال له: يابن الحرّ أجب الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام، فقال له: أبلغ الحسين عنّي وقل له إنّي لم أخرج من الكوفة إلّا فراراً من دمك، ولئلّا أعين عليك، والحسين ليس له ناصر بالكوفة ولا شيعة.

فجاء الحجاج وبلّغ الحسين عليه السلام مقالته فعظم ذلك على الحسين عليه السلام، ثمّ إنّه دعى بنعليه وقد ركبهما، وأقبل يمشي حتى دخل على عبيدالله وهو في الفسطاط، فلمّا رأى الحسين أقبل قام إجلالاً له وأوسع له عن صدر المجلس حتى أجلسه بمكانه ـ قال يزيد بن مرّة: حدّثني ابن الحرّ، قال: دخل عليّ الحسين ولحيته المباركة كأنّها جناح غراب، وما رأيت أحداً قط أحسن ولا أملأ للعين من الحسين، ولا رققت لأحد قط كرقّتي على الحسين حين رأيته يمشي وأطفاله حواليه[٢] ـ، فالتفت الحسين عليه السلام إلى عبيدالله وقال له: «ما يمنعك يابن الحرّ أن

---

(١) أسرار الشهادات للفاضل الدربندي: ٢/١٦٦ (المجلس الرابع).

(٢) هذا الخبر جاء إعتراضي من المؤلف رحمه الله ضمن سرد خبر «الدرّ النظيم»، وسيعود إلى إتمامه بعد تمام هذا الخبر.

تخرج معي؟» فقال: لو كنت ممّن كتب لك مع من كتب لكنت معك ثم كنت من أشد أصحابك على عدوك، وأنا الآن أحب أن تعفيني من الخروج معك، ولكن هذه خيلي المعدّة والأدلاء من أصحابي وهذه فرسي «الملحقة» فوالله ما طلبت عليها شيئاً إلّا أدركته، وما طلبني أحد إلّا فلت، فدونكها فأركبها حتى تلحق بمأمنك، وأنا ضمين لك بالعيالات حتى أؤدّيهم إليك أو أموت أنا وأصحابي دونهم، وأنا كما تعلم إذا دخلت في أمر لا يضمني فيه أحد. فقال له الحسين عليه السلام: «هذه نصيحة منك لي؟» قال: نعم فوالله الذي لا فوقه شيء، فقال الحسين عليه السلام: «إنّي سأنصحك كما نصحتني، مهما إستطعت أن لا تشهد وقعتنا ولا تسمع واعيتنا، فوالله لا يسمع اليوم واعيتنا أحد ثم لا ينصرنا إلّا أكبّه الله على منخريه في النار»[1].

وفي أمالي الصدوق رحمه الله: فقال له عليه السلام: «لا حاجة لنا فيك ولا في فرسك ـ ثم تلا ـ ﴿ وما كنتُ مُتَّخِذَ المُضِلِّينَ عَضُدا ﴾[2]». قال: ولما قتل الحسين عليه السلام ندم عبيدالله على عدم نصرته فأنشأ يقول:

فيا ندمي أن لا أكون نصرته ألا كلّ نفس لا تسدّد نادمه

سقى الله أرواح الذين تأزّروا على نصره سقياً من الغيث دائمه

تأسوا على نصر ابن بنت نبيّهم بأسيافهم آساد غيل ضراغمه

وله أيضاً قال متأسف على عدم نصرته للحسين عليه السلام:

فيا لك حسرة ما دمت حيّاً تردّد بين حلقي والتراقي

حسين حين يطلب بذل نصري على أهل الضلالة والنفاق

---

(١) الدر النظيم.

(٢) سورة الكهف / ٥١.

غداة يقول لي بالقصر قولاً　　أتتركنا وتزمع بالفراق
ولو أنّي أواسيه بنفسي　　لنلت كرامة يوم التلاق
مع ابن المصطفى نفسي فداء　　تولّى ثم ودّع بانطلاق
فلو فلق التلهّف قلب حيٍّ　　لهم اليوم قلبي بانفلاق
فقد فاز الأولىٰ نصروا حسيناً　　وخاب الآخرون ذوو النفاق

فهذا عبيدالله بن الحرّ يتأسّف ويتلهّف لعدم نصرته الحسين عليه السلام، وذلك لمّا رأى إنّ الذين نصروه سعدوا في الدارين، ونالوا بنصرته تلك المرتبة العالية والمنزلة السامية، قال الأعسم رحمه الله:

نصروا ابن بنت نبيّهم طوبى لهم　　نالوا بنصرته مراتب ساميه

وأي مرتبة هي أعظم وأرفع من هذه المرتبة بحيث يقف عليهم الصادق عليه السلام ويخاطبهم بقوله: «بأبي أنتم وأمّي، طبتم وطابت الأرض التي فيها دفنتم، وفزتم والله فوزاً عظيماً».

صالوا وجالوا وادّوا حقّ سيّدهم　　في موقف عقّ فيه الوالد الولد
يتهادون إلى الحرب سكارى　　طرباً فيه وما هم بسكارى[1]

---

(١)　　(نصاري)

گضوا حگّ العليهم دون الخيام　　ولا خلّوا خوات حسين تنضام
لما طاحوا تفايض منهم الهام　　تهاهوا مثل مهوى النجم من خر

(دكسن)

هذا الرمح بفّاده ايتثنّه　　وهذا بيه للنشّاب رنّه
وهذا الخيل صدره رضرضنّه　　وهذا وذاك بالهندي امورّر

(عاشوري)

ركب غوجه وتعنّه احسين ليها　　لگاها بس جثث وامسلّبيها

المطلب الثالث والعشرون

في ترجمة مسلم بن عقيل عليه السلام

روى المدائني وغيره، قال:

قال معاوية بن أبي سفيان لعقيل بن أبي طالب يوماً: هل من حاجة فأقضيها لك؟ قال: نعم، جارية عرضت عليَّ وأبى أصحابها أن يبيعوها إلّا بأربعين ألفاً. فأحب معاوية أن يمازحه، فقال له: وما تصنع بجارية قيمتها أربعون ألفاً وأنت أعمى تجتزي بجارية قيمتها أربعون درهماً؟ فقال عقيل: أرجو أن أطأها فتلد لي غلاماً إذا أغضبته ضرب عنقك بالسيف؛ فضحك معاوية وقال: مازحناك يا أبايزيد[1]. وأمر فابتيعت له الجارية التي أولدها مسلماً[2].

⮌

صبّ الدّمــع واتــلهّف عــليها　　　وگال احتسب عند الله واصـبر

(تخميس)

يا عاذليّ اقطعوا ما عندكم ودَعوا　　　أبكي على من بقلبي حُبهم طبعوا

غابوا وعن ناظري طيب الكرى منعوا

نذرٌ عليّ لئن عـادوا وإن رجـعوا　　　لأزرعـنّ طـريق الطـفّ ريـحانا

(١) الشهيد مسلم بن عقيل للسيد المقرم ص٦٨.

(٢) هي علية النبطية من آل فرزندا، هكذا ذكرها ابن قتيبة في المعارف. انظر: المعارف لابن قتيبة: ٢٠٤، وطبقات ابن سعد: ٢٩/٤.

فلمّا أتت على مسلم سنين وقد مات أبوه عقيل جاء إلى الشام وقال لمعاوية: إنّ لي أرضاً بمكان كذا من المدينة[١]، وقد أُعطيت بها مائة ألف، وقد أحببت أن أبيعك إياها فادفع لي ثمنها؛ فأمر معاوية بقبض الأرض ودفع الثمن إليه، فبلغ ذلك الحسين عليه السلام فكتب إلى معاوية: «أمّا بعد فإنّك أغررت غلاماً من هاشم فابتعت منه أرضاً لا يملكها فاقبض منه ما دفعته إليه واردد إلينا أرضنا».

فبعث معاوية إلى مسلم فأقرأه كتاب الحسين عليه السلام وقال له: اردد علينا مالنا وخذ أرضك، فإنّك بعت ما لا تملك. فقال مسلم: أمّا دون أن أضرب رأسك بالسيف فلا، فاستلقى معاوية ضاحكاً يضرب برجليه الأرض ويقول له: يا بني هذا والله ما قاله أبوك حين ابتاع أُمّك. ثم كتب إلى الحسين أن قد رددت أرضكم وسوّغت مسلماً ما أخذ[٢].

قال أهل السير: كان مسلم بن عقيل فارساً شجاعاً، شهد مع عمّه أميرالمؤمنين عليه السلام «صفين»، وكان من القواد الذين جعلهم أميرالمؤمنين على الميمنة «يوم صفين»[٣]، كان يوم بعثه الحسين عليه السلام إلى الكوفة قد ذرف على الأربعين.

وروى أبو مخنف وغيره: أنّ أهل الكوفة لمّا كتبوا إلى الحسين عليه السلام دعا مسلماً وسرحه مع قيس بن مسهر الصيداوي وعبدالرحمن بن عبدالله وجماعة من الرسل، وأمره بتقوى الله وكتمان أمره واللطف، فإن رأى الناس مجتمعين

(١) وهي البغيبغة، وفيها عين ماء وهي للحسين، فباع مسلم قسم منها على معاوية وهي التي أراد الحسين عليه السلام أن يعطيها لابن سعد عوض ملك الري الذي حرمه الله منه. انظر:

(٢) شرح نهج البلاغة: ٨٢/٣ طبعة مصر.

(٣) المناقب: ٢٦٠/٢.

[مستوثقين][١] عجّل إليه بذلك[٢]. وكتب الحسين عليه السلام إلى أهل الكوفة كتاباً يقول فيه: «أمّا بعد، فقد أرسلت إليكم أخي وابن عمّي، وثقتي من أهل بيتي، مسلم بن عقيل، وأمرته أن يكتب لي إن رآكم مجتمعين، فلعمري ما الإمام إلّا من قام بالحق وما يشاكل هذا».

فخرج مسلم من مكة في النصف من شهر رمضان[٣]، وأتى المدينة فصلّى في مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وودّع أهله وخرج، فاستأجر دليلين من بني قيس، وودّع قبر النبي صلى الله عليه وآله وسلم وسار، فلمّا أن صار في بعض الطريق ضلّا الدليلان وأصابهما عطش شديد، فقالا له: هذا الطريق ينتهي بك إلى الماء فلا تفارقه. ثم ماتا، فكتب مسلم بن عقيل إلى الحسين عليه السلام من الموضع المسمى «بالمضيق»:

«أمّا بعد فإنّي أُخبرك يابن بنت رسول الله إنّي قد أتيت مع الدليلين فضلّا عن الطريق واشتدّ بهما العطش فماتا، فتطيّرت من وجهي هذا». فلمّا وصل الكتاب إلى الحسين عليه السلام كتب جوابه:

بسم الله الرحمن الرحيم

من الحسين بن علي بن أبي طالب

إلى ابن عمّه مسلم بن عقيل

«أمّا بعد، يابن العمّ إنّي سمعت جدّي رسول الله يقول «ما منّا أهل البيت من يتطيّر به» فإذا قرأت كتابي هذا فامض على ما أمرتك به، والسلام عليك ورحمة الله وبركاته».

---

(١) ما أثبتناه من المصدر.

(٢) مقتل الحسين عليه السلام لأبي مخنف: ١٩.

(٣) انظر مروج الذهب للمسعودي: ٣/٥٤.

فلمّا ورد الكتاب إلى مسلم بن عقيل وقرأه سار من وقته وساعته حتى مرّ بماء «لطي» فنزل عليه، ورأى رجلاً قد رمى ظبية فصرعها فقال: نقتل عدوّنا هكذا إنشاء الله تعالى. قال: وسار حتى وافى الكوفة، فدخلها ونزل في دار المختار بن أبي عبيدة الثقفي[١].

وقال ابن شهرآشوب: لمّا دخل مسلم الكوفة نزل في دار سالم بن المسيب، ولمّا دخل ابن زياد الكوفة انتقل من دار سالم إلى دار هاني بن عروة المرادي المذحجي[٢] في جوف الليل[٣]. وكان دخوله يوم الخامس من شوال سنة ستّين[٤].

فجعل الناس يختلفون إليه وجعل مسلم كلّما دخل عليه جماعة من أهل الكوفة قرأ عليهم كتاب الحسين عليه السلام وهم يبكون، حتى بايعه في ذلك اليوم ثمانون ألف، وقيل: حتى صار مجلسه ثمانية عشر ألف[٥].

ويروى أنّه بايعه ثمانية عشر ألف كما كتب إلى الحسين عليه السلام: «أمّا بعد فإنّ الرائد لا يكذب أهله، وقد بايعني من أهل الكوفة ثمانية عشر ألف فالعجل العجل بالإقبال حين يأتيك كتابي هذا، فإنّ الناس كلّهم معك وليس لهم في آل معاوية رأي ولا هوىٰ». ثم أرسل الكتاب مع عابس بن شبيب الشاكري إلى مكة[٦].

---

(١) الشهيد مسلم بن عقيل: ١٤ عبدالرزاق المقرم.

(٢) مذحج: كمجلس، أبو قبيلة من قبائل اليمن، وهو مذحج بن جابر بن مالك بن زيد كهلان بن سبأ ومراد: بطن من مذحج، وكان هانىء بن عروة مرادياً. انظر:

(٣) المناقب لابن شهرآشوب: ٩١/٤.

(٤) مروج الذهب للمسعودي: ٥٤/٣.

(٥) الملهوف على قتل الطفوف: ١٠٨.

(٦) الأخبار الطوال للدينوري: ٢٤٣.

قال: ولمّا سمع النعمان بن بشير الأنصاري[١] بقدوم مسلم إلى الكوفة كتب كتاباً إلى يزيد: «أمّا بعد، فإنّ مسلم بن عقيل قد دخل الكوفة وقد بايعه الناس، فإن كانت لك في الكوفة حاجة فابعث إليها من ينفذ أوامرك».

وكتب ـ أيضاً ـ عبدالله بن شعبة الحضرمي[٢] إلى يزيد: «أمّا بعد، فإنّ مسلم ابن عقيل ورد الكوفة وقد بايعه شيعة الحسين، فإن كانت لك في الكوفة حاجة فأنفذ إليها رجلاً قويّاً، فإنّ النعمان ضعيف أو يتضاعف».

وكتب له عمر بن سعد بنحو ذلك، فدعى يزيد بمولى له يقال له سرجون، فاستشاره بهذا الأمر، فقال له: لو نُشر لك معاوية حيّاً لما عدا رأيه عن ابن زياد، قال: فكتب يزيد إلى ابن زياد وهو يومئذ والٍ على البصرة: «أمّا بعد، فإنّي ولّيتك المصرين الكوفة والبصرة[٣]، فخذ بالرأي السديد واعمل النصح، ثم قد بلغني أنّ مسلم بن عقيل قد ورد الكوفة وقد أجتمع عليه الناس يبايعونه، فإنّي لا أجد سهماً أرمي به عدوّي أجرأ منك، فإذا قرأت كتابي هذا فسر من قوّتك وساعتك، وإيّاك والإبطاء والتواني، واجتهد ولا تبق من نسل علي بن أبي طالب، واطلب مسلم بن عقيل طلب الخرزة واقتله، وابعث إليّ برأسه والسلام».

---

(١) النعمان بن بشير: كان والياً على الكوفة من قبل معاوية فأقرّه يزيد عليها، وأمّه: عمره بنت رواحة أُخت عبدالله بن رواحة، قال ابن أبي الحديد في الشرح: كان النعمان بن بشير منحرفاً عنه ـ يعني علياً عليه السلام ـ وعدوّاً لله وخاض الدماء مع معاوية خوضاً، وكان من أمراء يزيد بن معاوية حتى قتل وهو على حاله. ويروى أنّه قتله حمص في فتنة ابن الزبير، لأنّه كان والياً عليها. انظر: شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: «النعمان بن بشير».

(٢) وكان أوّل من كاتب يزيد في حرب الحسين عليه السلام.

(٣) أو يقال: العِراقين، وهي البصرة والكوفة، وذكر ابن قتيبة وغيره أنّ أوّل من جُمع له (العِراقين) هو زياد بن أبيه وذلك في زمن معاوية، ثم جاء يزيد بن معاوية فجمع (العِراقين) لابن زياد فكان ثاني من يجمع له (العِراقين). انظر: المعارف لابن قتيبة: ٣٤٦، ٣٤٧.

ودفع الكتاب إلى مسلم بن عمرو الباهلي[١]، وقال له: امض إلى البصرة وادفع كتابي هذا إلى عبيدالله بن زياد. فأخذه اللعين وجاء به، فلمّا قرأه ابن زياد (لعنه الله) صعد على المنبر خاطباً وقال: يا أهل البصرة إنّ الخليفة يزيد ولّاني الكوفة والبصرة، وقد عزمت على الرحيل إليها، وقد استخلفت عليكم أخي عثمان بن زياد، فاسمعوا له وأطيعوا له، وإياكم والأراجيف، فوالله إن بلغني أنّ رجلاً منكم خالف أمري لأقتلنّ عزيزه ولآخذنّ الأدنى بالأقصى حتى تستقيموا.

ثم خرج من البصرة يريد الكوفة ومعه جماعة منهم: المنذر بن جارود العبيدي، وشريك الأعور الحارثي، ومالك بن مشيع، ومسلم بن عمرو الباهلي، ويقال: أنّ هؤلاء الثلاثة تكاسلوا في الطريق وما مضى معه إلى الكوفة إلّا اللعين مسلم بن عمرو الباهلي، فجاء معه حتى دخلا الكوفة.

وهذا اللعين (مسلم بن عمرو الباهلي) هو الذي قابل مسلم بن عقيل عليه السلام

---

(١) مسلم هذا والد قتيبة بن مسلم أمير خراسان المشهور؛ باهلي وباهلة: قبيلة من قيس عيلان، وليس لهم في الشرف من ذكر، وعن أمالي الطوسي قال أميرالمؤمنين عليه السلام: «فوالذي فلق الحبة وبرء النسمة ما لهم في الإسلام نصيب». يعني بهذا الكلام قبائلاً منهم: باهلة.

وفي الكامل للمبرد: أنشد أبوالعباس لرجل من عبد القيس:

أباهلي ينجي كلبكم ... واسدكم ككلاب العرب

إذا قيل للكلب يا باهلي ... عوى الكلب من لؤم هذا النسب

وقال آخر:

إذا ولدت حليلة باهلي ... غلاماً زيد في عدد اللئام

انظر: أمالي الطوسي: ١١٦/١٨٠ (المجلس الرابع ـ الحديث ٣٤).

بكلمات حين جيء به مكتوفاً، فرأى قلّة[١] على باب القصر، فقال: اسقوني ماء؟ فقال له اللعين مسلم بن عمرو الباهلي: والله لن تذوق منها قطرة واحدة حتى تذوق الحامية وتشرب من حميمها، فقال له مسلم عليه السلام: لأُمك الثُكل، ما أجفاك وأفضّك وأقسى قلبك، ثم قال له: من أنت؟ قال: أنا مسلم بن عمرو الباهلي، فقال له: يا ابن باهلة أنت أولىٰ وأحق بالحميم من نار جهنم، ويلك أنا أرد على رسول الله وأشرب من الكوثر[٢].

ثم أُدخل على ابن زياد وجراحاته تشخب دماً.

ومذ به شاء الإله ما به قد حكما … للقصر أقبلوا به لهفي له يشكو الظما[٣]

---

(١) القلة: إناء كبير يوضع فيه الماء، ويكون من الفخار لكي يبرد الماء فيه.

(٢) انظر مروج الذهب للمسعودي: ٣/٥٩.

(٣) (نصاري)

ضرب وجهه يويلي نغل حمران … او وصل گصر الإماره وهو عطشان
عليه آمر يچتلونه الخوّان … او ذبّه من السطح لرض الوطيّه
صعدوا بيه وهو زاد لونين … او على صوب المدينه ايدير بالعين
صله او صاح الله وياك يحسين … او گطعوا راسه او أمسه رميّه

(بحراني)

مصيبتهم مصيبة اتصدع الجبال … ومن گبل المشيب تشيب الأطفال
شفت ميّت يجرّونه بالحبال … يصاحب لا تظن صارت مثلها

(تخميس)

عيني جودي لمسلم بن عقيل … لرسول الحسين سبط الرسول
لشهيد بين الأعادي وحيداً … وقتيل لنصر خير قتيل

المطلب الرابع والعشرون

في كيفية دخول ابن زياد الكوفة

قال أبو مخنف[1]:

كان دخول ابن زياد الكوفة ممّا يلي البر، وعليه ثياب بيض وعمامة سوداء متلثّماً، وانتعل نعلين يمانيتين وتختّم بيده اليمنى، وكان راكباً على بغلة شهباء، وبيده قضيب من الخيزران، وكان دخوله يوم الجمعة، هذا وقد انصرف الناس من الصلاة وهم يتوقعون قدوم الحسين عليه السلام، فلمّا رأوه ظنّوه أنّه الحسين لتشبهه به بلباسه فجعلوا يقولون: مرحباً بك يابن رسول الله، قدمت خير مقدم؛ وصار لا يمرّ على ملأ إلّا ويسلّم عليه بقضيبه وهم يستبشرون. فلمّا وصل إلى قصر الامارة قال لهم مسلم بن عمرو الباهلي: تأخّروا عن وجه الأمير، فليس هو طلبتكم؛ ثم أسفر ابن زياد عن وجهه، فلمّا رأوه وعرفوه تفرّقوا عنه، فجاء وطرق باب القصر فأشرف النعمان وإذا على الباب ابن زياد، وصاح ابن زياد: ويلك افتح، لا فتحت حصنة دارك وضيعة مصرك. ثم دخل القصر، وبات مسلم بن عقيل والناس

---

(١) مقتل الحسين لأبي مخنف: ٢٦، ٢٨.

حوله، فلمّا أصبح الصباح دخل شريك بن الأعور[١] إلى الكوفة ونـزل فـي دار هاني بن عروة المرادي فبقي عنده حتى مات.

وقال ابن زياد: فلينادي منادي الصلاة جامعة؛ فـنادى المـنادي واجـتمع الناس في المسجد، فصعد ابن زياد على المنبر خطيباً وقال:

«أيها الناس من عرفني فقد عرفني، ومن لم يعرفني فأنا أُعرّفه بنفسي، أنا عبيدالله بن زياد، وإنّ الأمير يزيد بن معاوية قد ولّانـي مـصركم هـذا، وأمـرني بالإنصاف للمظلوم، وإعطاء المحروم، والإحسان إلى محسنكم، والتجاوز عـن مسيئكم، وأنا متّبع فيكم أمره، وأمرني أن أزيد في عطائكم، وأن أضع السيف في رقاب الذين يخالفوني». ثم نزل عن المنبر، وأمر مـناديه أن يـنادي فـي قـبائل العرب أن اثبتوا على بيعة يزيد بن معاوية.

قال أبو مخنف: فلمّا سمع أهل الكوفة جعل بعضهم يقول لبعض: ما لنا والدخول بين السلاطين، ونقضوا بيعة الحسين عليه‌السلام وبـايعوا يـزيد بـن مـعاوية، وخرج مسلم عليه‌السلام إلى المسجد ليصلّي صلاة الظهر فلم يجد أحـداً، فأذّن وأقـام وجعل يصلّي وحده، فلمّا فرغ من صلاته وإذا هو بغلام فقال له: يا غلام ما فعل أهل هذا المصر؟ قال: سيدي إنّهم نقضوا بيعة الحسـين عليه‌السلام وبـايعوا يـزيد بـن

---

(١) قال ابن الأثير: كان شريك بن الأعور الحارثي كريماً على ابن زيـاد وعـلى غـيره مـن الأمراء، وكان شديد التشيّع، وشهد مع أميرالمؤمنين عليه‌السلام «صفين» وله حكاية مشهورة مع معاوية حين قال له: أنت شريك وليس لله شريك.

وأبوه الحارث الهمداني رحمه‌الله الّذي كان من خواص أميرالمـؤمنين عليه‌السلام، وهـو الذي قـال له أميرالمؤمنين عليه‌السلام الكلمات التي نظمها السيد الحميري شعراً:

يا حار همدان من يمت يرني   من مؤمن أو منافق قبلا الخ

انظر: الكامل في التأريخ لابن الأثير: ٢٦/٤، ووقعة صفين للمنقري: ١١٧، وتاريخ من دفن في العراق من الصحابة ـ للمؤلف.

معاوية. فلمّا سمع مسلم عليه السلام صفق بيديه وخرج من المسجد متّجهاً إلى دار هاني بن عروة، فلمّا أتى عليها رأى على الباب جارية، فقال لها: أمة الله ادخلي على هاني وقولي له أنّ على الباب رجل، فإن سألك عن إسمي فقولي له مسلم بن عقيل؛ فدخلت الجارية هنيئة وخرجت، فقالت: ادخل يا سيدي، وكان هاني بن عروة يومئذ عليلاً، فنهض ليعتنقه فلم يقدر وجلسا يتحدّثان.

قال الراوي: ولم يعلم ابن زياد بمكان مسلم عليه السلام، وضاع عليه خبره فجعل العيون على مسلم بن عقيل عليه السلام، ومن جملتهم مولاه (معقل) وكان داهية دهماء، وأعطاه ثلاثة آلاف درهم وقال له: خذ الدراهم واجعل نفسك من الموالين للحسين لعلّك تأتيني بخبر مسلم بن عقيل. فأخذ معقل الدراهم وجعل يدور في الكوفة ويسأل عن مكان مسلم، حتى أرشد إلى مسلم بن عوسجة، فجاء إليه وهو يصلّي في المسجد، فلمّا فرغ من صلاته قام إليه معقل واعتنقه وأظهر له الإخلاص، وقال له: أنا رجل شامي وقد أنعم الله عليَّ بحبّ أهل البيت، وعندي ثلاثة آلاف درهم وقد أحببت أن ألقى الرجل الذي بايع على يده الناس لابن رسول الله، وقد دللت عليك وأنا أريد منك أن تأخذ هذه الدراهم إليه وتدخلني عليه، فأنا ثقة من ثقاته وعندي كتمان أمره. فقال له مسلم بن عوسجة: يا أخا العرب اعزب عن هذا الكلام، مالنا وأهل البيت، وما أصاب الذي أرشدك إليّ؟ فقال له معقل: إن كنت لم تطمئن فخذ عليَّ العهود والمواثيق، ثم حلف له الأيمان وأقسم عليه قسماً عظيماً أنّي لم أخبر بسرّه أحداً، ولم يزل به حتى اطمئنّ منه مسلم بن عوسجة فأدخله على مسلم بن عقيل عليه السلام وأخبره بخبره، فوثق به مسلم عليه السلام وأخذ منه البيعة للحسين عليه السلام، ثم إنّ مسلم عليه السلام أعطى الدراهم لأبي ثُمامة

الصائدي وكان هو الذي يقبض الأموال ويشتري السلاح، وكان فارساً شجاعاً[١].

قال الراوي: وصار معقل يأخذ أسرارهم حتى إستقصى أسرارهم، فخرج من عند مسلم عليه السلام وجاء إلى ابن زياد وأخبره بمكان مسلم وبثّ إليه أسراره، فصار ابن زياد جلَّ همّه أن يحتال بهاني ويقبضه وقد أُخبر أنّه مريض، فأرسل إليه: أريد أن أعودك؛ فقال هاني لمسلم: إنّ ابن زياد بلغه أنّي مريض وهو يريد أن يعودني، فخذ هذا السيف وادخل المخدع فإذا جلس أخرج إليه واقتله، واحذر أن يفوتك، فإن فاتك فإنّه يقتلني ويقتلك، انظر إذا أنا رميت عمامتي عن رأسي؛ فقال مسلم عليه السلام: أفعل.

قال الراوي: ولمّا فرغ ابن زياد من صلاة العشاء أقبل يعود هانياً، ولم يكن معه سوى حاجبه، فلمّا صار على الباب استخبر هاني فقال لمسلم: خذ السيف وادخل إلى المخدع، فقام مسلم عليه السلام ودخل المخدع، ودخل ابن زياد على هاني وسلّم عليه وجلس إلى جنبه وجعل يحادثه ويسأله عن حاله، وهاني يشكو إليه الذي يجده وهو مع ذلك يستبطي خروج مسلم، فجعل هاني يأخذ عمامته من على رأسه ويضعها على الأرض مراراً ومسلم لا يخرج، ثم وضعها على رأسه، ولم يزل يصنع هاني هكذا ثلاث مرّات ومسلم لا يخرج، فجعل هاني يتمثّل بهذه الأبيات وهي:

ما الإنتظارُ بسلمىٰ لا تُحيّيها ... كأسُ المنيّةِ بالتعجيلِ اسقوها
هل شربة عذبة أسقى على ظمأ ... ولو تلفت وكانت منيتي فيها
فإن أحست سليماً منك داهية ... فلست تأمن يوماً من دواهيها

فلم يزل هاني يردّد هذه الأبيات ومسلم لا يخرج، فقال ابن زياد: ما بال

(١) تاريخ الطبري: ٥/٣٦٤.

الرجل؟ يهجر؟ فقيل له: بلى يهجر من شدة المرض، ويقال: إنّه أحسّ بشيء فقام من عند هاني وخرج وأقبل إلى قصر الإمارة. فقال هاني لمسلم: ما الذي منعك عن قتله؟! قال: سمعت خبراً عن رسول الله ﷺ قال: «لا إيمان لمن قتل مسلماً»، فقال له شريك: ما منعك من قتله؟ قال: خصلتان: إحداهما كرهت أن يقتل في دارك، والثانية لحديث حدّثنيه الناس عن النبي ﷺ أنّه قال: «الإيمان قيد الفتك فلا يفتك مؤمن»؛ فقال لها هاني: أما والله لو قتلته لقتلت فاسقاً فاجراً[١].

وقال بعض المؤرخين: إنّ ابن زياد جاء ليعود شريكاً حيث لمّا ورد الكوفة نزل في دار هاني بن عروة؛ هكذا روى أبوالفرج الأصفهاني والدينوري[٢].

أقول: امتنع مسلم من قتل ابن الزانية، لا والله بل القضاء والقدر حال بينهما، ولولا القضاء والقدر لما أُدخل عليه مسلم بن عقيل عليه السلام مكتوفاً، فلمّا أُدخل عليه لم يسلّم، فقال له الحرس: لم لا تسلّم على الأمير؟ فقال: ما هو لي بالأمير، فقال له ابن زياد: لا عليك إن سلّمت أو لم تسلّم فإنّك مقتول لا محالة، فقال مسلم: إن قتلتني فقد قتل من هو شرّ منك خير منّي، فقال ابن زياد: يا شاقّ أتيت الناس وهم جمع فشتّتّ كلمتهم وفرّقت جماعتهم، فقال مسلم: كلّا ما لهذا أتيت، ولكن أهل هذا المصر زعموا أنّ أباك قتل خيارهم وسفك دماءهم وعمل فيهم أعمال كسرى وقيصر، فأتيناهم لنأمر بالمعروف وننهى عن المنكر؛ فجعل ابن زياد يشتمه ويشتم عقيلاً والحسن والحسين ومسلم ساكت لا يتكلّم.

أقول: كان اللعين ابن زياد هذا دأبه وهذه سجيّته وهذا ديدنه، يشتم

---

(١) انظر تاريخ الطبري: ٥/٣٦٠ ـ ٣٦٣.

(٢) مقاتل الطالبيين: ٩٨، الأخبار الطوال: ٢٣٤.

أميرالمؤمنين عليه السلام، حتى إذا جاؤا إليه بالسبايا صعد المنبر وتكلّم بكلمات الظفر وجعل يشتم أميرالمؤمنين عليه السلام والحسن والحسين عليهما السلام.

أعلى المنابر تعلنون بسبّه ... وبسيفه نصبت لكم أعوادها[1]

---

(١) (بحراني)

دشّت على ابن زياد زينب والخواتين ... ويـاهم السجاد يـهمل دمعة العين
والرجس فوگ التخت يتفرّج عليها ... كلها بليا استار تستر بيديها
بيدهْ قضيب او ينكت ابمبسم وليها ... ويگول هاللي امغلل ابزنجيل من وين
گالوا علي گلهم علي يقولون مذبوح ... گالوا نعم الأكبر ابوادي الطف مطروح
جدّام ابوه احسين ظل يعالج الروح ... وهذا الذي ظل من أولاد الهاشميين
اتكلم وبو محمّد يجيبه ابدمع سكّاب ... گلّه بعد تگدر عليه اتردّ الجواب
وآمر يسحبونه بقيده فوگ التراب ... او ضجّت الحاله بالبكا ذيك الخواتين
او زينب تنادي وين عزنا ماخذينه ... گلبيَ تقطّعت هالولد لا تسحبونه
وانكان يا ظالم عزمكم تذبحونه ... گبله اذبحوني عيشتي گشري ابلا معين

وكأنّي بمولاتي زينب عليها السلام تلتفت إلى رأس الحسين عليه السلام ولسان الحال:

(عاشوري)

إن صحت خويه يضربوني ... وإن صحت بويه يشتموني

(تخميس)

جورُ الزمان رماني منه بالعَجَبِ ... وحكمُهُ جار في السادات بالعطب
لم يبق ذا حسبٍ منّي ولا نسب
أخي ذبيحٌ ورحلي قد أُبيح وبي ... ضاق الفسيح وأطفالي بغير حمي

المطلب الخامس والعشرون

في كيفية قبض هاني بن عروة وقتله ﵀

كان هاني بن عروة هو وأبوه من وجوه الشيعة، ويروىٰ أنّه كان كأبيه صحابياً، وحضرا مع أميرالمؤمنين ﵇ حروبه الثلاث، وهو القائل يوم الجمل شعراً:

بالك حرباً حثّها جمالها　　　يقودها لنقصها ضلالها

هذا علي حوله إقبالها[1]

وروى المسعودي في مروج الذهب: أنّه كان شيخ مراد وزعيمها، وكان يركب في أربعة آلاف دارع وثمانية آلاف راجل، فإذا تلاها أحلافها من كندة ركب في ثلاثين ألف دارع[2].

وكان معمراً، وذكر بعضهم أنّ عمره كان ثلاثاً وثمانين سنة، وقيل: بضع وتسعين سنة، وكان يتوكّأ على عصى بها زجّ، وهي التي ضربه ابن زياد بها.

وروى أبو مخنف: أنّ ابن زياد لمّا أخبره معقل بخبر هاني أرسل إليه محمد ابن الأشعث وأسماء بن خارجة وقال لهما: إءتياني به آمناً، فقالا: وهل أحدث

---

(١) انظر تاريخ من دفن في العراق من الصحابة: ٤٦٦.

(٢) مروج الذهب: ٥٩/٣.

حدثاً؟! قال: لا، فأتوه إليه جماعة، وقالوا له: ما الذي يمعنك من لقاء الأمير فإنّه قد ذكرك وقال: لو أعلم أنّه مريض لعدته ولكن بلغني إنّه يجلس على باب داره، وأنت تعلم أنّ الإستبطاء والجفاء لا يحتمله السلطان، فإنّا نقسم عليك إلّا ما ركبت معنا.

قال: فدعى هاني بثيابه فلبسها، ثم دعى ببغلته فركبها، وجاء معهم حتى إذا دنا من القصر كأن نفسه أحسّت ببعض الذي كان فقال لحسان بن أسماء بن خارجة: يابن أخي إنّي والله لخائف من هذا الرجل، فقال له: اي عم والله ما أتخوّف عليك شيئاً ولم تجعل على نفسك سبيلاً وأنت بريء[1]؛ فأُدخل هاني على ابن زياد، فلمّا رآه عبيدالله بن زياد جعل يقول:

أتتك بخائن رجلاه تسعى يقود النفس منها للهوان

وكان قد عرس عبيدالله بن زياد إذ ذاك بأم نافع ابنة عمارة بن عقبة المرادي، فلمّا دنا من ابن زياد وعنده شريح القاضي إلتفت إليه وقال:

أريد حياته ويريد قتلي عذيرك من خليلك من مراد[2]

فقال هاني: وما ذاك يا أمير؟ قال: ايه هاني ما هذه الأمور التي تربص في دارك؟ جئت بمسلم بن عقيل فأدخلته دارك، وجمعت له السلاح والرجال في الدور حولك، وظننت أنّ ذلك يخفى عليَّ؟ قال: يا أمير ما فعلت ذاك وليس عندي مسلم. قال: بل عندك؛ ولمّا كثر الكلام بينهم دعى ابن زياد معقلاً، فجاء اللعين والتفت ابن زياد إلى هاني وقال له: أتعرف هذا؟ قال: نعم؛ ثم أسقط ما في

---

(١) يقال إنّ حسان بن أسماء بن خارجة كان لا يعلم في أي شيء بعثه ابن زياد، وكان محمّد بن الأشعث من جملة من كان معه.

(٢) وهذا البيت لعمرو بن معدي كرب الزبيدي.

يده، وعلم أنّ هذا كان عيناً له، ثم انّ نفسه راجعته وقال له: اسمع منّي وصدّق مقالتي فوالله لا أكذبك، والله الذي لا إله غيره فإنّي آويت مسلماً وقد كان أمره الذي بلغك فإن شئت أعطيتك رهينة في يدك حتى أنطلق وآمره أن يخرج من داري إلى حيث شاء من الأرض فأخرج من ذمامه وجواره. فقال: لا والله لا تفارقني حتى تأتيني به؛ قال: والله لا آتيك به.

فقام مسلم بن عمرو الباهلي وقال: يا أمير دعني أكلّمه؛ ثم أخذه واعتزل به بحيث إذا تكلّموا تارة يسمعهم ابن زياد وأخرى لا يسمعهم، فقال له مسلم بن عمرو الباهلي ـ ولم يكن شامي ولا بصري بالكوفة غيره ـ قال: سلّم له مسلماً فإنّي أخشى عليك من القتل. فقال هاني: والله لا أسلّمه حتى أقتل؛ فسمع ابن زياد (لعنه الله) كلامه فصاح بمسلم بن عمرو: ادنه منّي، فأدناه منه فقال له ابن زياد: لتأتيني به أو لأضربنّ عنقك؟ فقال هاني: إذاً تكثر البارقة حول دارك. فقال: وا لهفتاه أبالبارقة تخوّفنيى ـ ويظنّ أنّ عشيرته سيمنعونه ـ فقال ابن زياد: أدنوه منّي، فأخذ يدنوا إليه فاستعرض وجهه بالقضيب فلم يزل يضرب وجهه وكسر أنفه وسالت دماه على ثيابه حتى كسر القضيب، فضرب هاني يده على قائم سيف شرطي فجاذبه الشرطي ومنعه، فقال ابن زياد (لعنه الله): خذوه واحبسوه في حجرة من هذه الحجر وأغلقوا عليه بابها: فأُخذ هاني وحبس.

فسمعت مذحج وسمع عمرو بن الحجاج أنّ هانياً قد قبض، لأن روعة أخت عمرو ابن الحجاج تحت هاني بن عروة[1] فأقبلوا حتى أحاطوا بالقصر، ونادى عمرو بن الحجاج: أنا عمرو وهذه فرسان مذحج ووجوهها لم تخلع طاعة ولم تفارق جماعة، فقيل لعبيدالله بن زياد: هذه مذحج بالباب! فقال لشريح

(١) وهي أم يحيى بن هاني الذي قتل بالطف مع أصحاب الحسين في الحملة الأُولى.

القاضي: ادخل على صاحبهم وانظر إليه ثم اخرج إليهم وأعلمهم بأنّ صاحبهم حي لم يقتل؛ فقام شريح ودخل على هاني في الحبس وتكلّم معه، فقال هاني: والله لو خل عليَّ من مذحج عشرة لأنقذوني من هذا اللعين. ثم خرج شريح من عنده وأقبل حتى أشرف على مذحج وقال لهم: إنّ الأمير لمّا بلغه مكانكم ومقالتكم في صاحبكم أمرني بالدخول إليه فأتيته فنظرت إليه وخرجت لأخبركم أنّه صحيح سالم، والذي بلغكم من قتله كان باطلاً. فعند ذلك انصرفوا وهم يقولون فأمّا إذا لم يقتل فالحمد لله[1].

وبقي هاني في السجن حتى إذا قبض على مسلم وقتل أمر ابن زياد بإخراج هاني إلى السوق الذي تباع فيه الأغنام، فأخرج مكتوفاً فجعل ينادي: وا مذحجاه ولا مذحج لي اليوم.. وا مذحجاه وأين عنّي مذحج...

فلمّا رأى أن لا ينصره أحد اجتذب يده من الكتاف فنزعها ثم قال: أما من عصا أو سكّيناً أو حجراً أو عظماً يذبّ به الرجل عن نفسه! فتواثبوا عليه وشدّوه وثاقاً فقيل له: امدد عنقك! قال: ما أنا بها مجدٍ سخيّ، وما أنا بمعينكم على نفسي! فضربه مولى لعبيدالله بن زياد (تركي) يقال له رشيد[2] بالسيف فلم يصنع شيئاً، فقال هاني: إلى الله المعاد اللّهمَّ إلى رحمتك ورضوانك[3].

ثمّ حزّوا رأسه وجاؤا بجثّته وجثّة مسلم بن عقيل وربطوا برجليهما الحبال، وجعلوا يسحبونهما في الأسواق، وفي ذلك يقول عبدالله بن الزبير الأسدي من

---

(١) مقتل أبي مخنف: ٣٩ ـ ٤٠.

(٢) قال ابن الأثير في الكامل: لمّا كان يوم خازر نظر عبدالرحمن بن الحصين المرادي إلى رشيد التركي وقال قتلني الله إن لم أقتله أو أقتل دونه ثم حمل عليه بالرماح فقتله ورجع إلى موقفه. انظر: الكامل لابن الأثير: ٥/٣٧٩.

(٣) مقتل أبي مخنف: ٥٦ ـ ٥٧.

بني أسد ـ وكان يتشيّع ويقال أنّها للفرزدق ـ شعراً[١]:

إن كُنْتِ لا تَدرينَ مالْموتُ فانظري ... إلى هانىء بـالسّوقِ وابـن عَـقيلِ
إلى بطلٍ قد هَشَّمَ السّـيفُ وَجْـهَهُ ... وآخـرَ يَـهوي مـن طِمارٍ جَـديلِ
أصـابَهُما فَـرَخُ البـغي فأَصْبَحا ... أحاديثَ مـن يسـري بكـلِّ سَـبيلِ
ترى جسداً قَدْ غَيّرَ المـوتُ لونَـهُ ... وَنَـضحَ دمٍ قَـدْ سـالَ أيُّ مَسِـيلِ
فـتىً كـان أحـيا مـن فَـتاةٍ حَـيِيّةٍ ... وَأقـطعَ مِـنْ ذي شَـفرَتينِ صَـقيلِ
أيـركبُ أسـماءُ[٢] الهـماليجِ آمِـناً ... وقـد طَـلَبَتْهُ مِـذحجُ بِـذُحُولِ
تُـطِيفُ حَـواليـهِ مُـرادٌ وكُـلُّهُم ... عـلى رَقـبةٍ مِـنْ سائلٍ ومُـسـولِ
فَـإنْ أنـتمُ لَـمْ تـثأروا بِأخـيكمُ ... فَكـونوا بَـغَايا أُرضِـيَتْ بِـقليلِ[٣]

وكان قتل مسلم وهاني يوم التروية، قال: وأمر ابن زياد (لعنه الله) بـجثّة مسلم وهاني فصلبتا بالكناسة، وبعث برأسيهما إلى يزيد مع الزبـير بـن الأروح التميمي وهاني بن أبي حية الوداعي[٤].

أقول: وكان رأس مسلم أول رأس حمل من بني هاشم، وأول جثّة منهم صلبت ومـن بـعده راس الحسـين عليه السلام ورؤوس إخـوته وأولاده وبـني عـمومته وأصـحابه، فـلئن حـمل رأس مسـلم مـن الكـوفة إلى الشـام فـقد حـمل رأس الحسين عليه السلام على قناة من كربلاء إلى الكوفة ومن الكوفة إلى الشام، بمرءى من

(١) نسبها في رياض المصائب: ٢٦٨، إلى الفرزدق، انظر في ذلك أيضاً: الكامل في التاريخ (لابن الأثير): ١٥/٤، الملهوف في قتلى الطفوف: ١٢٣، والأخبار الطـوال للـدينوري: ٢٤٢، والإرشاد للشيخ المفيد: ٦٤/٢، ومثير الأحزان لابن نما: ٣٧.

(٢) هو أسماء بن خارجة الفزاري أحد الثلاثة الذين ذهبوا بهانىء بن عروة إلى ابن زياد.

(٣) مقتل أبي مخنف: ٥٧ ـ ٥٨.

(٤) مقتل أبي مخنف: ٥٩.

عيون أخواته وبناته، وهو يتلو القرآن تارة ويدعو على حامله أُخرى، وربما وعظ القوم. قال زيد بن أرقم: كنت في روشن لي فمرّوا عليَّ برأس الحسين بن علي عليه السلام وهو على رأس رمح طويل فسمعته يتلو: ﴿أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أصحابَ الكَهْفِ والرَّقيمِ كانوا مِنْ آياتِنا عَجَباً﴾[1] قال زيد: فضربت رأسي بالروشن وقلت: يابن رسول الله رأسك أعجب وأعجب[2].

يتلو الكتاب على السنان وإنّما	رفعوا به فوق السنان كتابا
ألم تعه يتلو الكتاب ونوره	يشق ظلام الليل والليل مسدف
يا رأس مفترس الضياغم في الوغى	كيف انثنيت فريسة الأوغاد[3]

---

(١) سورة الكهف ١٨: ٩.

(٢) الإرشاد للمفيد: ١١٧/٢.

(٣) وزينب عليها السلام كأنّي بلسان حالها:

(دكسن)

ما تدري يخويه اشلون حالي	على راس الرمح راسك اگبالي
كلمن شاف ذل حالي بچالي	عدوانك عليَّ غدو يبچون

(ابوذيّه)

راسك على الرمح يمشي ويتلي	الكتاب او نار محنتكم ويتلي
ابگلبي وجارت الدنيا ويتلي	المصايب من وصلت الغاضريه
زجر يحسين من بعدك محنا	ابسفر واعداك ما بيهم محنا
على راس الرمح شيبك محنا	ابدماه او بس يدير العين ليّه

(تخميس)

لك نورٌ بجبهة الحُسن لالا	بمحيّا كساه ربّي جمالا

ضاء في الدهر حقبةً ثم زالا

يا هلالاً لما استتمّ كمالا	غاله خسفه فأبدىٰ غروبا

المطلب السادس والعشرون

في غدر أهل الكوفة بمسلم عليه السلام وهاني

روى الشيخ المفيد رحمه الله عن عبدالله بن خازم، قال: أنا والله أوّل رسول لابن عقيل أمضي إلى القصر وانظر ما فعل بهاني، فمضيت حتى إذا ضرب وحبس ركبت فرسي وكنت أول أهل الدار دخل على مسلم بن عقيل بالخبر، وإذا نسوة من مراد مجتمعات ينادين: يا عبرتاه! يا ثكلاه! فدخلت على مسلم فأخبرته بخبر هاني فأمرني أن أنادي في أصحابه وقد ملأ بهم الدور حوله، وكانوا أربعة آلاف رجل، فناديت: يا منصور أمت، فتنادى أهل الكوفة واجتمعوا إليه فعقد لعبدالله بن عزيز الكندي راية على ربع كندة، ويروى أنّه عقد لحبيب بن مظاهر راية وبعثه إلى ركن من اركان الكوفة، وعقد راية لمسلم بن عوسجة، وعقد راية إلى المختار بن أبي عبيدة الثقفي، وعقد راية إلى عابس بن شبيب الشاكري[1].

وخرج عليه السلام ومعه ما ينوف على الألفين فجاءوا حتى أحاطوا بالقصر، فخاف ابن زياد واضطرب وضاق عليه أمره فأخذ يفكّر ولا يدري ما يصنع، فاستشار محمّد بن الأشعث وشبث بن ربعي فأشارا عليه أن يخرج لهم من القصر ثلاثين رجلاً شاكّين بالسلاح ويتفرّقون مع أصحاب مسلم بن عقيل ويتكلّم بعضهم مع

---

(١) الإرشاد للمفيد: ٢/٥١ ـ ٥٢، ومقتل الحسين عليه السلام لأبي مخنف: ٤١ ـ ٤٢.

بعض على أنّ الأمير قد بعث جيشاً جرّاراً إلى الكوفة لقتال مسلم بن عقيل بحيث يسمع أصحاب مسلم فإذا سمعوا ذلك فإنّهم يتفرّقون عن مسلم ويتخاذلون فيما بينهم. قال: وقام إليه أنس بن مالك، وقال: يا أمير الآن معك في قصرك ما ينوف على ثلاثمائة رجل فاخرج إليهم وقاتلهم؛ فالتفت إليه ابن زياد وقال له: اعرض عن هذا الكلام، والتفت إلى شبث بن ربعي وقال له: القول ما قلت أنت، فدعى ابن زياد ثلاثين رجلاً من أصحابه وقال لهم: انزلوا جميعاً والحقوا بأصحاب مسلم بن عقيل؛ فنزلوا واختلطوا مع أصحاب مسلم، وجعلوا يسبّون ابن زياد ويزيد، وجعل يكلّم بعضهم بعضاً بأنّ الأمير يزيد بن معاوية قد بعث جيشاً جرّاراً لقتال مسلم بن عقيل، وصاح شبث بن ربعي من أعلى القصر: أيها الناس... إلحقوا بأهاليكم ولا تعجّلوا الشر ولا تعرضوا أنفسكم للقتل، فإنّ جنود أميرالمؤمنين يزيد قد أقبلت من الشام، فإن صمّمتم على حربنا ولم تنصرفوا من عشيَّتكم هذه فيحرم ذريّتكم العطاء ويفرّق مقاتلتكم؛ وتكلّمت الأشراف بنحو من ذلك فلمّا سمعوا أصحاب مسلم جعلوا يتشتّتون ويتفرّقون عنه.

قال أبو مخنف: حدّثني مجالد بن سعيد، قال: إنّ المرأة كانت تأتي ولدها وأخاها فتقول له: انصرف فالناس يكفونك؛ ويأتي الرجل إلى ابنه وأخيه ويقول له: انصرف غداً يأتيك أهل الشام فما تصنع بالحرب والشر!! حتى يذهب به، فما زالوا يتخاذلون ويتفرّقون حتى أمسى مسلم ولم يبقى معه إلّا ثلاثون رجلاً، فدخل المسجد وصلّى المغرب والعشاء وهم معه، ثم خرج من باب كندة فنظر وإذا عشرة، ثم صار في بعض الأزقة فنظر إلى ورائه فلم يجد أحداً منهم من يدلّه على الطريق، فمضى على وجهه يتلدد في أزقة الكوفة ولا يدري إلى أين يذهب؟! حتى خرج إلى دور بني جبلة من كندة فمشى حتى انتهى إلى باب دار وعليها امرأة يقال لها «طوعة» أم ولد، وكانت تحت الأشعث بن قيس، ثم تزوجها أسيد

الحضرمي فولدت له بلالاً، ومات أسيد عنها، فاستسقاها ماء فسقته، ثم وقف، فقالت له: ألم تشرب الماء؟! قال: بلى، فقالت له: إذاً فما وقوفك على باب داري؟! فقال لها: ألا تجيريني ولعلّي مكافئك به بعد اليوم، فقالت له: من أنت؟ قال: أنا مسلم بن عقيل غدر بي أهل مصركم هذا، فقالت له أنت مسلم رسول الحسين عليه السلام؟! قال: نعم، فقالت له: ادخل على الرحب والسعة. فدخل دارها وجعلته في بيت لها، ولمّا أن جاء إبنها بلال إلى الدار رأى أُمّه تكثر الدخول والخروج إلى تلك الحجرة، فسألها فلم تجبه حتى ألحّ عليها، استحلفته أن لا يخبر أحداً بأمره، فعاهدها وأقسم لها أن لا يخبر أحداً، فقالت: هذا مسلم بن عقيل.

ويروى: أنّه لمّا كان وقت الفجر جاءت طوعة إلى مسلم بالماء ليتوضّأ، فقالت له: يا مولاي ما رأيتك رقدت هذه الليلة!! فقال: اعلمي إنّي رقدت رقدة فرأيت في منامي عمّي أميرالمؤمنين وهو يقول: الوحا الوحا العجل العجل العجل، ولا أظنّ إلّا وهذا اليوم هو آخر أيّامي من الدنيا.

وأمّا ابنها بلال فإنّه بات ليلته ينتظر الصباح، حتى إذا أصبح خرج من الدار وأقبل إلى قصر الإمارة، فراى ابن زياد جالساً وعنده الأشراف من أهل الكوفة وهو في حديث مسلم، فجاء وجلس إلى جنب محمد بن الأشعث وأخبره بخبر مسلم فقال ابن زياد: ما أسرّك هذا الغلام؟ فأخبره بمقالته وأنّ أُمّه أجارت مسلم بن عقيل في بيتها، فقال ابن زياد: طوّقوه بطوق من ذهب، فطوّقوه من حينه بطوق من ذهب والتفت ابن زياد إلى محمّد بن الأشعث وقال له: قم فأتني به الساعة؛ فخرج محمّد بن الأشعث في سبعين رجل حتى إذا وصلوا الدار خرج إليهم مسلم وهو يقول:

هُوَ الموتُ فاصْنع وَيكَ ما أنتَ صانعُ ... فأنتَ لِكأسِ الموتِ لاشكَّ جارع

فصبراً لأمر الله جلّ جلاله ... فحكم قضاء الله في الخلق ذايع

قال الراوي: وجعل يضرب بسيفه فصاح به محمّد بن الأشعث يا مسلم لك الأمان لا تقتل نفسك فجعل يقول:

أقْسـمتُ لا أُقـتلُ إلّا حُـرّا وإن رأيتُ الموتَ شيئاً نُكَرا

كُلُّ امرءٍ يـوماً مُـلاقٍ شَـرّا أخـاف أنْ أُكـذبَ أو أُغَـرّا

رُدّ شعاع الشّـمس فـاستقرّا وتَخْلِطُ البـاردَ سُـخْناً مُـرّا

فقال له محمّد بن الأشعث: يا مسلم لا تكذب ولا تغر أنت آمن، فقال له مسلم: لا أمان لكم يأ أهل الكوفة !! فجعل يقاتلهم حتى قتل منهم جماعة، فأرسل محمّد بن الأشعث إلى ابن زياد أن مدّني بالخيل والرجال، فبعث إليه جند كثير فجعل مسلم يقاتلهم حتى قتل منهم مقتلة عظيمة، فأرسل محمّد بن الأشعث أن مدّني بالخيل والرجال، فبعث إليه ابن زياد: إنّما بعثتك إلى رجل واحد من بني هاشم فكيف لو بعثتك إلى من هو أشجع منه ؟! يعني الحسين عليه السلام فأرسل إليه [ابن الأشعث]: [أيّها الأمير أتظنّ أنّك] بعثتني إلى بقّال من بـقاقيل الكـوفة أم إلى جرمقان[1] من جرامقة الحيرة ؟! هذا مسلم بن عقيل عمّه علي بن أبي طالب عليه السلام، فمدّه ثلاثاً بالخيل والرجال ومسلم يقاتلهم حتى أثخن بالجراح، وكثرت عليه الحجارة والخشب والرماد من فوق الدور، وجعلوا يضرمون النار بأطناب[2] القصب ويرمونها عليه، فلمّا شاهدوا منه هذه البسالة وهذه الشجاعة وقد دمّر فيهم عزموا أن يأخذوه غيلة، فحفروا له حفيرة وأسقفوها بجريد النخل والليف ووضعوا عليها التراب، ثم لمّا حمل عليهم انكسروا بين يديه، فأقبل يعدو خلفهم حتى سقط في الحفيرة، فلمّا سقط فيها أغمي عليه فجاء إليه بكر بن حمران

(١) الجرمقان: هو رقاع الأحذية.

(٢) اطناب: جمع طنب والطنب الحزمة من الحطب.

الأحمري وبيده سيفه فضربه على شفته العليا فقطعها، ومضى السيف إلى السفلى، ثم ازدحموا عليه فقبضوه وقد ضعف حاله وأوثقوه كتافاً وأراد أن يمشي معهم فما استطاع المشي، فجاؤوا إليه ببغلة وأركبوه عليها واجتذبوا سيفه من يده، فجرت دموعه على خدّيه فكأنّه أيس من نفسه.

فقال عمرو السلمي: أنّ من يطلب مثل الذي تطلب إذا نزل به مثل هذا لا يبكي فقال: والله ما لنفسي بكيت ولا لها من القتل أرثى، وإن كنت لا أحب لها التلف طرفة عين ولكنّي أبكي لأهلي المقبلين، أبكي لحسين وآل الحسين.

بكتك دماً يابن عمّ الحسين　　محاجر شيعتك السافحه

ولا برحت هاطلات العيون　　تحييك غادية رائحه[1]

---

(١) (نصاري)

يمسلم وين ذاك اليوم عمّك　　يجيك ايعاينك غارگ ابدمّك

يمسلم محّد من النّاس يمّك　　وحيد ابهالبلد مالك تچيّه

يمسلم وين ذاك اليوم عباس　　يجيك ابشيمته ومفرّع الراس

يشوفك يوم صابك نغل الأرجاس　　وهويت من الگصر لرضّ الوطيّه

(ابوذيّه)

عاده اليستجيره ايكون ينجار　　وعن چتله حليف الشرف ينجار

مثل مسلم صدق بالحبل ينجار　　وتتفرّس ابچتله علوج اميّه

* * *

ما شدَّ لحييه من عمرو العلى أحدٌ　　كلّا ولا ندبته الأهل من أمم

نائي العشيرة منبوذٌ بمصرعه　　مترّب الجسم من قرنٍ إلى قدم

المطلب السابع والعشرون

في شهادة مسلم بن عقيل عليه السلام

لمّا جيء بمسلم بن عقيل إلى قصر الإمارة مكتوفاً التفت إلى محمّد بن الأشعث وقال له: أتستطيع أن تبعث رجلاً عن لساني يبلغ حسيناً، فإنّي لا أراه إلّا وقد خرج إليكم اليوم، أو هو خارج غداً وأهل بيته معه وإنّ ما ترى من جزعي لذلك، فيقول الرسول «إنّ مسلماً بعثني إليك وهو في قبضة القوم أسير لا يرى أن يمسي حتى يقتل وهو يقول ارجع بأهل بيتك ولا يغرّك أهل الكوفة فإنّهم أصحاب أبيك الذي كان يتمنّى فراقهم بالموت أو القتل، فإنّ أهل الكوفة قد كذبوك وكذبوني وليس لمكذوب رأي». فقال محمّد بن الأشعث: أفعل. إلّا أنّه ما فعل.

قال الراوي: وأقبلوا بمسلم بن عقيل إلى باب القصر وقد كضّه العطش لأنّه لم يشرب الماء يومين، فرأى قلّة فيها ماء قال: اسقوني ماء، فقال له مسلم بن عمرو الباهلي: والله لن تذوق الماء حتى ترد الحميم من نار جهنم، فالتفت إليه مسلم وقال له: من أنت يا هذا؟! قال: أنا مسلم بن عمرو الباهلي الذي أطاع لأميره إذ عصيته، فقال: أنت يابن باهلة أولىٰ بالحميم من نار جهنم، أنا أرد على رسول الله وعلى علي وعلى فاطمة وعلى الحسن فيسقوني من ماء الكوثر.

ثم أُدخل على ابن زياد ولم يسلّم بالإمرة على ابن زياد، فقال له الحرس: لم

لا تسلّم على الأمير، فقال ابن زياد: دعه إن سلّم أو لم يسلّم فإنّه مقتول لا محالة، ثم التفت إليه وقال له: يا عاق يا شاق أتيت الناس وهم جمع فَشتَّتّ كلمتهم وفرّقت جماعتهم، فقال مسلم: كلّا ما لهذا أتيت ولكن أهل هذا المصر زعموا أنّ أباك قتل خيارهم وسفك دماءهم، فأتيناهم لنأمر بالعدل وننهى عن الفحشاء والمنكر؛ فقال له ابن زياد: وما أنت وذاك يا فاسق كنت تشرب الخمر في المدينة. فقال مسلم: الفاسق من ولغ في دماء المسلمين ولغا؛ ثم قال له: لأقتلنّك شرّ قتلة، فقال: إن قتلتني فلقد قتل شرّ منك خير منّي.

قال الراوي: ثم أقبل عليه يشتمه ويشتم علياً وعقيلاً، ومسلم ساكت لا يتكلّم ثم قال: يابن زياد إن كنت قد عزمت على قتلي دعني أوصي بعض قومي؛ قال: افعل، فنظر مسلم إلى جلسائه فإذا فيهم عمر بن سعد بن أبي وقاص، فقال: يا عمر إنّ بيني وبينك لقرابة[1] ولي إليك حاجة وهي وصية؛ فأبى ابن سعد، فقال له عبيدالله: قم وانظر في حاجة ابن عمّك، فقام معه وجلس بحيث ينظر إليه ابن زياد، فقال: أوصي، قال: وصيّتي «فأنا أشهد أن لا إله إلّا الله وأنّ محمّداً رسول الله وأنّ عليّاً وليّ الله ووصيّه وخليفته في أُمّته، يابن سعد وإنّ عليَّ دين بالكوفة استدنته منذ دخلت الكوفة، وهي سبعمائة درهم بع لامتي واقضها عنّي، استوهب جثّتي من ابن زياد فوارها، ثمّ ابعث إلى الحسين من يردّه، فإنّي كتبت إليه أعلمه أنّ الناس معه ولا أراه إلّا مقبلاً».

فقال عمر بن سعد لابن زياد: يا أمير أتدري ما قال لي؟! قال كذا وكذا فقال ابن زياد: ما خانك الأمين ولكن ائتمنت الخائن، ثم قال: أمّا درعه فبعها واقض بها

---

(١) كان سعد بن أبي وقاص بن وهيب والد آمنة وإنّ أُم عمر بن سعد وأُم علي بن الحسين عليه السلام الأكبر أُمّهاتهنّ أخوات فمن هنا ادّعاه مسلم بالقربة.

دينه، وأمّا جثّته إذا قتلناه لا نعبأ بجثّته، وأمّا الحسين فإنّه إن لم يردنا لم نرده، ثمّ صاح من الذي ضربه على وجهه؟ فقيل له: هو بكر بن حمران الأحمري قال: هو يتولّى قتله، فأمر بإحضاره فاحضر فقال له: اصعد به إلى أعلى القصر واضرب عنقه وارمه من أعلى القصر إلى الأرض واتبع رأسه جسده؛ فصعد به بكر بن حمران ومسلم يسبّح الله ويقدّسه ويكبّره ويستغفره وهو يقول: احكم بيننا وبين قوم غرّونا وكذّبونا وذلّونا.

قال مسلم: يا بكر دعني أُصلّي لربّي ركعتين، فقال: صلّ، فصلّى مسلم حتى إذا فرغ من الصلاة وجّه وجهه نحو مكة وقال: «السلام عليك يا أبا عبدالله، السلام عليك يابن رسول الله» فصيح به: يا بكر عجّل عليه، فشهر بكر سيفه وضرب عنق مسلم ورمى برأسه من أعلى القصر إلى الأرض وأتبع جسده، وأراد أهل الكوفة في ذلك اليوم إرضاء ابن مرجانة بفعلهم فجاؤا لمسلم ولهاني ووضعوا الحبال برجليهما وجعلوا يسحبونهما بالأسواق[1].

بكتك دماً يابن عمّ الحسين ... محاجر شيعتك السافحه

ولا برحت هاطلات العيون ... تحييك غادية رائحه

لأنّك لم تروَ من شربة ... ثناياك فيها غدت طائحه

رموك من القصر إذ أوثقوك ... فهل سلمت فيك من جارحه

---

(١) ولمّا قتل ابن زياد مسلماً وهانياً صلب جثّتيهما ثلاثة أيّام وبعث برأسيهما إلى يزيد بن معاوية مع هاني بن أبي حية الوادعي والزبير بن الأروح التميمي، وكان قتلهما في اليوم الثامن من ذي الحجة يوم التروية وفي ذلك اليوم كان خروج الحسين من مكة المشرفة.
ويروى أنّه لمّا قتلا مسلم وهاني أمر ابن زياد باخراج جماعة من الحبس وقتلهم فقتلوا ويروى أنّه كان قبض مسلم على غير هذا وأنّهم أعطوه الأمان؛ راجع أبصار العين للسماوي: ٤٨.

وسحباً تجرّ بأسواقهم ألست أميرهم البارحه
أتقضي ولم تبكك الباكيات أما لك في المصر من نائحه
لئن تقض نحباً فكم زرود عليك العشية من صائحه[1]

(١) الأبيات للمرحوم السيد باقر الهندي رحمه الله انتهى. ابصار العين للسماوي: ٤٨.
وذلك لمّا وصل خبر استشهاد مسلم عليه السلام للحسين عليه السلام وكان في زرود، كأنّي به استرجع قائلاً إنّا لله وإنّا إليه راجعون، ثم انّه عليه السلام عمد إلى خيمة النساء ونادى الحوراء زينب عليها السلام قائلاً لها ائتيني بحميدة، فلمّا أقبلت إليه وضعها في حجره وأخذ يمسح على رأسها:
(نصاري)

أخذ بت مسلم من الخيم بيده يمسح راسها ابحسره شديده
وبالشر حسّت الطفله حميده گالتله يعمّي وسالت العين
يعمّي لاحت ابوجهك علامه على رَاسي امسحت گلّي علامه
السجيه هاي بس ويّه اليتامه أظن عودي گضه ويتّمني البين

(دكسن)

غده يمسح دمعها ومحنّي ضلعه ابوچ آنه يگلها ويهل دمعه
يعمّي النوح دلّالي يصدعه وبطلي البچه وهودي لا تونّين

(تخميس)

مسح الحسين برأسها فاستشعرت باليتم وهي علامة تكفيها
لم يبكها عدم الوثوق بعمّها كلّا ولا الوجد المبرّح فيها
لكنّها تبكي مخافة أنّها تمسي يتيمة عمّها وأبيها

المطلب الثامن والعشرون

في استعلام الحسين عليه السلام بقتل مسلم عليه السلام

روى الصدوق في أماليه، باسناده عن ابن جبير، عن ابن عباس، قال: قال علي عليه السلام يوماً لرسول الله صلى الله عليه وآله: يا رسول الله إنّك لتحبّ عقيلاً؟ فقال صلى الله عليه وآله: «اي والله إنّي لأحبّه حبّاً لأبي طالب عليه السلام، إنّ ولده مقتول في محبّة ولدك، فتدمع عليه عيون المؤمنين وتصلّي عليه الملائكة المقرّبون». ثم بكى حتى جرت دموعه على خدّيه، ثم قال: إلى الله أشكو ما تلقى عترتي من بعدي[1].

ولعظم قدره بكاه رسول الله صلى الله عليه وآله، كيف لا يكون كذلك وهو رائد الحسين وسفيره عليهما السلام والذي يدلّنا على جلالة قدره وعظيم شأنه كتاب الحسين عليه السلام الذي كتبه إلى الكوفة: «أمّا بعد... فقد بعثت إليكم أخي وابن عمّي وثقتي من أهل بيتي، مسلم بن عقيل رأيه رأيي، وأمره أمري، فأطيعوا له...». ورحم الله الأعرجي حيث أنشد:

أيا ابن عقيل ومن قد سمى ... فخاراً إلى الكوكب الثاقب
لسرّ سليل النبي اصطفاك ... له دون آل أبـي طـالب
هنيئاً فرفعة قـدر المـنوب ... تدلّ عـلى رفـعة النـائب

---

(١) أمالي الصدوق.

ولعظم قدره ومنزلته عند الحسين عليه السلام وحبّه له فقد بكاه في مواطن عديدة وذلك لمّا استعلم بقتله، فالموطن الأول هو:

ما قد رواه أبو مخنف عن عبدالله بن سليمان والمنذر بن المشعل الأسديان، قالا: لمّا قضينا حجّنا لم تكن لنا همّة إلّا اللحاق بالحسين في الطريق للنظر ما يكون من أمره وشأنه، فأقبلنا ترقل بنا ناقتنا مسرعين حتى لحقناه بزرود، فلمّا دنونا منه وإذا نحن برجل من أهل الكوفة قد عدل عن الطريق حين رأى الحسين، قالا: فوقف الحسين وكأنّه يريده ثمّ تركه ومضى. فقال أحدنا لصاحبه امض بنا إليه لنسأله عن خبر الكوفة، قال: فانتهينا إليه وسلّمنا عليه، وانتسبنا له وانتسب لنا، فإذا هو بكير بن المثعبة الأسدي، فاستخبرناه عن الكوفة فقال: ما خرجت من الكوفة حتى رأيت مسلماً وهانياً قتيلين يجرّان من أرجلهما في الأسواق، قالا: ثم ودّعنا وسار فلحقنا بالحسين فسلّمنا عليه وسايرناه حتى نزل الثعلبية ممسياً، فدخلنا عليه وقلنا له: يا ابن رسول الله، إنّا عندنا خبراً إن شئت أخبرناك به سرّاً وإن شئت علانية؟ قال: فنظر إلى أصحابه وقال: ما دون هؤلاء سرّ، فقلنا: رأيت الراكب الذي استقبلك عشيّة أمس؟ قال: نعم وقد أردت مسألته، فقلنا وقد استبرئنا لك خبره وكفيناك مسئلته، وهو امرء منّا ذو رأي وصدق وفضل وعقل وقد حدّثنا يابن رسول الله قال: لم أخرج من الكوفة حتى قتل مسلم بن عقيل وهاني، فاسترجع وقال: رحمة الله عليهما وكرّرها مراراً، فقلنا: ننشدك الله في نفسك وأهل بيتك إلّا انصرفت فإنّه ليس لك بالكوفة ناصر بل نتخوّف أن يكونوا عليك؛ فالتفت إلى بني عقيل وقال: ما ترون يا بني عقيل: فقالوا: والله لا نرجع حتى نصيب ثارنا أو نذوق ما ذاق مسلم، ثم التفت إلينا وقال: قبّح الله العيش بعد هؤلاء. فعلمنا أنّه عزم على المسير فقلنا له: خار الله لك، قال: يرحمكم الله.

والموطن الثاني: وذلك لمّا ورد الحسين عليه السلام زبالة أخرج كتاباً لأصحابه فقرأه عليهم، وفيه: «أمّا بعد... فقد أتانا خبر فضيع بأنّه قتل مسلم بن عقيل وهاني ابن عروة وعبدالله بن يقطر، وقد خذلتنا شيعتنا فمن أحبّ منكم الإنصراف فلينصرف ليس عليه منّا ذمام». قال: فتفرّق الناس عنه يميناً وشمالاً إلّا صفوته.

وروي في خبر آخر: أنّه لقيه رجل من شيعة أبيه في زبالة فسلّم عليه، فردّ السلام عليه (عليه السلام) فقال له: يابن رسول الله كيف تركن لأهل الكوفة وهم الذين قتلوا ابن عمّك مسلم بن عقيل؟! قال: فاستعبر الحسين عليه السلام باكياً، وقال: رحم الله مسلماً فلقد صار إلى روح الله وريحانه وتحيّته ورضوانه، ألا إنّه قد قضى ما عليه وبقي ما علينا، ثم أنشأ يقول:

فإن تكن الدّنيا تعدّ نفيسة ... فإنّ ثواب الله أعلى وأنبل
وإن تكن الأبدان للموت أنشأت ... فقتل امرء بالسيف في الله أفضل
وإن تكن الأرزاق قسماً مقدّراً ... فقلّة حرص المرء في الرّزق أجمل
وإن تكن الأموال للتركِ جمعها ... فما بال متروك به المرء يبخل

ثم قال: «اللّهمّ اجعل لنا ولشيعتنا منزلاً كريماً، واجمع بيننا وبينهم في مستقر رحمتك، إنك على كلّ شيء قدير».

والموطن الثالث: يروى أيضاً عن زهير بن القين البجلي قال: بينا نحن جلوس في زرود إذ طلع علينا رجل من جهة الكوفة، وبيده لواء أسود فركّز اللواء بباب خيمتي، ثم دخل وقال: السلام عليك يا أبا عبدالله الحسين، فقلت له: من تريد؟ قال: الحسين بن علي بن أبي طالب. فقال له الناس: وما تريد منه؟ قال: أريد أن أعلمه بقتل ابن عمّه مسلم بن عقيل، قال: فأشاروا له على خيمة الحسين. قال: فقام الرجل وأقبل إلى الخيام فرأى حول الخيام أطفالاً يلعبون، فقال للأطفال: من يدلّني على خيمة الحسين؟ فقامت إليه بنت صغيرة وقالت: يا هذا

وما تريد منه؟ قال: أريد أن أعلمه بقتل ابن عمّه مسلم بن عقيل، فصاحت البنت: وا أبتاه وا مسلماه... ثم وقعت مغماً عليها، أقبل إليها الحسين وأقبلت بنو هاشم وقالوا للرجل: ما صنعت بها؟ قال: والله ما قلت لها شيء إلّا أنّي قلت لها أرشديني على خيمة الحسين، فقالت: وما تريد منه؟ فقلت لها: أريد أن أعلمه بقتل ابن عمّه مسلم بن عقيل، فقالوا: يا هذا إنّها ابنة مسلم.

قال الراوي: وأخذها الحسين إلى الخيمة فأجلسها في حجره فجعل يمسح على رأسها وناصيتها فقالت له: عم استشهد والدي مسلم؟ فقال لها: بنية أنا أبوك وبناتي إخوتك:

مسح الحسين برأسها فاستشعرت ... باليتم وهي علامة تكفيها

لم يبكها عدم الوثوق بعمّها ... كلّا ولا الوجد المبرّح فيها

لكنّها تبكي مخافة أنّها ... تمسي يتيمة عمّها وأبيها

أقول: ولا تسمىّ هذه الطفلة يتيمة وإن كان اليتم للأب لكن بوجود عمّها الحسين لا تعد يتيمة، لأنّ الحسين عليه السلام ما نزل إلّا ودعاها وأجلسها في حجره يلاطفها ويسلّيها، فهي عزيزة مكرّمة بوجود عمّها الحسين عليه السلام، وعمومتها من بني عقيل وبني هاشم وإخوتها، بل اليتيمة سكينة لأنّها بعد قتل أبيها الحسين عليه السلام لم تجد أحداً يسلّيها بل كان يقرعها شمر برمحه ويضربها زجر بسوطه وهي القائلة: «كلّما دمعت من أحدنا عين أوبكت منّا طفلة قرعوا رأسها بالرمح».

يقنّعها بالسوط شمر وإن شكت ... يؤنّبها زجر ويوسعها زجرا

تسوّد من ضرب السّياط متونها ... ووجوهها بلظى الهواجر تصطلي

فإن يبكي اليتيم أباه شجواً ... مسحن سياطهم رأس اليتيم[1]

---

(١) نعم سكينة بنت الحسين عليه السلام كانت تضرب بكعب الرمح إذا دمعت لها عين.

المطلب التاسع والعشرون

في مقتل أولاد مسلم بن عقيل

ذكر الصدوق ﷺ في الأمالي:

«إنّه لمّا قتل الحسين عليه السلام وهجم القوم على رحله، فرّت العيالات والأطفال كالطيور الهاربة من النار، فمن جملة من هرب من الأطفال طفلي مسلم بن عقيل، ولمّا أُلقي القبض عليهما جيء بهما إلى الكوفة وأُدخلا على ابن زياد فأمر بهما أن يزجا في السجن، حتى إذا مرّت عليهما سنة كاملة وهما في السجن، وقد ضاقت صدورهما، فقال الصغير ذات يوم لأخيه الكبير: أخي.. يوشك أن تفنى أعمارنا

⊃

(نصاري)

يسلّنها السياط ولوّعنها — ومن ضرب السياط اسود متنها
يتيمه اتيتّمت من زغر سنها — يسيره او يالعده او ركبت هزلها

(ابوذيّه)

سرى حادي الظعن بالحرم وحده — ولالي بس على السجاد وحده
يسارى وبس تهل الدمع وحده — يضربوها وتون ونّه خفيّه

(تخميس)

كم دعاكَ اليتيم في قفر وادِ — لم تُجبهُ وكنتَ غوثَ المنادي
يا أخي ندبُهُ أذاب فؤادي
ما أذلَّ اليتيم حين ينادي — بأبيه ولا يراه مُجيبا

في هذا السجن، فلم لا نخبر السجّان بخبرنا ونعرفه أنفسنا لقربنا من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم؟ ولمّا أن جاء إليهما السجّان بقوتهما قام إليه الصغير وقال له: يا هذا أتعرف محمّد المصطفى نبيّ هذه الأمّة؟ قال: وكيف لا أعرف النبي!! فقال له: أو تعرف ابن عمّه علي بن أبي طالب عليه السلام؟ قال: وكيف لا أعرفه وهو إمامي!! فقال له: يا شيخ أو تعرف مسلم بن عقيل؟ قال: نعم، فقال له: يا هذا نحن أولاده فمالك ومالنا لا ترحمنا لصغر سنّنا؟! فلمّا سمع السجّان بكى وانكبّ عليهما يقبّلهما، وهو يقول: نفسي لكما الفداء، والله ما كان لي علم بأنّكما ابني مسلم وإنّ أميرالمؤمنين عمّكما، سيّدي هذا باب السجن مفتوح فخذا أيّ طريق شئتما وسيرا في الليل واكمنا في النهار.

قال الراوي: فأطلقهما من السجن وخرجا وهما لا يدريان إلى أين يتوجّها، فجعلا يسيران في شوارع الكوفة حتى إذا كان وقت طلوع الفجر ودخلا في بستان هناك فكمنا، فمرّت عليهما جارية فسئلتهما عن حالهما، فأقسما عليها أن لا تخبر أحداً بخبرهما، وعلما منها أنّها موالية لعمّهما، فقصّا لها خبرهما فقالت لهما: سيّدي إمضيا معي فإنّ مولاتي مواليه لعمّكما ومحبّة لكما. فجاءا معها حتى إذا وصلا سبقتهما الجارية على مولاتها وأخبرتها فلمّا سمعت قامت لاستقبالهما وقالت لهما: ادخلا البيت على الرحب والسعة ورفّهت عليهما.

هذا وقد استخبر ابن زياد بخروجهما من السجن فأمر مناديه أن ينادي: من جائني بولدي مسلم له عند الأمير الجائزة العظمى. فصار أجلاف أهل الكوفة يفتّشون عليهما ويطلبونهما، ومن جملتهم زوج تلك المرأة التي جارتهما، قال: فلمّا جنّ الليل أقبل زوجها وقد أتعب نفسه في طلبهما رجاء الجائزة، فقالت له زوجته: أين كنت اليوم وأرى عليك آثار التعب؟! فحكى لها بما نادى منادي ابن زياد وقد أتعب نفسه في طلب الطفلين، فلمّا سمعت الحرّة قالت له: مالك وذريّة

عبدالمطلب أما تخشى أن يكون محمّداً غداً خصمك؟ فقال لها: دعيني من هذا؛ فبينما هي تكلّمه ويكلّمها إذ سمع همهمة في داخل الحجرة فقال لها: أي شيء أسمعه هل عندنا أحد؟! فأعرضت وتلجلجت فقام اللعين وأخذ الضياء ودخل الحجرة وإذا بالطفلين قائمين يصلّيان حتى إذا فرغا قال لهما: من أنتما؟ فقالا: أولاد مسلم بن عقيل أجارتنا هذه الحرّة، فقال اللعين: أتعبت نفسي وفرسي في طلبكما وأنتما في داري!!

ثم رفع يده ولطم الكبير على وجهه وجاء لهما بالحبال فأوثقهما كتافاً فقالا له: ما لك تفعل بنا هذا الفعل وامرأتك أضافتنا؟ أما تخاف الله فينا، أما تراعي يتمنا وقربنا من رسول الله؟ فلم يعبأ اللعين بكلامهما ولا رقّ لهما فتركهما في الحجرة يبكيان حتى الصباح.

ثم أخرجهما من داره وتبعته امرأته وولده وعبده، هذا وامرأته تتوسّل به وتمانعه وتذكّره الله، حتى جاء بهما إلى جانب الفرات ليقتلهما فالتفت إلى عبده وقال له: خذ السيف واضرب عنقيهما وأتني برأسيهما، فأخذهما العبد وأراد قتلهما فقالا له: يا هذا ما أشبه سوادك بسواد بلال مؤذن رسول الله.. يا هذا لا تقتلنا فإنّك إن قتلتنا يخاصمك رسول الله يوم القيامة. فقال لهما: من أنتما؟! فقالا: نحن أولاد مسلم بن عقيل.

قال: فانكبّ العبد عليهما يقبّلهما ورمى السيف من يده وألقى بنفسه في الفرات وعبر إلى الجانب الآخر، فصاح به مولاه: عصيتني؟! فقال له: عصيتك لمّا عصيت الله، فقال اللعين: والله لا يتولّى قتلهما أحد غيري. فأخذ السيف وأتى إليهما فلمّا همّ بقتلهما جاء إليه ابنه وقال له: أبه ارحمهما لقربهما من رسول الله ولصغر سنّهما، فلم يعبأ به فلمّا رأيا صنعه تباكيا ووقع كلّ منهما على الآخر يودّعه ويعتنقه، والتفتا إليه وقالا له: يا هذا لا تدعنا نطالبك بدمنا أمام رسول الله يوم

القيامة خذنا حيِّين إلى ابن زياد يصنع بنا ما شاء، فقال: ليس إلى ذلك من سبيل، فقالا: يا هذا بعنا في السوق وانتفع بأثماننا ولا تقتلنا، فقال: لابدّ من قتلكما. فقالا له: أما ترحم يتمنا وصغر سنّنا، وإن كنت عزمت على قتلنا فدعنا نصلّي لربنا ركعتين. قال: صلّيا ما شئتما إن نفعتكما الصلاة، فلمّا فرغا من الصلاة شهر سيفه وقدّم الكبير ليضرب عنقه فقال له الصغير: اقتلني قبل أخي، فقال الكبير: إنّي لا أحبّ أن أرى أخي قتيلاً، فشهر سيفه وضرب الكبير فقتله فوقع عليه الصغير يتمرّغ بدم أخيه وهو ينادي: وا أخاه ثم اجتذبه وضرب الصغير فقتله، وقطع رأسيهما وحملهما في مخلاة له ورمى بأبدانهما في الفرات، وسار برأسيهما إلى ابن زياد، فلمّا مثّل بين يديه ووضع المخلاة فقال له ابن زياد: ما معك؟ فأخرج إليه الرأسين فكشف عن وجهيهما وإذا هما كالقمرين فقال له: لم قتلتهما؟ قال: طمعاً بالجائزة، فقال: وأين ظفرت بهما؟ قال: في داري وإنّ زوجتي أجارتهما، فقال له ابن زياد: ما عرفت لهما حقّ الضيافة وقتلتهما، ولو جئتني بهما أحياء لضاعفت لك الجائزة، ثم قال: ويلك ما قالا لك حين أردت قتلهما؟ قال: قالا لي إرحم يتمنا ولا تقتلنا فيكون خصمك محمّداً يوم القيامة وامضي بنا إلى ابن زياد حيِّين، وإن شئت فبعنا في السوق وانتفع بثمننا. فقلت لهما: لابدّ من قتلكما، فنظر ابن زياد إلى جلسائه وقال: ما أفضّه وأجفاه.

قال الراوي: فأمر ابن زياد بقتله فقتل عليه لعائن الله وأمر بالرأسين أن يدفنا في المكان الذي قتلا به، وليت اللعين فعل مثل هذا الفعل ودفن رأس الحسين ورؤوس أهل بيته مع الجثث، بل سير على أطراف الرماح من كربلاء إلى الكوفة ومن الكوفة إلى الشام وفي مقدمة الرؤوس رأس إمامنا الحسين عليه السلام كأنه البدر ليلة تمامه:

رأس ابن بنت محمّد ووصيّه ... للناظرين على قناة يرفع

والمسلمون بمشهد وبمسمع لا منكر منهم ولا متفجّع

يتلو الكتاب وما سمعت بواعظ تتخذ القنا بدلاً عن الأعواد

أحامل ذاك الرأس قل لي برأس من تمايل هذا السمهري الثقف[1]

---

(١) وزينب عليها السلام كأني بلسان حالها تخاطب رأس الحسين عليه السلام وهو على الرمح:

(نصاري)

لحگتك على ريحة الخوّه أشوفك عفتني ابگاع شلوه

بديرة غرب ما هي امروّه تدري الشمر بيّه اشسوّه

سوطه على امتوني تلوّه

(بحراني)

ناداها من فوگ الرمح الله يرعاچ صبري يختي وسلّمي أمرچ المولاچ

راسي على راس الرمح هالرايح اوياچ ويّاچ يبره العايله ويرعى اليطيحون

يختي استعدّي للهظم والهظم جدّام ولابد يودّوكم يساره الطاغي الشام

ولابد تسمعون المسبّه ابمجلس العام ولابد تشوفون المذلّه الوان وافنون

(تخميس)

خفراتِ الرسولِ في الأسر تُجلى أرملاتٌ في السبي جاوبن ثكلى

من لها والحماة بالطف قتلى

فترفّق بها فما هي إلّا ناظرٌ دامعٌ وقلبٌ مروعُ

المطلب الثلاثون

في شهادة رسول الحسين عليه السلام قيس رحمه الله

قال شيخنا المفيد: لمّا بلغ ابن زياد قدوم الحسين من مكة المشرفة يريد الكوفة بعث الحصين بن نمير صاحب شرطته حتى نزل القادسية(١)، ونظم الخيل والرجال مابين القادسية إلى خفان(٢)، وما بين خفان إلى القطقطانية(٣)، وقال للناس: هذا الحسين يريد العراق.

---

(١) قال أبو عمر وقيل سمّيت القادسية بقادس هراة وقال المدايني كانت القادسية تسمى قدّيساً، وروى أبو عيينة قال: مرّ إبراهيم الخليل بالقادسية فرأى زهرتها ووجد هناك عجوزاً فغسلت رأسه فقال قدّست من أرض فسمّيت القادسية وبهذا الموضع كان يوم القادسية بين سعد بن أبي وقاص والمسلمين والفرس في أيام عمر بن الخطاب في سنة ستة عشر من الهجرة وقاتل المسلمون يومئذ وسعد في القصر ينظر إليهم فنسب إلى الجبن فقال رجل من المسلمين:

ألم تر أنّ الله أنزل نصره   وسعد بباب القادسية معصم
فأبنا وقد أمت نساء كثيرة   ونسوة سعد ليس ليهنّ آيم

(٢) خفان بالخاء المعجمة والفاء المشدودة والألف والنون موضع فوق الكوفة قرب القادسية.

(٣) قال أبو عبدالله السكوني القطقطانية بينها وبين الرهيمة مغربا نيف وعشرون ميلاً إذا خرجت من القادسية تريد الشام ومنه إلى قصر مقاتل وقال ياقوت في المعجم ورواه الأزهري بالفتح موضع قرب الكوفة من جهة البرية بالطف كان به سجن النعمان بن المنذر وقال السكوني وقصر مقاتل قريباً منها وهو منسوب إلى مقاتل بن حسان ولم يذكر قصر بني مقاتل وأمّا عين التمر فهي الآن تعرف بشفاثا.

وروى المفيد ﷺ قال: لمّا بلغ الحسين الحاجر[1] من بطن الرمة[2]، بعث قيس بن مسهر الصيداوي[3]، وقيل: بعث أخاه من الرضاعة عبدالله بن يقطر[4] وكتب معه كتاباً يقول فيه:

«من الحسين بن علي بن أبي طالب إلى إخوانه المؤمنين،

سلام عليكم

أمّا بعد... فإنّ كتاب مسلم بن عقيل قد جائني يخبر فيه بحسن رأيكم، وإجماع ملّتكم على نصرنا، والطلب بحقّنا، فسئلت الله أن يحسن لنا الصنع، وأن يثيبكم على ذلك أعظم الأجر، وقد شخصت إليكم يوم الثلاثاء لثمان مضين من ذي الحجة، فإذا قدم عليكم رسولي فانكمشوا في أمركم وجدّوا، فإنّي قادم عليكم في أيامي هذه والسلام».

ويروى أنّه كتب كتاباً غير هذا إلى أشراف أهل الكوفة ممّن كان يظنّ أنّه على رأيه، فكتب:

بسم الله الرحمن الرحيم

من الحسين بن علي بن أبي طالب...

---

(١) بحاء مهملة وجيم وراء مهملة اسم مكان.

(٢) الرمة بضم الراء المهملة وتشديد الميم وقد تختلف قاع عظيم بنجد.

(٣) أحد بني الصيداء وهي قبيلة من بني أسد وإيّاهم عنى الشاعر:

يا بني الصيداء ردّوا فرسي إنّـما يـفعل هـذا بـالذليل

وقال علماء السير: كان قيس رجلاً شريفاً شجاعاً مخلصاً في محبة أهل البيت عليهم السلام.

(٤) روى عزالدين الجزري في أُسد الغابة والعسقلاني في الإصابة كان عبدالله بن يقطر صحابياً لأنّه لدة الحسين واللدة الذي ولد مع الإنسان في زمان واحد لأنّ يقطر كان خادماً عند رسول الله وكانت زوجته ميمونة في بيت أميرالمؤمنين فولدت عبدالله قبل ولادة الحسين بثلاثة أيام وكانت حاضنة للحسين عليه السلام.

إلى سليمان بن صرد الخزاعي والمسيّب بن نجيبة ورفاعة بن شدّاد وعبدالله بن وائل وجماعة المؤمنين...

«أمّا بعد... فقد علمتم أنّ رسول الله قد قال في حياته: «من رأى سلطاناً جائراً مستحلّاً لمحارم الله، ناكثاً لعهد الله، مخالفاً لسنّة رسول الله، يعمل في عباد الله بالإثم والعدوان، ثمّ لم يغيّر بقول ولا فعل كان حقيقاً على الله أن يدخله مدخله» وقد علمتم أنّ هؤلاء القوم قد لزموا طاعة الشيطان، وتوانوا عن طاعة الرحمن، وأظهروا الفساد، وعطّلوا الحدود، واستأثروا بالغيّ، وأحلّوا حرام الله، وحرّموا حلاله، وإنّي أحقّ بهذا الأمر لقرابتي من رسول الله، وقد أتتني كتبكم وقدمت عليّ رسلكم ببيعتكم، أنّكم لا تسلّموني ولا تخذلوني، فإن وفيتم لي ببيعتكم فقد أصبتم حظّكم ورشدكم، ونفسي مع أنفسكم، وأهلي وولدي مع أهليكم وأولادكم، فلكم بي أُسوة، وإن لم تفعلوا ونقضتم عهودكم وخالفتم ببيعتكم فلعمري ما هي منكم بنكر، لقد فعلتموها بأبي وأخي وابن عمّي، والمغرور من اغترّ بكم، فحظّكم أخطأتم، ونصيبكم ضيّعتم، ومن نكث فعلى نفسه، وسيغنيني الله عنكم».

ثم طوى الكتاب ودفعه لقيس بن مسهر الصيداوي، فسار قيس بكتاب الحسين عليه السلام حتى إذا بلغ القادسية قبض عليه الحصين بن نمير ليفتّشه، فأخرج قيس الكتاب وحرقه، فحمله الحصين إلى ابن زياد بالكوفة، فلمّا مثّل بين يديه قال له: من أنت؟ قال: أنا رجل من شيعة أميرالمؤمنين. قال: لماذا أحرقت الكتاب؟ قال: لئلّا تعلم بما فيه؛ قال: ممّن الكتاب وإلى من؟ قال: من الحسين بن علي بن أبي طالب إلى جماعة لا أعرف أسمائهم.

قال: فغضب ابن زياد وقال: والله لا تفارقني حتى تخبرني بأسماء القوم، أو تصعد المنبر فتسبّ الحسين وأباه وأخاه، وإلّا قطّعتك بالسيف إرباً إرباً.

فقال قيس: أمّا القوم فلا أُخبرك بأسمائهم، وأمّا السب فأفعل ـ وحاشاه ـ قال: إذاً فاصعد المنبر.

[فصعد المنبر]، فحمد الله وأثنى عليه وذكر النبي فصلّى عليه، وأكثر من الترحّم على علي وولده، ثمّ لعن ابن زياد وأباه وأخاه، وعتات بني أُمية عن آخرهم، ثم قال: «أيها الناس.. أنا رسول الحسين إليكم، وقد خلّفته بموضع كذا وكذا، فأجيبوني» فغضب ابن زياد وأمر أن يصعد به إلى أعلى القصر، وأن يوثّقوه كتافاً ويرموه من أعلى القصر إلى الأرض حيّاً فصعدوا به إلى أعلى القصر ورموه إلى الأرض فتكسّرت عظامه، فوقع وبه رمق الحياة فأقبل إليه رجل من أهل الكوفة يسمّى عبدالملك بن عمير اللخمي فذبحه بمدية وعيب عليه بعد ذلك، فقال: أردت أن أريحه.

ولمّا بلغ خبره الحسين عليه السلام فاستعبر باكياً، هذا وقد سمع بقتله ولم يسمع بأنّه يجرّ من رجليه في الأسواق، إذاً ما حاله عليه السلام حين سمع بخبر مسلم بن عقيل وقد رموه من أعلى القصر إلى الأرض ووضعوا الحبال في رجلي مسلم وهاني وسحبوهما في الأسواق:

لو كان في الكوفة غير مسلم ومسلم ما قطّعوه إربا[1]

---

(١)

اويلي اعلى ابو طاهر اويلاه يوم الذي خانت رعاياه
واصبح غريب ابولية اعداه ومن اخوته ما واحد اوياه
او يجر صارمه او يمنع اليدناه شالته الغيره او يومه ساواه
يشبه العمّه حامي احماه من ضعف والطاغي تلقّاه
وبمرهفه وگع ثناياه او جتفو يساره فوگ يمناه
او ظل يلتفت ويدير عيناه او لحسين ذيچ السا تمنّاه

المطلب الواحد والثلاثون

في كتب الحسين عليه السلام إلى البصرة

قال السيد في اللهوف:

كتب الحسين عليه السلام إلى أهل البصرة اثنى عشر كتاباً حين أراد الخروج من مكة المشرفة مع مولى له يقال له: سليمان، ويكنّى: أبا رزين[1]، يدعوهم إلى نصرته واللزوم تحت طاعته، منها: كتاب إلى يزيد بن مسعود النهشلي، ومنها: كتاب المنذر بن الجارود العبدي، ومنها: إلى الأحنف بن قيس، ومنها: إلى مالك بن

➲

يويلي او لابن زياد من جاه	فرحان متشمّت لگاه
او من فوگ عالي القصر ودّاه	وانوخذ ما واحد ترجّاه
آه ولرجس يوم التولّاه	گص راسه والجسمه رماه
او للگاع صار النفل مهواه	او بحبال سحبوه عالي الجاه

* * *

قتلوه ثم رموهُ من أعل البنا	وعلى الثرى سحبوه وهو قتيلُ
ربطوا برجليه الحبال ومثّلوا	فيه فليتَ أصابني التمثيلُ

(١) أقول: سليمان المكنّى بأبي رزين، مولى الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام، أرسله بكتبه إلى رؤساء الأخماس بالبصرة حين كان بمكة، وأُمّه كبشة كانت جارية للحسين اشتراها بألف درهم، وكانت تخدم في بيت ام اسحاق بنت طلحة بن عبدالله التميمية زوجة الحسين، ثم تزوّج الجارية أبو رزين فولدت منه سليمان فهو مولى للحسين عليه السلام.

مسمع البصري، ومنها: إلى قيس بن الهيشم ... وغيرهم من الرؤساء والأشراف[1].

فأمّا الأحنف بن قيس فإنّه كتب إلى الحسين عليه السلام يصبّره ويرجّيه، والباقون كتموا أسرارهم إلّا المنذر بن الجارود العبدي فإنّه خاف أن يكون دسيسة من عبيدالله بن زياد، فإنّه جاء بالكتاب والرسول إلى ابن زياد وكانت بنت المنذر بحرية زوجة عبيدالله بن زياد. فأخذ عبيدالله بن زياد الرسول فصلبه ثم صعد المنبر فخطب وتوعّد أهل البصرة على الخلاف وإثارة الأرجاف.

وأمّا يزيد بن مسعود النهشلي فإنّه جمع بني تميم وبني حنظلة وبني سعد، فلمّا حضروا عنده قام فيهم خطيباً وقال: يا بني تميم كيف ترون موضعي منكم وحسبي فيكم؟ فقالوا: بخ بخ أنت والله فقرة الظهر ورأس الفخر، حللت في الشرف وسطاً وتقدمت فرطاً. فقال: إني جمعتكم لأمر أريد أن أُشاوركم فيه وأستعين بكم عليه. فقالوا: أما والله نمنحك النصيحة ونحمد لك الرأي، فقل نسمع ونطع. فقال: إنّ معاوية قد هلك فاهون به هالكاً ومفقوداً إلّا إنّه قد انكسر باب الجور وتضعضعت أركان الظلم، وقد كان أحدث بيعة ظن أنّه قد أحكمها، فهيهات الذي أراده اجتهد، ففشل وشاور فخذل، وقام من بعده نغله يزيد شارب الخمور ورأس الفجور، يدعي للخلافة على المسلمين مع قلّة علمه وقصر فهمه، لا يعرف من الحقّ موطىء قدمه، وأقسم بالله قسماً مبروراً لجهاده على الدين

---

(١) وهذا ما كتبه إليهم:

بسم الله الرحمن الرحيم

من الحسين بن علي بن أبي طالب

«أمّا بعد ... فإنّ السنة قد أُميتت، والبدعة قد أُحييت، فإن أجبتم دعوتي أهديكم إلى سبيل الرشاد والسلام».

وكان عليه السلام إذا أراد أن يكتب كتاباً مثل هذا يوجز لأن «خير الكلام ما قلّ ودلّ».

أفضل من جهاد المشركين، وهذا الحسين بن علي ذي الشرف الأصيل والرأي الأثيل له فضل لا يوصف وعلم لا ينزف، وهو أولى بهذا الأمر لسابقته وقدمه، يحنو على الكبير ويعطف على الصغير، فأكرم به من راعي رعية، وإمام حق وجبت لله به الحجة، وبلغت به الموعظة، وقد كان صخر بن قيس انخذل بكم يوم الجمل، فاغسلوها بخروجكم مع ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وها أنا قد لبست للحرب لامتها، وأدرعت لها بدرعها، فمن لم يقتل يمت، ومن يهرب لم يفت، فأحسنوا رحمكم الله ردّ الجواب.

فتكلمت بنو حنظلة وقالوا: يا أبا خالد نحن نبل كنانتك وفرسان عشيرتك، إن غزوت بنا فتحت، لا تخوض غمرة إلّا خضناها، ولا تلقى شدّة إلّا لقيناها، ننصرك بأسيافنا ونقيك بأبداننا، فانهض لما شئت.

وتكلّمت بنو تميم فقالوا: يا أبا خالد نحن بنو ابنك وحلفاؤك لا ترضى إن غضبت والأمر إليك إذا شئت.

وتكلّمت بنو سعد فقالوا: يا أبا خالد إنّ أبغض الأشياء علينا خلافك والخروج من رأيك، وقد كان صخر بن قيس أمرنا بترك القتال، فحمدنا أمره وبقي عزنا فينا، فأمهلنا حتى نراجع المشوره ونأتيك بالجواب.

فقال: والله يا بني سعد لإن فعلتموها لا رفع الله السيف عنكم ولا زال سيفكم فيكم أبداً.

ثم كتب إلى الحسين عليه السلام كتاباً يقول فيه: أمّا بعد... فقد وصل إليَّ كتابك وفهمت ما ندبتني إليه، ودعوتني من الأخذ بحظّي من طاعتك والفوز بنصيبي من نصرتك، وإن لم يخل الأرض من عامل عليها بخير وأنتم حجج الله على خلقه وأمناؤه على عباده، تفرّعتم من زيتونة أحمدية هو أصلها وأنتم فرعها، فاقدم سعدت بأسعد طائر، فقد ذللت لك أعناق بني تميم وتركتهم أشد تتابعاً في طاعتك من الإبل الظما لورود الماء في يوم خمسها، وذللت لك أعناق بني سعد،

وغسلت درن صدرهم بماء سحابة مزن حين استهل برفقها فلمع.

قال: ثم سرح الكتاب إلى الحسين عليه السلام، فورد على الحسين وهو إذ ذاك بكربلاء وحيداً فريداً وقد قتلت أصحابه وإخوته، فلمّا فضّ الكتاب وقرأه جعل يقول: مالك يا ابن مسعود آمنك الله يوم الخوف الأكبر.

قال الراوي: وتجهّز يزيد بن مسعود، وخرج من البصرة باثني عشر ألف رجل، فلمّا صار في بعض الطريق بلغه خبر قتل الحسين عليه السلام فشهق شهقة ومات.

هذا ولم ير ما صنع بإمامه، فيعزّ على ابن مسعود لو رأى سيّده الحسين وقد أحاطت به أعداؤه هذا يضربه بسيفه وهذا يطعنه برمحه وهذا يرميه بالحجارة.

ولقد غشوت فضارب ومفوّق ... سهماً إليه وطاعن متقصّد[1]

---

(١) نعم هذا يزيد بن مسعود بلغه خبر قتل الحسين عليه السلام فشهق شهقة ومات ساعد الله قلب الحوراء زينب عليها السلام حيث نظرت إلى أخيها وفيه ألف وتسعمائة جراحة كأنّها بها:

(نصاري)

يحسين خويه اشيوجعك گول ... او من يا جرح يا خوي معلول
لو نـاشدونه الناس شنگول ... يالچنت سور او سيف مسلول
دون الحرم يا ريع المحول ... وسافه اعلى حگك تمسي مچتول
مرمي او عليك اتدوس الخيول ... او من فوگ صدرك گامت اتجول
تمنّيت الك من هاشم اشبول ... يشوفون جسمك على الرمول
او راسك براس الرمح مشيول ... او يشوفنّه اشمنّه العد تنول

(ابوذيّه)

الگلب شاجر على ابن امي وداوي ... تضعضع وانهدم سوري وداوي
لا مجروح حتى اگعد وداوي ... ولا غايب وأگول يعود ليه

(تخميس)

قد كنت فينا للشدائد معقلاً ... ولبيتنا السامي سراجاً مُشعلا
واليوم ما لك لم تُجبنا ثكّلا
ألمحنة شغلتك عنّا أم قلى ... حاشاك إنّك ما برحت ودودا

المطلب الثاني والثلاثون

في من حظي بالشهادة من أهل البصرة

لمّا كاتب الحسين بن علي عليه‌السلام أشراف أهل البصرة ورؤسائهم يدعوهم إلى نصرته؛ واللزوم تحت طاعته، أجابه من أجابه كيزيد بن مسعود النهشلي، ومعه إثنا عشر ألف، لكنّهم فاتتهم نصرة الحسين عليه‌السلام إذ أنّهم خرجوا من البصرة متّجهين إلى الحسين عليه‌السلام فوافاهم خبر قتله في بعض الطريق، فرجعوا خائبين من نصرته.

وأمّا الذين سعدوا ورزقوا الشهادة فهم ستّة كما ذكرهم أهل المقاتل، أوّلهم: عبدالله الفقعسي، وكان شيخاً كبيراً طاعناً في السن، وولده أربعة، والسادس هو سعيد بن مرّة التميمي. أمّا سبب خروج هذا الشيخ وولده[1] على ما يروى إنّه كان إمرأة من أهل البصرة تسمى مارية بنت منقذ العبدي، وكانت تتشيّع، وهي من ذوي البيوت والشرف، وقد قتل زوجها وأولادها يوم الجمل مع أميرالمؤمنين عليه‌السلام، وقد بلغها أنّ الحسين عليه‌السلام كاتب أشراف أهل البصرة ودعاهم إلى نصرته، وكان عندها ناد يجتمع فيه الناس فجائت وجلست بباب مجلسها وجعلت تبكي، حتى علا صراخها فقام الناس في وجهها وقالوا لها: ما عندك ومن

---

(١) أي: عبدالله الفقعسي.

أغضبك؟ قالت: ويلكم، ما أغضبني أحد، ولكن أنا امرأة ما أصنع، ويلكم سمعت أنّ الحسين ابن بنت نبيكم استنصركم وأنتم لا تنصروه؟ فأخذوا يعتذرون منها لعدم السلاح والراحلة، فقالت: أهذا الذي يمنعكم؟ قالوا: بلى؛ فالتفتت إلى جاريتها وقالت لها: انطلقي إلى الحجرة وآتيني بالكيس الفلاني، فانطلقت الجارية وأقبلت بالكيس إلى مولاتها، فأخذت مولاتها الكيس وصبّته وإذا هو دنانير ودراهم، وقالت: فليأخذ كل رجل منكم ما يحتاجه وينطلق إلى نصرة سيدي ومولاي الحسين.

قال الراوي: فقام عبدالله الفقعسي وهو يبكي ـ وكان عنده أحد عشر ولداً ـ فقاموا في وجهه وقالوا: إلى أن تريد؟ قال: إلى نصرة ابن بنت رسول الله. ثم التفت إلى من حضر وقال: ويلكم هذه امرأة أخذتها الحمية وأنتم جلوس؟ ما عذركم عند جدّه رسول الله ﷺ يوم القيامة.

قال: ثم خرج من عندها وتبعه من ولده أربعة فأقبلوا يجدون السير، حتى استخبروا بأنّ الحسين عليه السلام ورد كربلاء، فجاء الشيخ بأولاده إلى كربلاء، ورزقوا الشهادة.

وأمّا السادس: فهو سعيد بن مرّة التميمي، وكان سعيداً شابّاً له من العمر تسعة عشر سنة، فإنّه لمّا سمع بأنّ الحسين عليه السلام يستنصر أشراف أهل البصرة في كتبه أقبل إلى أُمّه في صبيحة عرسه وصاح: أُمّاه عليَّ بلامة حربي وفرسي.. قالت: وما تصنع بها؟! قال: أُمّاه قد ضاق صدري وأُريد أن أمضي إلى خار البساتين، فقالت له: ولدي إنطلق إلى زوجتك ولاطفها، فقال: يا أُمّاه لا يسعني ذلك... فبينما هم كذلك إذ أقبلت إليه زوجته وقالت له: إلى أين تريد يابن العم؟ فقال نها: أنا ماض إلى من هو خير منّي ومنك. فقالت له: ومن هو خير منك ومنّي؟! فقال لها: سيّدي ومولاي الحسين بن علي عليه السلام. فلمّا سمعت أُمّه بكت وقالت له: ولدي

جزاك الله عن الحسين خيراً، لكن ولدي أما حملتك في بطني تسعة أشهر؟ قال: بلى، قالت: أما سهرت الليالي في تربيتك؟ قال: بلى، وأنا لست بمنكر لحقك عليَّ. قالت: إذاً عندي وصية، قال: وما هي يا أُمّاه؟ فقالت له: ولدي إذا أدركت سيّد شباب أهل الجنّة إقرأه عنّي السلام وقل له فليشفع لي يوم القيامة. فقال لها: يا أُمّاه وأنا أوصيك بوصيّة، قالت: ما هي؟ قال: إذا رأيت شابّاً لم يتهنّا بشبابه وعرّيساً لم يتهنّأ بعرسه اذكري عرسي وشبابي.

قال الراوي: ثمّ ودّعها وخرج من البصرة، وأقبل يجدّ السير في الليل والنهار واستخبر ببعض الطريق أنّ الحسين قد نزل كربلاء، فجعل يجدّ السير حتى وافى الحسين في اليوم العاشر من المحرم وحيداً فريداً، فلمّا رآه الحسين قال: سعيد هذا؟! قال: نعم سيدي، قال: يا سعيد ما قالت لك أُمّك؟ فقال: سيّدي تقرؤك السلام؛ فقال الحسين عليه السلام: عليك وعليها السلام، يا سعيد إنّ أُمّك وأُمّي في الجنّة. ثم قال سعيد: سيّدي أتأذن لي أن أُسلّم على بنات الرسالة، قال: نعم؛ فأقبل سعيد حتى وقف بأزاء الخيام ونادى: السلام عليكم يا آل بيت رسول الله. فصاحت جارية زينب: وعليك السلام، فمن أنت؟ قال: سيّدتي أنا خادمكم سعيد بن مرّة التميمي، جئت إلى نصرة سيّدي ومولاي الحسين. فقالت: يا سعيد أما تسمع الحسين عليه السلام ينادي هل من ناصر؟ هل من معين؟ قال: ثم سلّم عليهنّ ورجع إلى الحسين ووقف يستأذنه للبراز، فأذن له الحسين عليه السلام، فحمل على القوم وجعل يقاتل حتى قتل جمعاً كثيراً، فعطفوا عليه أعداء الله فقتلوه، ولمّا قتل سعيد مشى لمصرعه الحسين فجلس عنده، وأخذ رأسه ووضعه في حجره، وجعل يمسح الدم والتراب عن وجهه، وهو يقول: أنت سعيد كما سمّتك أُمّك، سعيد في الدنيا وسعيد في الآخرة.

وكان عليه السلام كلّما قتل منه قتيل يقف عند مصرعه ويؤبّنه إمّا بآية من القرآن، أو بكلمة تناسبه.

ولمّا صرع الغلام التركي مشى لمصرعه الحسين عليه السلام ووضع خدّه على خدّه، وكان الغلام مغمى عليه فلمّا أفاق رأى الحسين عليه السلام واضعاً خدّه على خدّه فقال: من مثلي وابن رسول الله واضعاً خدّه على خدّي.

نصروا ابن بنت نبيّهم طوبى لهم　　　نالوا بنصرته مراتب ساميه[1]

---

(١) (بحراني)

عاف العرس وگبل سعيد اوحيدته ليك　　　اينادي ابلسانه والگلب يحسين لبيك

ودِّع سعيد أُمّه او تعنّه الغاضريه　　　ليل او نهار ايسير في صبح او عشيّه

امن ابعيد شاف احسين مفرد بين اميّه　　　ايـنادوه المن تنتظر يحسين يأتيك

لن هالشباب ايصيح الك روحي فديّه　　　عبدك سعيد اگبل رحت يحسين رجليك

اوودّع احسين او صال بجموع العساكر　　　او خلّه الأيادي اويه الجماجم بس تناثر

ادّع العليه او طاح بالميدان عافر　　　او نادم يبو سكنه سعيد ايسلّم عليك

راح السبط مسرع او جابه يمّ الخيام　　　او مدّد سعيد ابصف علي الأكبر او جسّام

او ناح او بچه او ناده الفواطم ويّه الأيتام　　　نوحوا وگولوا يا شباب الله يهنّيك

هذا تره معرس شباب او ما تهنّه　　　أُمّه وبت عمّه ابصباحه فارگنّه

دارن عليه رمله او ليله يندبنّه　　　او زينب تنادي اشلون من دمّك نحنّيك

(تخميس)

كيف السلو ونار الحزن تشتعل　　　تلهّبا ودموع العين تنهمل

سحاً على جيرةٍ في كربلا نزلوا

بالأمس كانوا معي واليوم قد رحلوا　　　وخلّفوا في سويد القلب نيرانا

المطلب الثالث والثلاثون

في ترجمة زهير بن القين البجلي رحمه الله

ذكر صاحب إبصار العين، قال: كان زهير بن القين البجلي رجلاً شريفاً، شجاعاً له في المغازي مواقف مشهورة، وكان أولاً عثمانياً، حجّ سنة ستّين من الهجرة بأهله، ثمّ عاد من الحج فوافق الحسين عليه السلام في الطريق.

حدّث جماعة من فزارة وبجيلة، قالوا: كنّا مع زهير بن القين البجلي حين أقبلنا من مكة نساير الحسين عليه السلام، فلم يكن شيء أبغض علينا من أن ننازله في منزل، فإذا نزل الحسين تقدم زهير، وإذا سار الحسين تخلّف زهير، فلم نزل هكذا حتى صرنا في منزل لم نجد بدّاً من أن ننازله فيه، فنزل الحسين جانباً ونزل زهير إلى جانب آخر، فبينما نحن جلوس نتغذى إذا برسول الحسين قد أقبل علينا حتى دخل الخيمة، فسلّم علينا فرددنا عليه السلام، ثم قال: يا زهير إنّ الحسين يدعوك. قال: فطرح كل إنسان ما كان في يده حتى كأن على رؤوسنا الطير.

قال أبو مخنف: حدّثتني دلهم بنت عمرو زوجة زهير، قالت: فقلت له يا سبحان الله أيبعث إليك الحسين ثم لا تجيبه؟! فأجبه واسمع منه كلامه ثم انصرف. قال: ثم مضى إليه زهير، فما لبث أن جاء مستبشراً وأمر بفسطاطه وثقله فقوّض وحمل إلى الحسين عليه السلام. ثم قال لي: أنت طالق، إلحقي بأهلك فإنّي لا

أحبّ أن يصيبك بسببي إلّا خيراً؛ ثم التفت إلى أصحابه وقال: من أحبّ منكم أن يتّبعني وإلّا فهذا آخر العهد؛ ثم التفت إليهم ثانياً وقال: إنّي أحدّثكم بحديث:

غزونا بلنجر[١]، ففتح الله علينا، وأصبنا غنائم كثيرة، فقال لنا سلمان بن ربيعة الباهلي: أفرحتم بما فتح الله على أيديكم وأصبتم من الغنائم؟ قلنا: نعم، قال: إذا أدركتم سيّد شباب أهل الجنة، فكونوا أشدّ فرحاً بقتالكم معه، فأمّا أنا فأستودكم الله[٢].

ثم صار إلى الحسين عليه السلام، وكان معه **سلمان** بن مضارب بن قيس ـ ابن عم

---

(١) في القاموس: بلنجر كغضنفر ـ بفتحتين وسكون النون وجيم مفتوحة وراء ـ هي مدينة ببلاد الخزر خلف باب الأبواب، فتحت في زمان عثمان في سنة اثنين وثلاثين على يد عبدالرحمن بن ربيعة الباهلي، كما ذكره أصحاب السير، وقال البلاذري: فتحها سلمان بن ربيعة الباهلي، وتجاوزها، ولقيه خاقان في جيشه خلف بلنجر، فاستشهد هو وأصحابه، وكانوا أربعة آلاف، وكان في أول الأمر قد خافهم الترك وقالوا: إنّ هؤلاء ملائكة لا يعمل فيهم السلاح، فاتفق أنّ تركياً اختفى في غيضة ورشق مسلماً بسهم فقتله، فنادى في قومه إنّ هؤلاء يموتون كما تموتون فلم تخافوهم، فاجترؤا عليهم ووقعوهم حتى استشهد عبدالرحمن بن ربيعة، وأخذ الراية أخوه سلمان بن ربيعة، ولم يزل يقاتل حتى أمكنه دفن أخيه بنواحي بلنجر، ورجع ببقية المسلمين على طريق جيلان، فيهم سلمان الفارسي وأبو هريرة، فقال عبدالرحمن بن جمانة الباهلي:

وإنّ لنا قبرين قبر بلنجر ... وقبر بأرض الصين يا لك من قبر
فهذا الذي بالصين عمّت فتوحه ... وهذا الذي يسقى به سبل القطر

يريد أن الترك لمّا قتلوا عبدالرحمن بن ربيعة واصحابه كانوا ينظرون في كل ليلة نوراً على مصارعهم، فأخذوا سلمان بن ربيعة وجعلوه في تابوت فيهم يستسقون به إذا اقطعوا، وإذا الذي بالصين فهو قتيبة بن مسلم الباهلي. (أقول) فقول زهير: قال لنا سلمان أي سلمان بن ربيعة الباهلي، لا سلمان الفارسي، توفي في زمن الخليفة الثاني وبلنجر فتحت في زمن عثمان ولم يشهد سلمان الفارسي وقعة بلنجر.

(٢) ابصار العين: ٩٥

زهير بن القين لحاً ـ فالقين أخو مضارب وأبوهما قيس، وكان سلمان حج مع ابن عمّه سنة ستّين، ولمّا مال زهير مع الحسين عليه السلام مال معه في مضربه، وقتل أيضاً يوم الطف(١).

ولمّا بلغ الحسين عليه السلام ذو حسم(٢)، قام خطيباً في أصحابه، فحمد الله وأثنى عليه، وذكر النبي فصلّى عليه، ثم قال:

أمّا بعد، فإنّه قد نزل بنا من الأمر ما قد ترون، وإنّ الدنيا قد تغيّرت وتنكّرت، وأدبر معروفها، ولم يبق منها إلّا صبابة كصبابة الإناء، وخسيس عيش كالمرعى الوبيل، ألا ترون إلى الحق لا يعمل به، وإلى الباطل لا يتناهى عنه، ليرغ المؤمن في لقاء الله محقّاً، ألا وإنّي لا أرى الموت إلّا سعادة والحياة مع الظالمين إلّا برما.

قال: فقام إليه زهير بن القين البجلي رحمه الله، وقال لأصحابه: أتتكلّمون أم أتكلّم؟ فقالوا: بل تكلّم. قال: فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال:

قد سمعنا هداك الله يابن رسول الله مقالتك، والله لو كانت الدنيا لنا باقية، وكنّا فيها مخلّدين(٣)، لآثرن النهوض معك على الإقامة فيها. قال الراوي: فدعا له

---

(١) ابصار العين: ١٠٠.

(٢) حسم بضمّتين وهو اسم لموضع وفي شعر النابغة:

أَليلتنا بذي حسم أنيري ... إذا أنتِ انقضيت فلا تحوري

فإن يكُ بالذنائب طال ليلي ... فقد أبكى من الليلِ القصيري

انظر نهاية الإرب: ١٥/٤٠١.

وقال لبيد:

بذي حسم قد عربت ويزينها ... دماث فليج وهو هاو المحافل

(٣) في المصدر زيادة: إلّا أنّ فراقها في نصرك ومواساتك...

الحسين عليه السلام وقال له: جزاك الله عن ابن بنت نبيك خيراً[١].

وقال كثير بن عبدالله الشعبي: لمّا زحفنا نحو[٢] الحسين عليه السلام يوم عاشورا، خرج إلينا زهير بن القين البجلي على فرس له ذنوب، ووقف بين الصفين ونادى بأعلى صوته:

يا أهل الكوفة نذاري لكم من عذاب الله، نذار إنّ حقّاً على المسلم نصيحة أخيه المسلم، ونحن حتى الآن إخوة على دين واحد وعلى ملّة واحدة ما لم يقع بيننا وبينكم السيف[٣]، فإذا وقع السيف انقطعت العصمة، وكنّا أُمّة وكنتم أُمّة، أيها الناس[٤]: إنّ الله قد ابتلانا وإيّاكم بذريّة نبيّه محمّد صلى الله عليه وآله وسلم لينظر ما نحن وأنتم عاملون، إنّا ندعوكم إلى نصرهم وخذلان الطاغية يزيد[٥] وعبيدالله بن زياد، فإنّكم والله لا تدركون منهما إلّا بسوءِ عُمْرِ سلطانهما كلّه، وإنّهم والله ليسملان أعينكم، ويقطعان أيديكم وأرجلكم، ويصلبانكم على جذوع النخل، ويمثّلان بكم[٦]، أمثال حجر بن عدي وأصحابه وهاني بن عروة وأشياعه[٧].

قال: فسبّوه، واثنوا على عبيدالله بن زياد فحمدوه، وقالوا: والله يا زهير لا تبرح حتى نقتل صاحبك ـ يعني الحسين عليه السلام ـ ومن معه، أو نبعث به إلى ابن زياد سالماً. فقال زهير: ويلكم يا أهل الكوفة، إنّ ولد فاطمة أحقّ بالودّ من ابن سميّة، فإن لم تنصروه فأعيذكم بالله أن تقتلوه، فخلّوا بين هذا الرجل وبين يزيد بن

(١) مقتل أبي مخنف: ٨٦.

(٢) في المصدر: قبل.

(٣) في المصد زيادة: وأنتم للنصيحة منّا أهل...

(٤) أيها الناس، لم ترد في المصدر.

(٥) يزيد، لم يرد في المصدر.

(٦) في المصدر بعد (وأرجلكم): ويمثّلان بكم، ويرقعانكم على جذوع النخل، ويقتلان أمثلكم وقرّائكم،....

(٧) في المصدر: وأشباهه.

معاوية، فلعمري إنّه ليرضى من طاعتكم بدون قتل الحسين.

قال الراوي: فرماه شمر[١] وقال: أسكت، أسكت الله نامتك[٢]، أبرمتنا بكثرة كلامك، فقال له زهير: يا ابن البوّال على عقبيه، ما إياك أخاطب إنّما أنت بهيمة، والله لا أظنّك تحكم من كتاب الله آيتين فابشر بالخزي يوم القيامة والعذاب الأليم. فقال الشمر: إنّ الله قاتلك وصاحبك عن ساعة، فقال زهير: أفبالموت تخوّفني، فوالله الموت معه أحبّ إليّ من الخلد معكم.

قال: ثمّ أقبل على الناس رافعاً صوته، فقال: عباد الله لا يغرّنكم عن دينكم هذا الجلف الجافي وأشباهه، فوالله لن ينالوا شفاعة محمّد صلى الله عليه وآله وسلم قط قوم أراقوا دماء ذريّته وعترته، وقتلوا من نصرهم وذبّ عن حريمهم.

قال الراوي: فناداه رجل من أصحابه: يا زهير إنّ الحسين عليه السلام يقول لك: أقبل، فلعمري لئن كان مؤمن آل فرعون نصح قوم، وأبلغ في الدعاء لقد نصحت لهؤلاء وأبلغت لو نفع النصح والإبلاغ. فرجع إلى الحسين عليه السلام، فقال له عليه السلام: جزاك الله عن رسوله وآله خيراً[٣].

قال[٤]: ولمّا أتت نوبته حمل على القوم، فجعل يقاتل قتالاً شديداً لم ير مثله قط، ولم يسمع بشبهه، وهو يقول:

أنا زهير وأنا بن القين ... أذودكم بالسيف عن حسين

إنّ حسيناً أحد السبطين ... من عترة البرّ التقي الزين

ثم رجع ووقف أمام الحسين عليه السلام، وقال:

---

(١) في المصدر: بسهم.

(٢) النامة: بالتشديد الصوت يقال ذلك كناية عن الموت وهو دعاء العرب مشهور وأبرمتنا أي أضجرتنا بكثرة كلامك.

(٣) مقتل أبي مخنف: ١١٩ ـ ١٢٠، باختلاف بسيط.

(٤) والكلام للراوي.

فدتك نـفسي هـادياً مـهديّا اليـوم ألقـى جـدّك النـبيّا
وحســنا والمـرتضى عـليّا وذاالجناحين الشهيد الحـيّا

فكأنّه ودّعه، وعاد يقاتل حتى قتل مائة وعشرين رجلاً، فشدّا عليه كثير بن عبدالله الشعبي ومهاجر بن أوس التميمي فقتلاه، ولمّا سقط إلى الأرض مشى لمصرعه الحسين عليه السلام ووقف عنده، وتكلّم بكلمات، وقال: لا يبعدنّك الله يا زهير عن رحمته، ولعن قاتليك لعن الذين مسخوا قردة وخنازير(١).

جادوا بأنفسهم عن نـفس سـيّدهم والجود بالنفس أقصى غاية الجود

ويروي في تذكرة ابن الجوزي: أنّه لمّا قتل زهير قالت امرأته لغلامه: اذهب وكفّن مولاك، فقال لها: أكفن مولاي وأدع الحسين؟! لا والله(٢).

مـا غسّـلوه ولا لفّـوه فـي كـفن يوم الطفوف ولا مدّوا عليه ردا(٣)

---

(١) انظر تاريخ الطبري: ٢٥٣/٦.
(٢) تذكرة الخواص لابن الجوزي: ٢٥٦، تقول: امرأة زهير إنّما قالت ذلك للغلام بعد مـقتل الحسين عليه السلام، ومفاده أنّه لا يريد أن يترك الحسين بلا كفن ويكفن مولاه.
(٣) وزينب عليها السلام نادت القوم أما فيكم مسلم يواري هذا الغريب، أما فيكم مسلم يكفّن هـذا السليب فلم يجيبوها كأنّي بها التفتت إلى أهلها:

(نصاري)

تــعالوا لبـنكم غسّــلوه ويّــاكـم كـفنكم دجـيبوه
جيبو گـطن للـجرح شـدّوه ثلث تيّام مرمي بغير تغسيل

(ابوذيّه)

ادمن للگلب يحسين يـرحـين وبس الهن دموع العين يرحين
خواتك عالهزل لليسر يرحـين او يعوفن جثّتك بـالطف رمـيّه

(تخميس)

يا سائلاً وشظايا القلب في شجنٍ هل جهّزوا لقتيلٍ مـاتَ مـمتحن
أجبته بفؤادٍ خافقٍ وهن
مـا غسّـلوه ولا لفّـوه فـي كـفن يوم الطفوف ولا مدّوا عـليه ردا

المطلب الرابع والثلاثون

في ملاقاة الحسين عليه السلام للحرّ وما جرى بينهما

روي عن عبدالله بن سليم والمذري بن المشمعل الأسديين قالا: كنّا نساير الحسين عليه السلام حتى نزل شراف[1]، ولمّا كان السحرة أمر أصحابه أن يحملوا الماء وأن يكثروا، فلمّا أصبحوا ساروا من شراف حتى انتصف النهار، فبينما هم يسيرون إذ كبّر رجل من أصحابه، فقال له الحسين عليه السلام: الله أكبر، لم كبرت؟! قال: سيدي رأيت النخل، فقال له رجل من أصحابه: ما رأينا في هذا المكان نخلة واحدة!! فقال الحسين عليه السلام: وما ترون؟ قالوا: والله لا نرى إلّا أسنّة الرماح، وآذان الخيل. فقال عليه السلام: وأنا والله أرى ذلك. ثم قال عليه السلام: ما لنا ملجأ نلجأ إليه ونجعله

---

(١) شراف بفتح أوله وآخره فاء وثانية مخفف فعال من الشرف وهو العلو وقال أبو عبيدة السكوني ومن شرف إلى واقصة ميلان وهناك بركة تعرف باللوزة وفي شراف ثلاث آبار كبار رشاؤها أقل من عشرين قامة وماؤها عذب كثير وبها آبار كثيرة طيّبة الماء يدخلها ماء المطر وقيل شراف استنبطه رجل من العماليق اسمه شراف فسمّي به. وقال الكلبي: شراف وواقصة ابنا عمرو بن معتق بن زمرة بن عبيد بن عوص بن آدم بن سام بن نوح عليه السلام. وقال زميل بن زامل الفزاري قاتل ابن داه:

لقد عضّني بالجو جو كثيفة ... ويوم التقينا من وراء شراف
قصرت له الدعسى ليعرف نسبتي ... وأنبأته أنّي ابن عبد مناف

خلف ظهورنا، ونستقبل القوم بوجه واحد؟ قالوا: بلى، هذا ذو حسم إلى جنبك، فمل إليه عن يسارك. فأخذ ذات اليسار، قالا: فما كان بأسرع من أن طلعت علينا هوادي[١] الخيل كأن أسنّتهم اليعاسيب[٢]، وكأن راياتهم أجنحة الطير.

فأمر الحسين عليه السلام بالأبنية فضربت، وجاء القوم زهاء ألف فارس يتقدّمهم الحرّ[٣] بن يزيد الرياحي، وكان مجيئه من القادسية[٤]، فنزل حذاء الحسين عليه السلام في حر الظهيرة، والحسين وأصحابه جالسين متقلّدي أسيافهم، فقال الحسين عليه السلام لفتيانه: اسقوا القوم [وارووهم من][٥] الماء، ورشّفوا الخيل ترشيفا. فأقبلوا يملؤن القصاع والطساس ثم يدنونها من الفرس، فإذا عبّ فيها ثلاثاً أو أربعاً عزلت وسقى الأخرى، حتى سقوهم عن آخرهم. قال علي بن الطعان المحاربي: كنت يومئذ مع [الحرّ بن يزيد][٦]، فجئت في آخر من جاء من أصحابه، فلمّا رأى الحسين عليه السلام ما بي وبفرسي من العطش، قال لي: يا ابن أخي إنخ الجمل؛ فأنخته

---

(١) الهوادي جمع الهادي العنق والمتقدم وهنا يريد مقدمة الخيل.

(٢) جمع يعسوب أمير النحل وذكرها يشبه لمعان الأسنّة بلمعان أجنحة اليعاسيب في الشمس.

(٣) الحرّ بن يزيد الرياحي كان شريفاً في قومه جاهلية وإسلاماً فإنّ جدّه عتابا كان رديف النعمان بن المنذر وولد عتاب قيسا وقعنبا ومات عتاب فردف فقيس النعمان ونازعه الشيبانيون فقامت بسبب ذلك حرب يوم الطخلة والحر ابن عم الأخوص الصحابي الشاعر.

(٤) القادسية وحسبما جاء في ج ٤ ص ٢٩١ من كتاب معجم البلدان للحموي موضع بينه وبين الكونة خمسة عشر فرسخاً وبينه وبين العذيب اربعة اميال وبحفدا الموضع كان يوم القادسية بين سعد بن أبي وقاص والمسلمين والفرس في أيام عمر بن الخطاب وذلك سنة ١٦ من الهجرة.

(٥ و٦) ما أثبتناه من المصدر.

فجعلت كلّما أشرب سال الماء(١)، وسقيت فرسي(٢).

قال الراوي: وما زال الحرّ موافقاً للحسين عليه السلام حتى حضرت وقت صلاة الظهر، فأمر الحسين عليه السلام الحجاج بن مسروق الجعفي أن يؤذن، فأذّن، ثم خرج الحسين عليه السلام والتفت إلى الحرّ، وقال: أتصلّي بأصحابك؟ فقال الحرّ: كلّا، بل تصلّي ونصلّي بصلاتك. فصلّى بهم الحسين عليه السلام، فلمّا فرغ من صلاته أقبل عليهم بوجهه، فحمد الله وأثنى عليه، وذكر النبي فصلّى عليه، ثم قال:

أيها الناس، إني لم آتيكم حتى أتتني كتبكم، وقدمت عليَّ رسلكم، فإن كنتم لقدومي كارهين انصرفت عنكم إلى المكان الذي جئت منه، فقال الحرّ: أنا والله لا أدري ما هذه الكتب والرسل!! فصاح الحسين عليه السلام لعقبة بن سمعان: أخرج الخرجين المملوئين صحفاً، فأخرجهما عقبة ونشرها بين يدي الحسين عليه السلام والحرّ، فقال الحرّ: لست من هؤلاء الذين كتبوا إليك، وقد أمرت أن لا أُفارقك حتى أُدخلك الكوفة، وأضع يدك في يد ابن زياد.

فقال الحسين عليه السلام: إذاً الموت أدنى إليك من ذلك. ثم إنّ الحسين عليه السلام أمر أصحابه أن يسيروا، فحال الحرّ بينهم وبين المسير، فقال الحسين عليه السلام: ثكلتك أُمّك، ما تريد منهم؟ فقال الحرّ: لو غيرك من العرب قالها لي وهو على مثل هذا الحال الذي أنت عليه ما تركت ذكر أُمّه بالثكل كائناً من كان، ولكن والله ما لي إلى ذكر أُمّك من سبيل إلّا بأحسن ما نقدر عليه. فقال الحسين عليه السلام: إذاً ما تريد؟ قال: أُريد أن أنطلق بك إلى الكوفة إلى ابن زياد. فقال الحسين عليه السلام: إذاً والله لا أتّبعك.

---

(١) هنا سقط في الأصل: من السقاء، فقال الحسين عليه السلام: أخنث السقاء (أي) إعطفه، قال: فجعلت لا أدري كيف أفعل، قال: فقام الحسين فخنثه، فشربت ...

(٢) عن أبي مخنف في مقتل الحسين عليه السلام: ٨١ ـ ٨٢.

فقال الحرّ: إذاً والله لا أدعك؛ فترادّا القول فيما بينهم ثلاث مرّات، فخشي الحرّ الفتنة فقال: يا أبا عبدالله إنّي أمرت إذا لقيتك لا أفارقك، فإذا كان الأمر كذلك فخذ طريقاً لا يردك إلى المدينة ولا يدخلك الكوفة، ليكون بيني وبينك نصفاً، حتى أكتب إلى ابن زياد، فلعلّ الله أن يأتي بأمر يرزقني فيه [العافية][1] من أن أبتلي بشيء من أمرك، فخذ هاهنا تياسراً من طريق العذيب والقادسية. فرضي الحسين عليه السلام بذلك، فساروا[2].

فبينما هم يسيرون إذ التفت الحرّ إلى الحسين عليه السلام وقال له: يا أبا عبدالله إنّي أذكّرك الله في نفسك، فإنّي أشهد لئن قاتلت لتقتلنّ. فقال له الحسين عليه السلام: أفبالموت تخوّفني؟ وهل يعدو بكم الخطب أن تقتلونني؟ وسأقول كما قال أخو الأوس لابن عمّه، وهو يريد نصرة رسول الله فخوّفه ابن عمّه وقال له: أين تذهب؟ إنّك مقتول، فأنشأ يقول:

أُقدّم نفسي لا أُريد بقاءها	لتلقى خميساً في الوغى وعرمرما
سأمضي وما بالموت عار على الفتى	إذا ما نوى حقّاً وجاهد مسلما
وواسى الرجال الصالحين بنفسه	وفارق مثبوراً وودّع مجرما
فإن عشت لم أندم وإن متّ لم أذم	كفى بك ذلّاً أن تعيش وترغما[3]

قال: فلمّا رأى امتناع الحسين عليه السلام سكت وجعل يسايره، فلمّا أصبح الصباح نزل وصلّى، ثم عجّل بالركوب، فأخذ يتياسر بأصحابه يريد أن يفرّقهم،

---

(١) ما أثبتناه من المصدر.

(٢) انظر مقتل الحسين عليه السلام لأبي مخنف: ٨٣ ـ ٨٥، ومقتل الحسين عليه السلام للخوارزمي: ١/٢٣١ ـ ٢٣٣، والأخبار الطوال للدينوري: ٢٤٩.

(٣) مقتل الحسين عليه السلام للخوارزمي: ١/٢٣٣، وانظر أنساب الأشراف: ٣/١٧١، وتاريخ الكامل لابن الأثير:

فيأتيه الحرّ وكان إذا ردّهم نحو الكوفة ردّاً شديداً امتنعوا عليه، فلم يزالوا يتياسرون كذاك حتى أنتهوا إلى نينوى[١].[٢]

ويروى أنّ زهير بن القين البجلي قال للحسين عليه السلام: سيّدي دعنا نقاتلهم، فإنّ قتال هؤلاء الساعة أهون علينا من قتال من يأتينا من بعدهم، فلعمري ليأتينا بعدهم ما لا قبل لنا بهم، فقال الحسين عليه السلام: ما كنت لأبدءهم بالقتال[٣]. ثم قال: والتفت الحسين عليه السلام إلى أصحابه وقال: من منكم يعرف الطريق على غير الجادة؟ فقال الطرماح[٤]: أنا يابن رسول الله؛ فقال له الحسين عليه السلام: تقدّم، فتقدّم الطرماح أمام الركب وجعل يرتجز:

يا ناقتي لا تذعري من زجر — واسر بنا قبل طلوع الفجر
بخير فتيان وخير سفر — آل رسول الله آل الفخر
السادة البيض الوجوه الزهر — الضاربين بالسيوف البتر
الطاعنين بالرماح السمر — يا مالك النفع معاً والضر
أيّد حسيناً سيّدي بالنصر — على الطغاة من بقايا الكفر

واخذل يزيد العهر ابن العهر

---

(١) نينوى: المكان الذي نزل به الحسين عليه السلام، وهي ناحية بسواد الكوفة، وقيل: قرية يونس بن متى. انظر معجم البلدان: ٨/٣٦٨.

(٢) الإرشاد للشيخ المفيد: ٢/٨٢، ومقتل الحسين عليه السلام لأبي مخنف: ٩٢.

(٣) مقتل الحسين عليه السلام لأبي مخنف: ٩٤، ورواه في الإرشاد: ٢/٨٤.

(٤) هو الطرماح بن عدي: عدّه الشيخ الطوسي رحمه الله في أصحاب أميرالمؤمنين عليه السلام وقال: رسوله عليه السلام إلى معاوية، وعدّه أيضاً في أصحاب الإمام الحسين عليه السلام، وقال المولى عناية الله القهبائي: الطرماح بن عدي بن حاتم الطائي؛ وطرماح ـ كسنمّار ـ العالي النسب المشهور. انظر رجال الشيخ: ٤٦/٣ و٧٥/١، ومجمع الرجال: ٣/٢٢٩. وانظر ترجمته في تنقيح المقال: ٢/١٠٩.

أقول: وإنّما حدا الطرماح لغاية هناك رام أن تسير الإبل سيراً سهلاً على عادتها في الحداء، ولتسكن روعات النساء إذا سمعت بمدح عميدها الحسين عليه السلام، فسارت إلى كربلاء على هذه الحالة، قد حفّتها بنو هاشم وأصحابه الصفوة، والطرماح يحدو بها، ولكنّها يوم خرجت من كربلا حفّت بها الأعداء من كل جانب، وسارت على حالة يحدو بها شمر بن ذي الجوشن وزجر بن قيس.

أيسوقها زجر بضرب متونها والشمر يحدوها بسبّ أبيها[1]

---

(١) وزينب عليها السلام تخاطب أخاها الحسين عليه السلام بلسان الحال:

(نصاري)

ودّعتك الله يا عيوني يردون عنّك ياخذوني

او زجر او خوله اليباروني للكوفه انووا يمشّوني

نخّيت اخوتي اولا جاوبوني وابغصب عنكم فارگوني

گطعت الرجه او خابت اظنوني

وكأنّي بها توجّهت إلى جهة العلقمي وخاطبت الجمّال:

(دكسن)

يجمّال مر بينا اعلى عباس اخونه العجيد اليرفع الراس

تكلّه تراهم گوم الأرجاس خذونه او علينه الشمر حرّاس

تتفرّج على أحوالنا الناس

(تخميس)

مُخدَّرةُ المختار من بعد مجدها تُسيّرها أبناء حربٍ لوغدها

دعت مُذ نأىٰ عن عينها بدر سعدِها

ونادت على الأقتاب من عظم وجدها أبا حسنٍ يا خير من ضمّه القبر

المطلب الخامس والثلاثون

في كيفية سعادة الحرّ ولحوقه بالحسين عليه السلام

روي عن عقبة بن سمعان[1] قال: لمّا سار الحسين عليه السلام من قصر بني مقاتل[2] سرنا معه، فبينا نحن نسير إذ خفق الحسين عليه السلام وهو على ظهر جواده، ثم قال: إنّا لله وإنّا إليه راجعون [والحمد لله ربّ العالمين][3]؛ فأقبل عليه ولده علي الأكبر فقال له: أبه ممّ حمدت الله واسترجعت؟ فقال: يا بني إنّي خفقت برأسي

---

(١) عقبة بن سمعان: عدّه الشيخ الطوسي رحمه الله في أصحاب الحسين عليه السلام (٧٨/٢٧)، وقيل: أنّه كان عبداً للرباب زوجة الإمام الحسين عليه السلام، وأنّه كان يتولّى خدمة أفراسه عليه السلام وتقديمها له، فلمّا استشهد عليه السلام أخذه أهل الكوفة أسيراً، ثم أُطلق سراحه، وجعل يروي واقعة الطف، ومنه أُخذت أخبارها، روى عنه أبي مخنف بالواسطة، ويقول العلامة المامقاني قدس سره: حاله مجهول، بل تخلّفه عن نصرة الإمام عليه السلام يجعلنا في ريب منه. وقال السيد الخوئي قدس سره: ممّن وقع التسليم عليه في الزيارة الرجبية، وأنّه استشهد معه عليه السلام. انظر: معجم رجال الحديث: ١٤: ١٧٠/٧٧٣٦، تنقيح المقال: ٢: ٢٥٤/٧٩٦٩.

(٢) قصر بني مقاتل: قال ياقوت الحموي: «قصر كان بين عين التمر والشام، وقال السكوني: هو قرب القطقطانة وسُلام ثم القريات، وهو منسوب إلى مقاتل بن حسان بن ثعلبة بن أوس بن إبراهيم بن أيوب بن مجروف بن عامر بن عُصية بن مرىء القيس بن زيد بن مناة بن تميم». انظر معجم البلدان: ٤/٣٦٤.

(٣) ما أثبتناه من المصدر.

خفقة فعنَّ لي فارس [على فرس][١] وهو يقول: القوم يسيرون والمنايا (تسير بهم إلى الجنة)[٢]، فقال علي بن الحسين: أفلَسنا على الحق؟ قال: بلى والذي إليه مرجع العباد، فقال: أبه إذاً لا نبالي بالموت، فقال الحسين: إذاً جزاك الله [من ولد][٣] خير ما جزى ولداً عن والده[٤].

قال المفيد: ولمّا أصبح نزل وصلّى بأصحابه، ثم عجّل الركوب، فأخذ يتياسر، فورد كتاب ابن زياد إلى الحرّ يلومه في أمر الحسين ويأمره بالتضييق عليه، فتعرّض له الحرّ وأصحابه ومنعوه من المسير، فقال له الحسين عليه السلام: ألم تأمرنا بالعدول عن الطريق؟ قال: بلى ولكن كتاب الأمير قد ورد إليَّ يأمرني بالتضييق عليك، وقد جعل عليَّ عيناً يطالبني بذلك[٥].

قال السيد رحمه الله في اللهوف: ثم إنّ الحسين ركب وصار كلّما أراد المسير يمنعونه تارة ويسايرونه أخرى حتى ورد كربلا في اليوم الثاني من المحرم (سنة إحدى وستّين فبينا هو يسير وإذا بجواده قد وقف فقال الحسين)[٦]: ما اسم هذه الأرض؟ فقيل له: (نينوى، فقال: ألها اسم غير هذا؟ فقيل له: الغاضريات، قال: ألها اسم غير هذا؟ فقيل له: المسنّات، فقال: ألها اسم غير هذا؟ فقيل له)[٧]: كربلا، قال: كرب وبلا، هاهنا محطّ رحالنا، هاهنا مقتل رجالنا، هاهنا تذبح

(١) ما أثبتناه من المصدر.
(٢) مابين القوسين لم يرد في المصدر وجاء فيه: تسري إليهم.
(٣) ما أثبتناه من المصدر.
(٤) مقتل الحسين عليه السلام لأبي مخنف: ٩٢، وأيضاً الإرشاد للشيخ المفيد: ٢/٨٢.
(٥) الإرشاد للشيخ المفيد: ٢/٨٢ـ ٨٣ (باختلاف بسيط).
(٦) مابين القوسين لم يرد في نسختنا من المصدر، وجاء فيه: فلمّا وصلها، قال...
(٧) مابين القوسين لم يرد في نسختنا من المصدر.

أطفالنا؛ ثم أمر أصحابه بالنزول فنزلوا وأمر بأبنيته فضربت، ونزل الحرّ إلى جانب[١].

فلمّا بلغ ابن زياد نزول الحسين عليه السلام كربلاء جمع الجيوش والعساكر وأمّر عليهم عمر بن سعد، وجاءت تترى إلى كربلاء حتى تكاملت الجيوش سبعين ألف، فلمّا رأى الحرّ تصميم القوم على قتل الحسين عليه السلام وأهل بيته أقبل على ابن سعد وقال له: أمقاتل أنت هؤلاء القوم؟ يعني الحسين، قال: اي والله، قتالاً أيسره أن تطيح فيه الرؤوس والأيدي؛ فرجع الحرّ ووقف مع أصحابه فأخذه مثل الإفكل، فقال له المهاجر بن أوس التميمي: إنّ أمرك لمريب! ما هذا الذي أراه منك؟ ولو قيل مَنْ أشجع العرب لما عدوتك. فقال له الحرّ: إنّ نفسي تخيّرني بين الجنّة والنار، فوالله لا أختار على الجنّة شيئاً ولو قطعت وأُحرقت. ثم ضرب فرسه، ولحقه ولده حتى صارا قريباً من خيم الحسين عليه السلام، فنزل من على ظهر فرسه وقلّب ترسه وأغمد سيفه، ووضع يديه على رأسه، وجاء إلى الحسين عليه السلام وهو يقول: «اللَّهمَّ إليك أتوب وإليك أُنيب، فتب عليَّ فقد أرعبت قلوب أولاد نبيّك». ثم سلّم على الحسين عليه السلام، فردّ الحسين عليه السلام، وقال: سيدي أنا صاحبك الذي منعتك عن الرجوع، وجعجعت بك في الطريق، سيدي وما ظننت أنّ القوم يبلغون بك إلى ما أرى، سيدي أنا تائب إلى الله عليك، ثم قال: فهل ترى إليَّ من توبة؟ فقال له الحسين عليه السلام: نعم إن تبت تاب الله عليك؛ فقال: سيدي كنت أوّل خارج عليك فأذن لي أن أكون أوّل قتيل بين يديك، فأذن له الحسين عليه السلام للبراز، فبرز وهو يقول:

إنّي أنا الحرّ ومأوى الضّيف أضرب في أعناقكم بالسّيف

عن خير من حلّ بأرض الخيف

---

(١) الملهوف على قتلى الطفوف: ١٣٩.

قال: ثم رجع إلى الحسين عليه السلام وقال: سيدي إنّي أُحدّثك بشيء ثم أعود للحرب، إعلم لمّا وجّهني ابن مرجانة إلى الخروج إليك فخرجت من باب قصره سمعت منادياً ينادي: يا حرّ أبشر بالجنّة فالتفتّ إلى ورائي فلم أر أحداً، فقلت في نفسي: سبحان الله بعثني هذا الطاغية إلى ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فما هذا النداء؟ يا سيّدي والآن تحقّق عندي أنّي أُرزق الشهادة بين يديك.

ثم ودّع الحسين عليه السلام، وحمل على القوم، فلم يزل يقاتل حتى قتل جمعاً كثيراً، ثم عقروا فرسه وبقي يقاتل راجلاً، حتى قتل أربعين فارساً، وخمسة عشر راجلاً، فتعطّفوا عليه أعداء الله وقتلوه، ولمّا قتل مشى لمصرعه الحسين عليه السلام، وجلس عند رأسه وهو يقول: «أنت كما سمّتك أُمّك حرٌّ في الدنيا وحرٌّ في الآخرة».

ورثاه علي بن الحسين قال:

لنعمر الحرٌّ حرٌّ بني رياحِ صبورٌ عندَ مُشتبكِ الرماحِ

ونعم الحرِّ إذ واسىٰ حسيناً وجادَ بِنفسِهِ عِندَ الصياحِ[1]

ويروى أنّ الحسين عليه السلام عصّب جبينه بمنديل كان عنده.

أقول: أنا لا أدري لمّا صرع هو عليه السلام من حضر عنده وعصّب رأسه؟ نعم،

---

(١) توضيح: قال المفيد رحمه الله: اشترك رجلان في قتل الحر أحدهم أيوب بن مسرح ورجل آخر من فرسان أهل الكوفة انتهى. وقال صاحب الإبصار: وإنّما دفنت بنو تميم الحر على نحو ميل من الحسين عليه السلام حيث قبره الآن اعتناء به ويقال إنّ بعض ملوك الشيعة وهو الشاه اسماعيل استغرب ذلك فكشف عن قبر الحر فوجده على صفته التي ترجم بها ورأسه غير مقطوع لأنّه لمّا أرادوا قطع الرؤوس منعت بنو تميم وقالوا: رأس الحر لا يقطع فدفن ولم يقطع رأسه ووجده ذلك الملك معصّباً بالعصابة التي عصّبه بها الحسين فطمع بها فحلّها ليأخذها تبرّكاً بها فانبعث الدم من جبينه فخاف ذلك الملك فشدّها وخرج من القبر وصنع على قبره صندوقاً.

مالك بن النسر لمّا شهر سيفه وضرب الحسين عليه السلام على أُمّ رأسه، وكان على رأسه برنس فامتلأ البرنس دماً، فقال له الحسين عليه السلام: لا أكلت بيمينك ولا شربت بها:

ولقد غشوه فضارب ومفرّق　　　سهما إليه وطاعن متقصّد[١]

(١) ويروىٰ أنّ الحسين عليه السلام عصّب جبينه بمنديل كان عنده وبعد ذلك أقبلت عشيرته ووارته حيث قبره الآن، أسفي عليك يا أبا عبدالله مَن الذين عصَّب جبينك من الذي دفن جثمانك، وفي ذلك يقول الخضري:

(موشّح)

جله اهموم الفواطم مجله القتوت　　　ورج الغاضريه او حامي البيوت
وعگب ما شافت امن امذهبه الموت　　　طاح او فيض دمّه اعله الثر يسيل
اجاه احسين مثل الليث يهدر　　　ينادي ودمع عينه عليه يحدر
أُمّك ما خطت من سمّتك حر　　　مسح عنّه التراب ومدمعه ايسيل
او من ناده الرجس يا خيلنه او صاح　　　عمامه ابغيض سلّت بيض الصفاح
ابذيج الخيل نادت كل بني رياح　　　عميد الحر عجب ينداس بالخيل
على خشوم الزلم رغماً نشيله　　　وكل مچتول تنهضله جبيله
تسل بيض السيوف وتعتنيله　　　لعند المعركة ولجثته اتشيل
العيره شالته ابحرّ الظهيره　　　الكل منهم عليه شالته الغيره
بس ظلّوا الما عدهم عشيره　　　ضحايا على الثرى من غير تغسيل

(تخميس)

كان يستسقى به غيثُ السما　　　فقضى روحي فداه بالضما
وبخيل الكفر عدواً حُطما
غسّلوه بدم الطعن وما　　　كفّنوه غير بوغاء الثرىٰ

المطلب السادس والثلاثون

في نصيحة كامل لابن سعد لعنه الله

لمّا وافى الحسين عليه السلام ومعه الحرّ إلى كربلاء، فإذا هم براكب على نجيب له، وعليه السلاح متنكّباً قوساً، مقبلاً عليه، فوقفوا جميعاً ينتظرونه، فلمّا انتهى إليهم سلّم على الحرّ ولم يسلّم على الحسين عليه السلام، ثم أخرج كتاباً من ابن زياد ودفعه إلى الحرّ، وإذا فيه:

أمّا بعد... فجعجع بالحسين، ولا تنزله إلّا بالعراء، في غير حصن وعلى غير ماء، وقد أمرت رسولي أن يلزمك ولا يفارقك حتى يأتيني بإنفاذك أمري.

وكان مع الحسين عليه السلام يزيد بن المهاجر الكندي[1]، فجاء إلى رسول ابن زياد فعرفه فقال له: ثكلتك أُمّك، بماذا جئت؟ قال: أطعت إمامي ووفيت ببيعتي؛ فقال له ابن المهاجر: بل عصيت ربّك، وأطعت إمامك في هلاك نفسك، وكسبت النار والعار، وبئس الإمام إمامك، كما قال عزّ من قائل: ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إلى

---

(١) هو يزيد بن زياد بن المهاجر الكندي، أبو الشعثاء البهدلي، من بني بهدلة، كان رجلاً شريفاً شجاعاً فاتكاً، وبهدلة حي من كندة، وقد جاء ذكره في زيارة الناحية المقدسة والتسليم عليه، استشهد رضي الله عنه مبارزاً.
انظر ذخيرة الدارين: ٢٣٩.

النَّار وَيَوْمَ القيامةِ لا يُنْصَرون ﴾ فإمامك هذا منهم.

قال: ونزل الحسين عليه السلام في كربلاء على غير ماء ولا كلاء، فقال زهير بن القين البجلي: يابن رسول الله إنّ قتال هؤلاء القوم الساعة أهون علينا من قتال من يأتينا من بعدهم، فقال عليه السلام: ما كنت لأبدئهم بالقتال.

قال: ولمّا بلغ ابن زياد نزول الحسين كربلاء صعد على المنبر وخطب الناس، وأمرهم بالخروج إلى حرب الحسين، ووفّر لهم العطاء، وكان عدّتهم سبعين ألف، وأراد أن يؤمّر عليه أميراً فدعى ابن سعد وقال له: أُريد أن أُؤمّرك على هذا الجيش، وأن تتولّى قتل الحسين ولك ولاية الري، فقال له ابن سعد: أمهلني حتى أراجع نفسي.

ثم انصرف إلى منزله متفكراً، فاستشار رجلاً يقال له (كامل) ـ وكان صديقاً لأبيه سعد، وكان على اسمه كاملاً ـ فقال له: ويلك يابن سعد تريد أن تقتل الحسين ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ؟! أُف لك ولدينك، أسفهت الحق وضللت الهدى ؟! أما تعلم إلى حرب من تخرج ولمن تقاتل ؟! والله لو أعطيت الدنيا على أن أقتل رجلاً واحداً من أُمّة محمّد صلى الله عليه وآله وسلم ما فعلت، فكيف وأنت تريد أن تقتل ريحانة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وما الذي تقوله لرسول الله إذا وردت عليه يوم القيامة وقد قتلت سبطه ؟ وإنّي أُقسم بالله لئن حاربته أو قاتلته أو أعنت عليه لا تلبث في الدنيا إلّا القليل ؛ فقال ابن سعد: أفبالموت تخوّفني !! وإنّي إذا فرغت من قتله أكون أميراً على سبعين ألف وأتولّى ملك الري. فقال له كامل: إذاً أُحدّثك بحديث، فقال ابن سعد: قل حتى أسمع. قال: اعلم أنّي سافرت مع أبيك سعد إلى الشام فانقطعت عن أصحابي في الطريق وعطشت عطشاً شديداً، فلاح لي دير راهب

فملت إليه وأتيت إلى باب الدير، فقال لي الراهب: ما تريد يا هذا؟ قلت له: إنّي عطشان، فقال لي: أنت من أُمّة محمّد الذين يقتلون بعضهم بعضاً على حب الدنيا. فقلت له: أنا من الأُمّة المرحومة أُمّة محمّد؛ فقال: إنّكم لشرّ أُمّة، فالويل لكم يوم القيامة، وإنّكم لتقتلون ابن بنت نبيّكم، وإنّ قاتله لعين أهل السماوات والأرض، إعلم يا هذا وإنّ قاتله لا يلبث بعده إلّا قليلاً؛ قال كامل: فقلت إنّي أُعيذ نفسي من أن أكون ممّن يقاتل ابن بنت رسول الله ﷺ؛ فقال لي: إن لم تكن أنت وإلّا فرجل قريب منك؛ ثم ردم الباب في وجهي ودخل الدير فركبت فرسي ولحقت بأصحابي.

[وحدّثت أباك بما جرى بيني وبين الراهب من الكلام]، فقا لي أبوك سعد: صدقت وأنا مررت بالراهب قبلك فقال لي من ولدك من يقتل ابن بنت رسول الله ﷺ، فاحذر يا عمر ودع عنك هذا الأمر فإنّه خير لآخرتك ودنياك.

قال: فبلغ الخبر إلى ابن زياد فاستدعى كاملاً فقطع لسانه، وعاش يوماً أو بعض يوم ثم مات ﵀.

قال: وجعل ابن سعد يفكّر في ولاية الري أو الخروج إلى حرب الحسين فصمَّم رأيه على أن يخرج إلى حرب الحسين وأنشأ يقول:

فوالله لا أدري وإنّي لحائر	أُفكّر في أمري على خطرين
أأترك ملك الري والريّ منيتي	أم أرجع مأثوماً بقتل حسين
حسين ابن عمّي والحوادث جمّة	لعمري ولي في الريّ قرّة عين
وإنّ إله العرش يغفر زلّتي	ولو كنت فيها أظلم الثقلين
ألا إنّما الدنيا لخير معجّل	وما عاقل باع الوجود بدين

يقولون إنّ الله خالق جنّة ونار وتعذيب وغلّ يدين
فإن صدقوا فيما يقولون إنّني أتوب إلى الرحمن من سنتين
وإن كذّبوا فزنا بدنياً عظيمة وملك عقيم دائم الحجلين

قال: فأجابه القائل:

ألا أيها النغل الذي ليس مثله ويمضي من الدنيا بقتلة شين
إذا أنت قاتلت الحسين بن فاطم وأنت تراه أشرف الثقلين
فلا تحسبنّ الري يا أخسر الورى تفوز به من بعد قتل حسين

قال الراوي: فما لبث أن خرج إلى حرب الحسين عليه السلام وكان أول رام بسهم على حرم الحسين، فإنّه خرج من الخيمة بيده القوس فقال: اشهدوا لي عند الأمير فأنا أوّل رام. ثم رمى السهم نحو الحسين ورمت أصحابه حتى صارت السهام كالمطر، وأنفذ اللعين أوامر ابن مرجانة بالحسين، منها: أنّه كتب له امنعه عن شرب الماء هو وأصحابه وعياله وأطفاله، فمنعهم ذلك.

ومنها: كتب إليه بعد قتله احرق مضاربه ومضارب من معه، فحرقها.

ومنها: كتب إليه إذا قتلت حسيناً فأوطىء الخيل صدره وظهره وما أظنّ أنّ هذا يضرّ به بعد القتل شيئاً، ولكن على قول قد قلته فصنع اللعين ذلك.

والذي زاده هو من نفسه أنّه لمّا صرع الحسين عليه السلام وأقبلوا على سلبه وسلبوه حتى تركوه عُرياناً، فأخذ ابن سعد درعه ولبسها ودخل على حرمه، فلمّا رأينه وقد لبس درع الحسين عليه السلام صحن: وا حسينا... وخرجت زينب من الخيمة واضعة عشر أصابعها على رأسها، تنادي: وا جدّاه وا محمّدا... يا جدّ هذا حسينك

بالعرا محزوز الرأس من القفا مسلوب العمامة والردا[1].

---

(١) (نصاري)

يجدّي اگعد او شوف ابـنك رمـيّه	خذوا راسه او جسمه اعلى الوطيّه
عـليه اتـجول گـامت خـيل امـيّه	او لا ظـل بـيه مـفصل مـا تـهشّم

(دكسن)

يجدّي شـوف أصـاويب البـصدره	تسـع مـيّه والف طـعنه وطـبره
غــير اللـي تـعدّى الخـرز ظـهره	شبچ فـوگه او لعـند الخـرز فـصّم

(ابوذيّه)

لتـوالي العـمر ذاخـرتك وريـداك	عفتني وذبـل يـبن أُمّـي وريـداك
عسى سيف الگطع بالطف وريداك	گـطع مـنّي الوريـد وعـمل بـيّه

(تخميس)

أخي ذا فـؤادي سـقيمٌ جـريح	وجفني عليك ابن أُمّـي قـريح

ولم لا وأنت عفيرٌ طريح

أخي هُدَّ ركني وصبري استبيح	وبُــدّد شـملي فـلم يُـجمع

المطلب السادس والثلاثون

في اجتماع الحسين عليه السلام مع ابن سعد

لمّا وافى ابن سعد كربلاء وضرب أبنيته أرسل إليه الحسين عليه السلام «إنّي أُريد أن ألقاك». فامتثل لأمر الحسين عليه السلام واجتمعا ليلاً، وتناجيا طويلاً، وكان الحسين عليه السلام معه ولده علي الأكبر، وابن سعد معه ولده حفص، ثم رجع الحسين عليه السلام إلى خيمته، وإنّ ابن سعد دعا بدوات وبيضا وكتب إلى زياد كتاباً يقول فيه:

«أمّا بعد... فإنّ الله أطفأ الثائرة وجمع الكلمة، وأصلح أمر الأُمّة، وهذا الحسين بن علي عليه السلام قد أعطاني عهداً، أن يرجع إلى المكان الذي أتى منه أو أن يسير إلى ثغر من الثغور، فيكون رجلاً من المسلمين له ما لهم وعليه ما عليهم أو أن يأتي أميرالمؤمنين يزيد فيرى رأيه فيه».

فلما ورد الكتاب إلى ابن زياد قال: هذا الكتاب ناصح مشفق؛ فقال الشمر: أتقبل هذا منه وقد حلّ بأرضك، فوالله لئن رحل من بلادئك ليكونن أولى بالقوّة ولتكوننّ أولى بالضعف، فلا تعطه هذه المنزلة فإنّها من الوهن، ولكن فلينزل على حكمك؛ فقال ابن زياد: الرأي رأيك، اخرج بهذا الكتاب إلى ابن سعد

فليعرض على الحسين النزول على حكمي فإن فعل فليبعث إليَّ به وبأصحابه سلما، وإن هم أبوا فليقاتلهم، فإن فعل فاسمع له وأطع وإن أبى فأنت أمير الجيش.

ثم كتب إلى ابن سعد:

«أمّا بعد... فإنّي لم أبعثك إلى الحسين لتمنّيه السلام أو البقاء، ولا لتكون له عندي شفيعاً، انظر فإن نزل الحسين على حكمي ابعث إليّ به وبأصحابه سلما، وإن أبى فقاتله، وإن قتلت حسيناً فأوطىء الخيل صدره، ولا أرى الله أنّ هذا يضرّ بعد القتل شيئاً ولكن على قول قد قلته».

قال الراوي: فجاء الشمر بكتاب ابن زياد إلى كربلاء وعرضه على ابن سعد، فلمّا [نظر في الكتاب] قال له: مالك... ويلك يابن ذي الجوشن لا قرّب الله دارك، وقبّح الله ما قدمت به، والله لأظنّك أنت الذي نهيته عمّا كتبت به إليه، والله إنّ الحسين لا يبايع وإنّ نفس أبيه لبين جنبيه.

قال الراوي: ثم ضيّق على الحسين وقسّم الجيش، وجعل على المسنّاة أربعة آلاف وأمرهم أن يمنعوا الحسين وأصحابه من حمل الماء، وكتب الكتائب، فلمّا رأى الحسين عليه السلام ذلك جلس في خيمته يصلح سيفه وهو يقول:

يا دهر أُفٍّ لك من خليل كم لك بالإشراق والأصيل

من طالب بحقّه قتيل والدهر لا يقنع بالبديل

وكلّ حيٍّ سالك سبيل ما أقرب الوعد من الرحيل

وإنّما الأمر إلى الجليل

وفي رواية عن الإمام زين العابدين عليه السلام: إنّ الحسين عليه السلام قال هذه الأبيات عشيّة اليوم التاسع من المحرم، قال علي بن الحسين عليه السلام:

«إنّي لجالس في تلك الليلة التي قتل أبي في صبيحتها وعندي عمّتي زينب تمرّضني إذ اعتزل أبي في خباء له وعنده جون مولى أبي ذر الغفاري، وهو يعالج سيفه ويصلح وأبي ينشد هذه الأبيات فأعادها مرّتين أو ثلاثاً حتى فهمتها وعرفت ما أراد وخنقتني العبرة فرددتها ولزمت السكوت وعلمت أنّ البلاء قد نزل، وأمّا عمّتي فلمّا سمعت وهي امرأة ومن شأن النساء الرقّة والجزع لم تملك نفسها دون أن وثبت تجرّ ثوبها حتى انتهت إليه ونادت: وا ثكلاه... وليت الموت أعدمني الحياة... اليوم ماتت أُمّي فاطمة وأبي علي وأخي الحسن، يا خليفة الماضين وثمال الباقين. فنظر إليها الحسين عليه السلام وقال لها: «يا أختاه لا يذهبنّ بحلمك الشيطان». فقالت: أخي نفسي لك الفداء، فردّت عليه غصّته وترقرقت عيناه بالدموع ثم قال: «لو ترك القطا ليلاً لنام»، فقالت: يا ويلتاه أفتغصب نفسك اغتصاباً؟ فذلك أقرح لقلبي وأشد على نفسي..، ثم لطمت وجهها وأومت إلى جيبها فشقّته وخرجت مغشياً عليها، فقام إليها الحسين عليه السلام وصبّ على وجهها الماء حتى أفاقت فقال لها الحسين: «يا أُختاه تعزّي بعزاء الله، فإنّ سكّان السماوات يفنون، وأهل الأرض كلّهم يموتون، وجميع البرية يهلكون، وكل شيء هالك إلّا وجهه الذي خلق الخلق بقدرته، ويبعث الخلق ويعيدهم وهو فرد وحده، جدّي خير منّي وأبي خير منّي وأخي خير منّي، ولي ولكم ولكلّ مسلم برسول الله أُسوة، ثم قال لها: يا أُختاه إنّي أقسمت عليك فأبرّي قسمي، ولا تشقّي

عليَّ جيباً، ولا تخمشي عليَّ وجهاً، ولا تدعي عليَّ بالويل والثبور».

أخت يا زينب أوصيك وصـايا فـاسمعي إنّني فـي هـذه الأرض مـلاق مـصرعي

واصبري فالصبر من شيم كـرام المـفزع كـلّ حـيّ سـينجّيه عـن الأحـياء حـين

واجمعي شمل اليتامى بعد فقدي وانظمي اطعمي من جاع منهم ثم روّي من ظـمي

واعـلمي أنّـي فـي حـفظهم طـلّ دمـي ليـتني بـينهم كـالبدر بـين الفـرقدين

قال الراوي: ولمّا سكنت خرج الحسين عليه السلام من الخيمة وجمع أصحابه ثم خطبهم وقال:

«اللّهمَّ أحمدك على ما أكرمتنا بالنبوّة، وعلّمتنا القرآن، وفـقّهتنا بـالدين، فاجعلنا من الشاكرين ـ ثم قال ـ: أصحابي انطلقوا أنتم في حلٍّ منّي، وإنّ القوم لا يريدون إلّا قتلي». فقالوا له إخوته وأولاد عمّه: لم نفعل ذلك، أتحب أن نـبقى بعدك عاراً في الناس؟ لا أرانا الله ذلك أبا عبدالله...، وبدأهم بذلك العباس بـن علي، ثم التفت الحسين عليه السلام إلى بني عقيل وقال:

«يا بني عقيل... حسبكم من القتل بمسلم، فاذهبوا أنتم فـي حـلٍّ مـنّي». فقالوا: يا سبحان الله!! ما نقول للناس وما يقولون لنا لو نترك سيّدنا وبنو عمومتنا ولم نرم معهم بسهم ونطعن معهم برمح ولم نضرب معهم بسـيف، لا والله لا نفعل ذلك نفديك بأنفسنا ونقتل دونك حتى نرد موردك، قبّح الله العيش بعدك أبا عبدالله.

وتكلّمت أصحابه، قالوا: أبا عبدالله.. نحن نخلّي عنك؟ وبماذا نعتذر إلى الله في أداء حقّك؟ لا والله لا نفارقك حتى نطعن في صدورهم رماحنا ونقاتلهم

بأسيافنا.

أقول: بيّض الله وجوههم، لقد بذلوا مهجهم دون أبي عبدالله الحسين عليه السلام ولله درّ من قال:

جادوا بأنفسهم عن نفس سيّدهم ... والجود بالنفس أقصى غاية الجود(١)

---

(١) (نصاري)

اطربوا عالمنايه او غدوا يحدون ... او دون ابنات وحي الله يحامون
لمن طاحوا ضحايا ابخطة الكون ... او عليهم بالشهادة الباري أنعم
غدوا هذا اعلى حرّ الگاع مطروح ... او ذاك ايعالج او دم منحره ايفوح
وهذا امن الطعن ما بگت بي روح ... او ذاك من الطبر جسمه تخذّم
تعنّه احسين واوچب بالمعاره ... لگال امطرحه او دمعها ايتجاره
صفگ بيده او تلهّف على انصاره ... او عليهم دمع عينه انحدر واسجم

(ابوذيّه)

يحگ لي انصب على أهل المجد ماتم ... بدر تم بالبلوغ او بدر ما تم
عجيد اصياح منهم أبد ما تم ... بس اديارهم أمست خليّه

* * *

أحبّاي لو غير الحمامِ أصابكم ... عتبتُ ولكن ما على الموت معتبُ

المطلب السابع والثلاثون

في ما صدر في ليلة العاشر من المحرم

لمّا كانت الليلة العاشرة من المحرم جمع الحسين عليه السلام أصحابه عند المساء، قال علي بن الحسين عليه السلام: فدنوت منه لأسمع ما يقول لهم، وأنا إذ ذاك مريض، فسمعت أبي يقول لأصحابه:

«أثني على الله أحسن الثناء وأحمده على السرّاء والضرّاء، اللّهمَّ إنّي أحمدك على ما كرّمتنا بالنبوّة، وعلّمتنا القرآن، وفقّهتنا في الدين، وجعلت لنا أسماعاً وأبصاراً وأفئدة، فاجعلنا من الشاكرين، أمّا بعد... فإنّي لا أعلم أصحاباً أوفىٰ ولا خيراً من أصحابي، وأهل بيت أبرّ ولا أوصل من أهل بيتي، فجزاكم الله عنّي خيراً، ألا وإنّي أظنّ أنّ يوماً لنا من هؤلاء القوم، ألا وإنّي قد أذنت لكم فانطلقوا جميعاً، أنتم في حلّ منّي ليس عليكم منّي ذمام، وهذا الليل قد غشيكم فاتّخذوه جملاً، وليأخذ كلّ واحد منكم بيد رجل من أهل بيتي، وتفرّقوا في سواد هذا الليل، ودعوني وهؤلاء القوم، فإنّهم لا يريدون غيري». فقالوا له إخوته وأبناءه وبنو أخيه وأبناء عبدالله بن جعفر: ولم تفعل ذلك لنبقي بعدك؟ لا أرانا الله ذلك أبداً.

فبدأهم بهذا القول العباس بن علي وأتبعه الجماعة عليه فتكلّموا بمثل هذا، ثم نظر إلى بني عقيل فقال: «حسبكم من القتل بمسلم، إذهبوا فقد أذنت لكم».

فقالوا: يا سبحان الله، فما يقول الناس لنا؟ وماذا نقول لهم؟ إنّا تركنا شيخنا وسيّدنا وبني عمومتنا خير الأعمام، ولم نرم معهم بسهم، ولم نطعن معهم برمح، ولم نضرب معهم بسيف، ولا ندري ما صنعوا، لا والله لا نفعل ذلك ولكنّا نفديك بأنفسنا وأموالنا وأهالينا.

وقام إليه مسلم بن عوسجة الأسدي فقال: أنحن نخلّي عنك وقد أحاط بك هذا العدو؟! وبماذا نعتذر إلى الله في أداء حقّك؟ لا والله... لا يراني الله أبداً وأنا أفعل ذلك حتى أكسر في صدورهم رمحي، وأضاربهم بسيفي ما ثبت قائمه بيدي، ولو لم يكن معي سلاح أُقاتلهم به أقذفهم بالحجارة ولا أُفارقك أو أموت معك.

وقام سعيد بن عبدالله الحنفي فقال: لا والله يابن رسول الله لا نخلّيك أبداً حتى يعلم الله أنّا قد حفظنا فيك وصيّة رسوله محمّد ﷺ، والله لو علمت أنّي أُقتل فيك ثم أحيا ثم أُحرق حيّاً ثم أُذري ويفعل بي ذلك سبعين مرّة ما فارقتك حتى ألقى حمامي دونك، وكيف لا أفعل ذلك؟ وإنّما هي قتلة واحدة ثم أنال الكرامة التي لا انقضاء لها أبداً.

وقام زهير بن القين وقال: والله يابن رسول الله لوددت أنّي قُتلت ثم نُشرت ألف مرّة، وإنّ الله يدفع بذلك القتل عن نفسك وعن أنفس هؤلاء الفتيان من إخوتك وولدك وأهل بيتك.

وتكلّم جماعة من أصحابه بكلام يشبه بعضه بعضاً وقالوا: أنفسنا لك الفداء، نقيك بأبداننا وأنفسنا، فإذا نحن قتلنا بين يديك نكون قد وفينا لربّنا وقضينا ما علينا.

وكان من جملة أصحابه وهب بن عبدالله الكلبي، وكان رجلاً نصرانياً نازلاً على بئر أُم عمير بالكوفة، ولمّا بعث ابن زياد الجيوش إلى حرب الحسين عليه السلام

جعل يسأل العسكر: إلى أين ماضين؟ فيقولون له: إلى حرب الحسين؛ فسألهم: ابن من؟ فقالوا له: ابن بنت رسول الله. قال: فجاء هو وأُمّه وزوجته حتى وافوا كربلاء، فجاء إلى الحسين عليه السلام فأسلم هو وأُمّه وزوجته على يد الحسين، ولمّا كان اليوم العاشر من المحرم أراد البراز فأقبلت زوجته تمانعه، فصاحت به أُمّه: بني دع كلامها وانصر ابن بنت رسول الله؛ فتركها وحمل سيفه وأقبل إلى الحسين يستأذنه، فأذن له الحسين فحمل على القوم، فبينما هو يقاتل وإذا زوجته أتت إليه من خلفه وهي تنادي: وهب... قاتل دون الطيّبين آل رسول الله؛ فرجع إليها وقال لها: ويلك الآن كنت تنهيني عن القتال؛ قالت: وهب لا تلمني إنّ واعية الحسين كسرت قلبي، ثم قال لها: ارجعي إلى خدرك، فلم ترجع لأنّها مدهوشة.. أقبل وهب إلى الحسين وقال له: سيدي أرجعها. فجاء إليها الحسين وأرجعها، فحمل وهب على القوم وجعل يقاتل حتى قتل منهم مقتلة عظيمة، فتعطّفوا عليه أعداء الله وقتلوه واحتزّوا راسه ورموا به نحو معسكر الحسين، فأخذته أُمّه ووضعته في حجرها وجعلت تقول: بني وهب بيّض الله وجهك..، وحملت على القوم وجعلت تقول:

أنا عجوز في النسا ضعيفه خاوية بالية نحيفه
أضربكم بضربة عنيفه دون بني فاطمة الشريفه[1]

يقول الراوي: فأصابت رجلين فقتلتهما، نظر الحسين عليه السلام وإذا بامرأة تقاتل فعندها أقبل إليها وقال لها: يا أُم وهب ارجعي إلى الخدر.

كتب القتل والقتال علينا وعلى المحصنات جرّ الذيول

---

(١) توضيح ذكر صاحب الإبصار أنّ صاحبة الرجز هي أُم عمرو بن جنادة وإنّ أُم وهب قتلها رستم غلام الشمر بعمود والله أعلم.

أقول: سيدي أبا عبدالله أشفقت على امرأة عجوز برزت بين العساكر!! إذاً كيف حالك وما كنت صانعاً لو نظرت إلى حال مخدّراتك وقد أحاط بهنَّ العدو من كلّ جانب ومكان، وهنَّ يلذن ببعضهنّ وقد أشعلوا النار في خدورهنّ فخرجن من الخدور ناشرات الشعور مشقّقات الجيوب.

لقد فزعت من هجمة الخيل ولَّهاً إلى ابن أبيها وهو فوق الثرى مغف
ونادت عليه حين الفته عارياً على جسمه تسفى صبا الريح ما تسفي[1]

---

(١) (عاشوري)

لمّن لفتها الخيل غاره وعلى المخيّم غدت داره
طلعت تحشّم للمعاره شافت وليها البي نماره
عالگاع دم نحره ايتجاره صاحت يبن حمّاي جاره
گوم الخواتك سوّي چاره ولتها العدى وظلّت حياره

(ابوذيّه)

انگطع بت گلبي من الحزن والتل على الهامت ابذاك الشعب والتل
گوم احمي الحرم يحسين والتل جبتها ابشيمتك للغاضريه

(تخميس)

أخي يا تاج عزّي وافتخاري ويا بدر المنير لكلّ ساري
أخي كيف السلوّ وأنت عارِ
أخي لم لا يفارقني اصطباري ومهمّ وكيف لا يعلو نحيبي

المطلب الثامن والثلاثون

في ترجمة حبيب بن مظاهر رحمه الله

ذكر صاحب «إبصار العين» أنّه كان حبيب بن مظاهر الأسدي[1] صحابياً، وقيل: تابعياً، وكان من خواص أميرالمؤمنين عليه السلام، والمقتبسين علومه، فمن علومه ما رواه الكشّي، قال: مرّ ميثم التمّار[2] على فرسٍ له فاستقبله حبيب بن مظاهر عند

---

(١) في إبصار العين: حبيب بن مظهر؛ قال أهل السير: إنّ حبيباً نزل الكوفة وصحب علياً في حروبه كلّها، وكان من خاصّته وحملة علومه.
انظر: إبصار العين: ٥٦، وتاريخ من دفن في العراق من الصحابة.

(٢) ميثم التمار: كان من حواري أميرالمؤمنين عليه السلام، وقد أطلعه على علوم جمة وأسرار خفية، فكان ميثم يحدّث ببعض ذلك، فمنه ما يروى عن أبي خالد التمار قال: كنت مع ميثم التمار بالفرات يوم الجمعة، فهبّت ريح وهو في سفينة من سفن الرمّان، قال: فخرج ونظر إلى الريح وقال: شدّوا برأس سفينتكم، إنّ هذا الريح عاصف مات معاوية الساعة، قال: ولمّا كانت الجمعة القادمة وقدم البريد من الشام فلقيته واستخبرته وقلت له: يا عبدالله ما الخبر؟ قال: الناس على أحسن حال، هلك معاوية وبايع الناس يزيداً. قلت: أي يوم هلك؟ قال: يوم الجمعة.
وروى المفيد قال: كان ميثم التمار عبداً لامرأة من بني أسد فاشتراه أميرالمؤمنين عليه السلام وأعتقه وقال: اسمك؟ فقال: سالم، فقال عليه السلام: أخبرني حبيبي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إنّ اسمك الذي أسماك به أبوك ميثم. قال: صدق رسول الله وصدقت يا أميرالمؤمنين والله إنّه لإسمي؛ ←

مجلس بني أسد، فتحادثا حتى اختلفت أعناق فرسيهما، فقال حبيب: لكأنّي بشيخ أصلع ضخم البطن يبيع البطّيخ عند سوق الطعام يصلب في حبّ آل بيت نبيّه وتبقر بطنه على الخشبة؛ وقال ميثم: وإنّي لأعرف رجلاً أحمر له ضفيرتان يخرج إلى نصرة ابن بنت نبيّه فيقتل بين يديه ويجال برأسه في الكوفة معلّق بلبان الفرس؛ فضحكا وافترقا. قال أهل المجلس: ما رأينا أحد أكذب من هذين.

قال الراوي: ولم يفترق أهل المجلس حتى أقبل رشيد الهجري[1]

فقال عليه السلام: ارجع إلى اسمك الذي سمّاك به رسول الله ودع سالماً. فرجع إلى ميثم وكنّى بأبي سالم.

وقال له أميرالمؤمنين عليه السلام يوماً: كيف بك يا ميثم إذا دعاك دعيّ بني امية عبيدالله بن زياد إلى البراءة منّي؟ قال: فقلت: يا أميرالمؤمنين والله لا أبرء منك؛ قال عليه السلام: إذاً والله يقتلك ويصلبك، قلت: أصبر فذاك في الله قليل. فقال: إذاً تكون معي في درجتي.

وحج ميثم في السنة التي قتل فيها، ولمّا رجع قبضه ابن زياد وحبسه مع المختار بن أبي عبيدة الثقفي، ثم أخرجه وصلبه على خشبة حول باب عمرو بن حريث فجعل ميثم يحدّث بفضائل أميرالمؤمنين، فقيل لابن زياد: قد فضحكم هذا العبد، قال: ألجموه، فكان ميثم أول من أُلجم في الإسلام، ولمّا كان اليوم الثامن طعن بالحربة ثم انبعث في آخر النهار فمه وأنفه دماً ومات رضي الله عنه، كان قتله بعد شهادة مسلم بأيام قليلة، قال: وبقي مصلوباً حتى اجتمعوا سبعة من التمارين وسرقوا جثّته، وجاءوا به إلى فيض ماء في مراد فدفنوه، ورموا الخشبة في خربة هناك.. انظر: رجال الكشّي: ٨٠/١٣٥ و٨٣/١٣٩.

١) كان رشيد الهجري من رجال أميرالمؤمنين عليه السلام، ومن أعيان الشيعة المشهورين، وكان أميرالمؤمنين عليه السلام يسمّيه رشيد المنايا، وعلّمه أميرالمؤمنين علم المنايا والبلايا، كان يقول: فلان يموت بموتة كذا وكذا، وفلان يقتل بقتلة كذا وكذا.

روى الشيخ الكشّي رحمه الله في رجاله عن أبي حيان البجلي، عن قنواء بنت رشيد الهجري رحمه الله، قال: قلت لها: أخبريني بما سمعت من أبيك، قالت: سمعت أبي يقول: أخبرني مولاي أميرالمؤمنين عليه السلام قال: يا رشيد كيف صبرك إذا أرسل إليك دعيّ بني امية فقطع يديك

فطلبهما، فقالوا: له: افترقا وسمعناهما يقولان كذا وكذا، فقال رشيد: رحم الله ميثماً، نسي ويزاد في عطاء الذي يجيء بالرأس مائة درهم، ثم أدبر.. فقال القوم: هذا والله أكذبهم.

فقال القوم: والله ما ذهبت الأيام والليالي حتى رأينا ميثماً مصلوباً على باب عمرو بن حريث، وكذلك قتل حبيب بن مظاهر مع الحسين عليه السلام وجيء برأسه، ورأينا كلّما قالوه[1].

وذكر أهل السير: إنّ حبيب بن مظاهر كان ممّن كاتب الحسين عليه السلام وحبّذ له القدوم إلى الكوفة، وكان رضي الله عنه هو ومسلم بن عوسجة يأخذان البيعة للحسين في الكوفة، حتى إذا دخل عبيدالله بن زياد الكوفة وخذل أهلها عن مسلم بن عقيل أخفوهما عشايرهما، ولمّا ورد الحسين عليه السلام كربلاء خرجا إليه مختفيين يسيران الليل ويكمنان النهار حتى وصلا إليه ليلة السابعة أو الثامنة من المحرم.

وذكر صاحب «أسرار الشهادة»: أنّه لمّا نزل الحسين عليه السلام كربلاء عقد اثني

ورجليك ولسانك؟ فقلت: يا أميرالمؤمنين آخر ذلك إلى الجنّة؟ فقال عليه السلام: يا رشيد أنت معي في الدنيا والآخرة.

قالت: فوالله ما ذهبت الأيام والليالي حتى أرسل إليه عبيدالله بن زياد فدعاه إلى البراءة من أميرالمؤمنين عليه السلام فأبى أن يتبرّأ منه، فقال له الدعيّ: فأيّ ميتة قال لك مولاك تموت؟ فقال: أخبرني خليلي إنّك تدعوني إلى البراءة منه فلا أتبرّأ، فتقدمني فتقطع يدي ورجلي ولساني، فقال: والله لأكذبنّ قوله فيك. قالت: فقدّموه وأمر به فقطعت يديه ورجليه وترك لسانه، فحملت أطراف يديه ورجليه فقلت له: يا أبتاه هل تجد ألماً أصابك؟ فقال: لا يا بنيّة إلّا كالزحام بين الناس، فلمّا احتملناه وأخرجناه من القصر اجتمع الناس حوله، فقال: ائتوني بصحيفة ودواة أملي لكم ما يكون إلى يوم الساعة! فأرسل إليه الحجام فقطع لسانه، فمات في ليلته رحمة الله عليه، انتهى. انظر رجال الكشّي: ١٣١/٧٥.

(١) رجال الكشّي: ١٣٣/٧٨.

عشر راية وقسّمها على أصحابه، فبقيت في يده راية واحدة فأقبل إليه رجل من أصحابه فقال له: سيّدي سلّمني هذه الراية، فقال له الحسين عليه السلام: أنت نعم الرجل ولكن لهذه الراية رجلاً يركّزها في صدور القوم وهو يعرفني حقّ المعرفة وسأكتب إليه كتاباً يأتي إنشاء الله تعالى؛ فقال له: سيّدي ومن تعني بذلك؟ فقال له عليه السلام: أعني حبيب بن مظاهر الأسدي، فقال: إنّه لكفؤ كريم.

قال الراوي: ثم دعا الحسين عليه السلام بدوات وبياض وكتب إليه كتاباً يقول فيه:

بسم الله الرحمن الرحيم

من الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام...

إلى أخيه النجيب حبيب...

أمّا بعد... يا حبيب فقد نزلنا كربلاء وقد بانت من أهل الكوفة الخيانة كما خانوا بأبي سابقاً، وبأخي لاحقاً، فإن كنت يا حبيب تروم أن تحظى بالسعادة الأبدية فبادر إلى نصرتنا والسلام.

ثم ختم الكتاب بخاتمه الشريف ودفعه إلى رجل من أصحابه فأقبل به يجد السير حتى دخل الكوفة، وكان حبيب حينئذ قد قدّمت إليه زوجته طعاماً يتغذّى به وهي واقفة على رأسه تروّح له، فبينا هو يأكل تغيّر لونه، فقالت له زوجته: ما لي أراك كففت عن الأكل وتغيّرت؟! فسكت ﵁، ثم قالت: إن صدق ظنّي الآن يأتيك رسول من الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام، فبينا هما بالكلام وإذا بالباب تطرق فقام حبيب وفتح الباب، وإذا برسول الحسين عليه السلام سلّم فردّ عليه السلام ثم قال: الله الله صدقت الحرّة بمقالتها، ثم دخل الرسول إلى الدار وأخرج الكتاب وسلّمه إلى حبيب.

فضّه وقرأه، ولمّا علم بما فيه جرت دموعه على شيبته ووضع الكتاب على عينيه وعلى رأسه وقال: أفديه بنفسي وأهلي وولدي، ثم قال للرسول: أبلغ سيّدي عنّي السلام وقل له يأتي خلفي إنشاء الله.

ثم خرج الرسول من عنده فجاءت إليه زوجته وقالت له: يا أبا القاسم سمعت كلمات حدّثك به الرسول، فقال حبيب: اسكتي لا يشعر بسرّنا أحد، فقالت له: كأنّك خائف أن أُخبر أحداً، والله يا حبيب إن لم تمض إلى نصرة سيّدي ومولاي الحسين عليه السلام لألبسنّ ملبوس الرجال وأنا أمضي إلى نصرته.

قال الراوي: وكان حبيب في كل يوم يخرج خارج البساتين في زي المتنزّه فالتفت ذلك اليوم إلى عبده وقال له: خذ الجواد وامض به إلى خارج البساتين وانتظرني هناك، فخرج العبد بالجواد فودّع حبيب أهله وأولاده ثم خرج حتى إذا صار قريباً من العبد سمع العبد يخاطب الجواد وهو يقول: والله لإن لم يأت إليك صاحبك ويركبك لأنا أركبك وأمضي إلى نصرة سيّدي ومولاي الحسين.

فلمّا سمع حبيب ما سمع من العبد بكى وقال: بأبي أنت وأُمّي يا أبا عبدالله العبيد تريد نصرتك ومؤازرتك فكيف بنا؟

قال: فجاء إليه حبيب وأخذ منه الجواد وقال له: انطلق أنت حرٌّ لوجه الله، فوقع العبد على قدميه يقبّلهما وهو يقول: سيّدي أيسرّك أن تمضي إلى الجنّة وأنا أمضي إلى النّار؟ لا كان ذلك أبداً بل أمضي معك إلى نصرة سيّدي ومولاي الحسين عليه السلام، فقال له حبيب: امض بارك الله فيك.

قال: فجاء حبيب يجدّ السير ومعه عبده حتى ورد كربلاء في اليوم الثامن من المحرم، وكان الحسين عليه السلام جالساً في خيمته ومعه إخوته وأولاده وأصحابه، إذ التفت إلى أصحابه وقال لهم: هذا حبيب قد أقبل، ثم إنّه لمّا قرب من خيم الحسين عليه السلام نزل من على ظهر جواده إلى الأرض وأقبل يمشي حتى دخل على الحسين عليه السلام ووقع على قدميه يقبّلهما وهو يبكي ويقول: سيّدي لعن الله غادريك.

قال: واستبشر أصحاب الحسين بقدوم حبيب، وكذلك عيالات الحسين استبشرن بقدومه.

(للشيخ قاسم محي الدين رحمه الله):

بنفسي أنصاراً فدوا سبط أحمد وجدّوا بنصر السبط في كلّ مشهد
وفوا حيث وافوا طالبين لنصره وبالعزم كلّ والبسالة مرتدي
وقد آثروا الموت الزؤام ووردِه بنصر ابن هاديها على كل مورد[1]

---

(١)

گام ابنه الوصي البيه الكفايه عدل عسكره او شد الروايه
جسمها اعلى اهلها او بگت رايه ذاخرها لعد ضنوة الطيبين
ذاخرها لعد ذاك المچنّه حبيب اوليه الطارش من تعنّه
طلع ليه ايتلگّه او جذب ونّه يگلّه انته يطارش مگصدك وين
يگلّه او ينحب الطارش على الباب الك گاصد او متعنّي ابهالكتاب
گلّه اسدر او دمع العين سچّاب لبو اليمّه أجي اعلى الراس والعين
هله صاحت حبيب احسين ينخاك أظن بالغاضريّه اليوم يتناك
بالله اعليك اخذني الزينب اوياك اشوفنها وشوف الهاشميين
يگلها الهلچ روحي امودّعه اليوم گطع لرض الطفوف افجوج واحزوم
وصل للطف او شاف الخيل والگوم كلها امدرچله او خيمت صوبين
گصد يبچي او يهل دمعه اعلى خدّه لمخيّم الحسين اوياه عبده
حب ايد الإمام او فاخ وجده هله ابجية حبيب ايصيح لحسين

ولمّا سمعت بذلك مولاتنا زينب عليها السلام قالت: اقرؤه عنّي السلام، ولمّا بلغه ذلك استأذن من الحسين عليه السلام في السلام على بنات الرسالة وقال: السلام عليكنّ يا بنات رسول الله، وعليك السلام يا عم يا حبيب وكأني بها:

(نصاري)

اوصيك يا عمّي بالحسين اولاده واهل بيته قليلين
انا خايفه من هجمة البين على العباس يا عمّي والحسين

(تخميس)

رجالٌ تواصوا حيث طابت أصولهم وأنفسهم بالصبر حتى قضوا صبرا
حماةٌ حموا خدراً أبى الله هتكه فعظّمه شأناً وشرّفه قدرا
فاصبح نهباً للمغاوير بعدهم ومنه بنات المصطفى أبرزت حسرى

المطلب التاسع والثلاثون

في استنصار حبيب بن مظاهر لبني أسد

ذكر صاحب «أسرار الشهادة»: إنّ حبيب بن مظاهر كان ذات يوم بالكوفة واقفاً عند عطّار يشتري صبغاً لكريمته، فمرّ عليه مسلم بن عوسجة فالتفت إليه حبيب وقال له: يا مسلم إنّي أرى أهل الكوفة يجمعون الخيل والرجال والأسلحة فبكى مسلم وقال: صمّموا على قتال ابن بنت رسول الله ﷺ؛ فبكى حبيب ورمى الصبغ من يده وقال: لا والله لا تصبغ هذه إلّا من هذه. وأشار إلى نحره ثم سار حتى وافى كربلاء.

وذكر محمّد بن أبي طالب في مقتله: إنّه لمّا رأى حبيب بن مظاهر كثرة العساكر وتصميمهم على حرب الحسين أقبل إلى الحسين وقال له: سيدي إنّ هاهنا حي من بني أسد أفتأذن لي أن أمضي إليهم وأدعوهم إلى نصرتك؟ فقال له الحسين عليه السلام: بلى امض. فانسلّ حبيب في جوف الليل حتى إذا جاء إلى ذلك الحي اجتمعوا عليه ورحّبوا به، ثم قالوا له: ما حاجتك؟ فقال: إنّي أتيتكم خير ما أتى به وافد على قومه، جئتكم أدعوكم إلى نصرة ابن بنت رسول الله ﷺ، وهذا ابن سعد أحاط به وأنتم عشيرتي أطيعوني تنالوا شرف الدنيا والآخرة، والله لا

يقتل أحد منكم إلّا وكان لمحمّدٍ ﷺ رفيقاً يوم القيامة.

فقام إليه رجل يسمّى عبدالله بن بشير، فقال: يا حبيب أمّا أنا فأوّل من يجيبك إلى هذه الدعوة، وها أنا ماض معك. قال: فتبادروا حتى اجتمعوا تسعون رجلاً وأقبلوا معه يريدوين الحسين عليه السلام.

قال: وخرج رجل من ذلك الحي وأقبل إلى ابن سعد فأخبره، فدعى اللعين بالأزرق الشامي وضمّ إليه خمسمائة فارس ووجّههم معه إلى بني أسد، فاستقبلهم الأزرق ليلاً على شاطىء الفرات، فتصادموا معه بنو أسد سويعة، وصاح به حبيب: ويحك يا أزرق دع يشقى بنا غيرك؛ قال: ولمّا رأوا بنو أسد أن لا طاقة لهم على القوم تراجعوا إلى حيّهم ورحلوا عن منازلهم، وبقي حبيب وحده فرجع إلى الحسين عليه السلام وأخبره بالخبر، فقال الحسين: إنّا لله وإنّا إليه راجعون، وما تشاؤون إلّا أن يشاء الله، ولا حول ولا قوّة إلّا بالله العليّ العظيم.

قال الراوي:

واعترضه علي الأكبر فقال: يا عم حبيب إنّ أهل الكوفة قد تألّبوا لقتال أبي الحسين واستلّوا سيوفهم عليه، ونحن أسرة قليلة لا تنهض بالدفاع عنه ولا عن سلامته، فلو إنّ أبي يسلم ونحن نقتل ما بالينا بالموت، فالله في هذه النسوة والأطفال إذا جنّ عليهم الليل وهم من غير محام ولا كفيل ولا حمى ولا ولي.

فأطرق حبيب رأسه إلى الأرض هنيئة ثم رفع رأسه وقال: ما الذي تريد يابن سيّدنا؟ قال: أُريد منك أن تشير على والدي بالرجوع إلى المدينة.

فقال حبيب: هيهات يابن سيّدنا قد جرى في علم الله ما تحاذر، ولأجل أبيك طلّقنا حلائلنا وفارقنا أهالينا وأعرضنا عن زهرة دنيانا، أمّا عمّك حبيب

فشيخ كبير قد أعرض عنه النعيم الفاني، أفلا تحب أن يرحل إلى النعيم الباقي؟ وما أشوقني أن أكون أول قتيل بين أيديكم ولا أسمع واعيتكم ولا أرى هاشمية تسبى.

فقال علي بن الحسين: أمّا أنت يا عم فقطب رحاها وليث وغاها وأنا إنّما استعلمت خبرك بكلامي معك لأواجه به عمّتي زينب، فإنّها قالت لي: يابن أخي إنّ أباك الحسين خطب أصحابه وأذن لهم بالتفرّق والموت، يابن أخي مُر وكربه مطعمه أفلا تتعرض لعمّك حبيب وترى ما عنده؟ وبقي حبيب على هذا الحال، وكان حبيب بوّاباً على خيمة الحسين عليه السلام وحاملاً لوائه يوم عاشورا.

قال: ولمّا كان اليوم العاشر من المحرم جلس حبيب بإزاء خيمة النساء واضعاً رأسه في حجره يبكي ثم رفع رأسه وقال: آه آه لوجدك يا زينب يوم تحملين على بعير ضالع يطاف بك البلدان ورأس أخيك الحسين أمامك، وكأنّي برأسي هذا معلّق بلبان الفرس تضربه بركبتيها.

فضربت زينب رأسها بعمود الخيمة وقالت: بهذا أخبرني البارحة، لوددت أن أكون عمهاء[1].

ثم جاء حبيب واستأذن الحسين عليه السلام للبراز، فأذن له، فحمل على القوم وهو يقول:

أقسم لو كنّا لكم أعـدادا　　　أو شطركم ولّيتم اكتادا[2]

ثم قاتل القوم فأخذ يحمل فيهم بسيفه وهو يقول:

---

(١) عمهاء: من العَمَه، (انظر لسان العرب ١٣/٥١٩).

(٢) اكتاد جمع كتد وهو مجتمع الكتفين من الإنسان وغيره انتهى.

أنا حبيب وأبي مُظهَّر فارس هيجاء وليث قسور
أنتم أعدّ عدّة وأكثر ونحن أوفىٰ منكم وأصبر
ونحن أعلى حجة وأظهر حقّاً، وأتقى منكم وأعذر

ولم يزل يقاتل حتى قتل من القوم مقتلة عظيمة، فحمل عليه بديل بن صريم العقفاني[1] فضربه بسيفه، وحمل عليه آخر من تميم فطعنه برمحه فوقع إلى الأرض، فذهب ليقوم فضربه الحصين بن تميم على رأسه بالسيف فسقط إلى الأرض، فنزل إليه الحصين فاحتزّ رأسه.

وروى عن أبي مخنف قال: لمّا قتل حبيب هدّ قتله الحسين عليه السلام، فجاء إلى مصرعه وقال: عند الله أحتسب نفسي وحماة أصحابي، إنّا لله وإنّا إليه راجعون، قتل والله أسد من آساد الله، يذبّ عن حرم الله، رحمك الله يا حبيب، لقد كنت شجاعاً فاضلاً تختم القرآن في ليلة واحدة[2].

وفي ذلك يقول الشيخ محمّد السماوي رحمه الله:

إن يهدُّ الحسين قتل حبيب فلقد هدّ قتله كلّ ركن
بطل قد لقى جبال الأعادي من حديد فردّها كالعهن
لا يبالي بالجمع حيث توخّى فهو ينصب كانصباب المزن
أخذ الثار قبل أن يقتلوه سلفاً من منية دونَ منّ
قتلوا منه للحسين حبيباً جامعاً للفعال من كلّ حسن

(فائدة): وإنّما دفنت بنو أسد حبيباً عند رأس الحسين عليه السلام اعتناء به، أو

(١) العقفاني بالعين المهملة والقاف والفاء نسبة إلى عقفان بضمّ العين وهو (حي من خزاعة).
(٢) مقتل أبي مخنف: ١٤٥ ـ ١٤٧.

لكونه كان يوم الطف بوّاباً على خيمة الحسين عليه السلام، وكان لحبيب أولاد ثلاثة: محمّد وعبدالله والقاسم أكبرهم، ولمّا أن سمعت زوجته بقدوم السبايا وأنّهم دخلوا الكوفة دعت ولدها القاسم وقالت له: ولدي إنطلق إلى السبايا وقل لهم إنّ أمّي تقول أبي حبيب بيّض وجوهنا أم لا؟

فأقبل الغلام حتى قرب من السبايا فرأى رأس أبيه معلّق بلبان الفرس، فجعل يصرخ ويبكي، ثم أقبل على الموكل برأس أبيه وقال له: إدفع لي هذا الرأس وأنا أعطيك مقداراً من الدنانير.

فقال اللعين: إنّ جائزة الأمير خير لي. ولمّا قاربوا دار حبيب رفع الغلام حجراً وضرب به رأسه، ودخل على أمّه باكياً يصيح: أمّاه قومي واستقبلي رأس أبي. فخرجت أمّه فلمّا رأت رأس زوجها معلّق بلبان الفرس صاحت: حبيب بيّض الله وجهك كما بيّضت وجهي عند الزهراء عليها السلام.

ويروى إنّ القاسم سأل عن قاتل أبيه فعرّفوه، فجعل يتربّص به الدوائر مدّة من الزمن إلى زمن مصعب بن الزبير، فلمّا غزا مصعب باجميرا[1] جاء القاسم ودخل في معسكر مصعب، فإذا قاتل أبيه في فسطاطه نائماً فجثى القاسم على صدره فانتبه اللعين، فقال له القاسم: أتعرفني من أنا؟ قال: لا، قال: أنا ابن حبيب بن مظاهر، فعرفه، ثم إنّ القاسم احتزّ رأسه وأقبل به حتى دخل على مصعب بن الزبير فوقف أمامه وقال له: إعلم يا أمير ما نامت عيناي منعمة إلى أن أخذت ثاري

---

(١) باجمير بالباء المفردة والجيم المضمومة والميم المفتوحة والياء المثناة والراء المهملة والألف المقصورة موضع من أرض الموصل كان مصعب بن الزبير يعسكر في محاربة عبدالملك بن مروان حين يقصده من الشام أيّام منازعتهما في الخلافة. انظر معجم البلدان: ٣١٤/١.

من قاتل أبي، فقال له: من أنت؟ قال: أنا ابن حبيب بن مظاهر، فشكره ابن الزبير على صنعه وأطلقه.

أقول: أجل ومتى يؤخذ بثار الحسين عليه السلام:

متى ينجلي ليل النوى عن صبحه نرى الشمس فيها طالعتنا من الغرب[1]

---

(١) (موشّح)

بحشاك النوايب خلّفت شطّار والهم جرح دلّالك يراعي الثار
اول جرح كسر الضلع والبسمار ومغيبك يبدر العصر تاليه
متى اتگوم او تجرد السيف من غمده ونشوف المنايه اتلوح ابحدّه
حيدر من سجد ما تمّم السجده وبن ملجم جسم هامته ابماضيه
دلّالك تمرمر لون من مرمر چان انفطر من عظم الصبر وتفطّر
من تذكر امصاب الحسن تتحسّر يالصاحب او من تسمع ابطاريه
مهر احسين انشده امن انچتل يمّه گلّه اشلون بالطف طاح ابو اليمّه
يخبرك من تحنّت گصّته ابدمّه او سدّر يصهل او زادت بواچيه
گلبك خلص من كثر الهضم والهم من خلصوا هلك ما بين چتل او سم
حتى الطفل يوم الطف سبح بالدم يالغايب شله ويالگوم من سيّه
متى يابن الحسن تنهض او يمته اتگوم او تاخذ ثار طفل البسهم مفطوم
يا يوم المبارك يا بدر مخزوم تروي السيف بالدم من بني اميّه

❊ ❊ ❊

ادرك تراتك أيها الموتور فلكم بكل يدٍ دمٍ مهدور
ما صارمٌ إلّا وفي شفراته نحر لآل محمّد منحور

المطلب الأربعون

في ترجمة العباس بن علي بن أبي طالب عليه السلام

ولد العباس بن علي عليه السلام سنة ست وعشرين من الهجرة[1]، وأُمّه أُمّ البنين فاطمة بنت حزام الكلابية، وقد أشار عليه عقيل بأخذها كما رواه السيد الداودي في العمدة، قال:

إنّ أميرالمؤمنين عليه السلام قال لأخيه عقيل ـ وكان نسّابة عارفاً بأخبار العرب وأنسابهم ـ: أُريد منك أن تختار لي امرأة من ذوي البيوت والشجاعة، حتى أُصيب منها ولداً ينصر ولدي الحسين بطفّ كربلاء، فأطرق عقيل برأسه إلى الأرض هنيئة، ثم رفع رأسه وقال له: أخي أين أنت عن فاطمة بنت حزام الكلابية، فإنّه ليس في العرب أشجع من أبنائها[2].

وفي آبائها يقول لبيد للنعمان ملك الحيرة:

نحن بنو أُم البنين الأربعه ... ونحن خيرُ عامر بن صعصعه

الضاربين الهام وسط المعمعه

---

(1) انظر بحار الأنوار: ٤٥.

(2) عمدة الطالب: ٣٥٧ (بتصرف).

فلا ينكر عليه أحد من العرب، ومن قومها مُلاعب الأسنة أبو برآء[١] الّذي لم يُعرف في العرب مثله في الشجاعة، والطفيل بن مالك فارس فرزل[٢]، وابنه عامر بن الطفيل فارس للزنوق[٣].

قال: فتزوّجها أميرالمؤمنين عليه السلام فولدت له أربعة أولاد أنجبت بهم، وأول ما ولدت العباس، وبعده عبدالله، وبعده جعفر، وبعده عثمان[٤]، وعاش العباس مع أبيه أربعة عشر سنة، ومع أخيه الحسن أربعة وعشرين سنة، ومع أخيه الحسين عليه السلام أربعة وثلاثين سنة، وذلك مدّة عمره وكان يلقّب قمر بني هاشم، ويكنّى أبا الفضل، وقال المؤرخين: حضر العباس بن علي بعض حروب أبيه كالجمل وصفّين والنّهروان ولم يقاتل، وكان يقال له السقّا.

يروى أنّ أميرالمؤمنين عليه السلام كان جالساً في المسجد وحوله الحسن والحسين عليهما السلام والعباس، إذ عطش الحسين عليه السلام فقام العباس وهو صبي صغير وجاء إلى أُمّ البنين فقال لها: أمّاه إنّ أخي الحسين عطشان، فقامت فاطمة أُمّ البنين وملئت له الركوة ووضعتها على رأس العباس، فجاء بها إلى المسجد والماء يتصبّب على كتفيه حتى جاء به إلى الحسين، فلمّا رآه أميرالمؤمنين عليه السلام صاح: ولدي عباس أنت ساقي عطاشا كربلا؛ فسمّي عند ذلك السقّاء.

ويقال إنّ أميرالمؤمنين عليه السلام لمّا عمّمه ابن ملجم (لعنه الله) بسيفه وحضرته

---

(١) انظر بطل العلقمي: ١/١٢١.

(٢) اسم فرس له، والفرزل: الضخم، وقيل: القيد، وقيل: المقراض (وهو الذي يقطع به الحدّاد الحديد)؛ والرجل الفرزل: كالقنفذ الضخم. تاج العروس: ٨/٥٧، ولسان العرب: ١١/٥١٨، وانظر ما كتبه الشيخ المظفر في ترجمته في كتاب بطل العلقمي: ١/١١٨.

(٣) اسم فرس له.

(٤) انظر بطل العلقمي: ١/٩١.

الوفاة، جمع أولاده وجعل يوصيهم واحداً بعد واحد، ثم دعى العباس وأوصاه بوصيّة خاصّة، فقال له: «ولدي أباالفضل إذا كان يوم عاشوراء وملكت المشرعة لا تشرب الماء وأخوك الحسين عطشان».

قال: ولمّا كتب ابن سعد إلى ابن زياد كتابه الّذي يقول فيه: «الحمد لله الّذي أطفأ النائرة، وجمع الكلمة، وأصلح أمر الأمّة، وهذا الحسين قد أعطاني عهداً أن يرجع إلى المكان الّذي أتى منه». فقام إليه شمر بن ذي الجوشن وتكلّم بما ذكرنا آنفاً، وكتب إلى ابن سعد يعرض على الحسين عليه السلام النزول على حكمه... إلى آخر الكتاب. فقام إليه عبدالله بن أبي المحل بن حزام بن خالد ـ وكانت عمّته أُمّ البنين ـ فطلب من عبيدالله كتاباً فيه أماناً للعباس وإخوته، فكتب عبيدالله له كتاباً فيه أماناً للعباس وإخوته، وسلّمه إلى الشمر فجاء به إلى كربلاء.

ولمّا كان اليوم التاسع من المحرم ركب جواده وجاء حتى وقف أزاء خيم الحسين عليه السلام، وصاح: أين بنو أختنا، أين العباس وإخوته؟ وكان العباس حينئذ جالساً بين يدي الحسين، فأطرق برأسه حياء من الحسين عليه السلام، فصاح الشمر ثانياً، وثالثاً، فالتفت الحسين إلى أخيه العباس وقال: أخي قم وانظر ما يريد هذا الفاجر؛ فقام العباس وركب جواده وأقبل إليه فقال له: ما تريد يابن ذي الجوشن؟ فقال: هذا كتاب من ابن زياد يذكر فيه إنّك أنت الأمير على هذا الجيش، وأنت وإخوتك آمنون، فلا تعرض نفسك للقتل؛ فقال له العباس: لعنك الله ولعن أمانك، أتؤمنّا وابن رسول الله لا أمان له؟! ويلك أفبالموت تخوّفني؟! وأنا المميت خوّاض المنايا، أأترك من خلقني الله لأجله وأدخل في طاعة اللعناء وأولاد اللعناء؟! ويلك أنا أدعوك إلى الجنة وأنت تدعوني إلى النار؟! يابن ذي الجوشن فاقبل نصيحتي، وكن مع غريب رسول الله ولك عند جدّه الجائزة العظمىٰ.

فلمّا سمع الشمر كلام العباس لوى عنان جواده، ورجع أبوالفضل العباس

يتهدرس كالأسد الغضبان، استقبلته الحوراء زينب وقد سمعت كلامه مع الشمر، قالت له: أخي [أُريدُ] أن أحدّثك بحديث؛ قال: حدّثيني يا زينب، لقد حلا وقت الحديث. قالت: اعلم يابن والدي لمّا ماتت أُمّنا فاطمة قال أبي لأخيه عقيل: أُريد منك أن تختار لي امرأة من ذوي البيوت والشجاعة حتى أُصيب منها ولداً ينصر ولدي الحسين بطفّ كربلاء، وقد ادّخرك أبوك لمثل هذا اليوم، فلا تقصّر يا أباالفضل. فلمّا سمع العباس كلامها تمطّى في ركاب سرجه حتى قطعهما وقال لها: أفي مثل هذا اليوم تشجعيني وأنا ابن أميرالمؤمنين عليه السلام، فلمّا سمعت كلامه سرّت سروراً عظيماً.

بطل إذا ركب المطهّم خلّته	جبلاً أسمّ يخفّ فيه مطهّم
بطل تورّث من أبيه شجاعة	فيها أنوف بني الضلالة ترغم[1]

---

(١)

بالطف صوّل العباس	صولت علي الماصوفه
سل سيفه او صرخ بيها	او كوّر عسكر الكوفه
كوّر كل روايـاها	او عملت بدر راواها
چدسها او تاه منواها	او بالمذهب منـاياها
تموج الخيل خلّاها	او غوجه ايخوض بدماها
الملازم والزلم والخيل	طواها على المردوفه
شبل المرتضى الكرار	صوّل على الخيل او غار
مشهر صارمه البتّار	سم يگطر او يلهب نار
بالطف حارب الكفّار	حرب الماجره او لا صار
أبدك الرمك ثار اغبار	منه الشمس مكسوفه
سم چتّال سل او داي	ما خلّه بصير او راي
صال اعلى الشريعه احماي	صاح العلگمي بحماي

(فائدة): زوجته لبابة بنت عبيدالله بن العباس بن عبدالمطلب، كان له من الأولاد خمسة: عبيدالله والفضل والحسن والقاسم، وبنتاً. وعدّ ابن شهر آشوب في الطف ولد له وهم: محمّد وعبيدالله والفضل أُمّهما لبابة بنت عبيدالله.

⊃

خاضه والگلب حمّاى ذبّه او گال أضوگ الماي
او عبدالله الطفل ظامي او روح السبط ملهوفه
سل سيفه او لگف جوده او رمحه فصم اعجوده
وفده من بحر جوده دون ابن النبي او جوده
ابغفله گطعوا ازنوده او طر هامته ابعاموده
الكندي او جاه ابو السجاد شافه المگطعه اچفوفه
او عينه انطفت والهامه ابذاك العمد مخسوفه
يروحي ويا ضوه اعيوني ناده او صبّن ادموعه
گلّت حيلتي او صبري او عليه اتحنّت اضلوعه

(عاشوري)

تخوصر يم عضيده او صاح اويلي يشمس انهاري او يا بدر ليلي
يبو فاضل يخويه اگطعت حيلي او طود الصبر من بعدك تهدّم

(تخميس)

عباس يا حامي الضعينة والحرم بحماك قد نامت سكينة في الخيم
صرخت ونادت يوم قد سقط العلم
اليوم نامت أعينٌ بك لم تنم وتسهّدت أُخرى وعزَّ منامها

المطلب الواحد والأربعون

في ترجمة العباس بن علي عليهما السلام ومصرعه

قال أهل السير: يروى عن أميرالمؤمنين عليه السلام أنّه قال: «إنّ ولدي العباس زقّ العلم زقّاً»[1].

وذكر المؤرخون: إنّ العباس بن علي كان أعلم أصحاب الحسين عليه السلام يوم عاشوراء، وأضجعهم وأصلبهم إيماناً، وكان بطلاً، فارساً، وسيماً، جسيماً، بين عينيه أثر السجود، وكان إذا ركب الفرس المطهم يخطّان رجلاه في الأرض خطّاً.

وبلغ من شجاعته في كربلاء أنّ عمرو بن خالد الصيداوي، وسعداً مولى حسان بن الحارث، وجمع بن عبيدة العائذي، حملوا على أعدائهم فلمّا وغلوا فيهم عطفوا عليهم واقتطعوهم من أصحابهم وأحاطوا بهم، قال ابن الأثير:

فانتدب لهم العباس بن علي عليه السلام وحده، وحمل على القوم ففرّقهم واستنقذ أصحابه، فلمّا رآهم وكانوا قد جرحوا عدّة جراحات، قويت به قلوبهم فتحاملوا بجراحاتهم وجعلوا يقاتلون القوم حتى رجع العباس إلى موقفه.

ومن صلابة إيمانه أنّه عليه السلام لمّا ضاق صدره [كان] ـ ونظر إلى حالة أخيه الحسين عليه السلام، وحالة أصحابه، وحالة عيالاته ـ ينظر إلى الحسين عليه السلام فيشاهده

---

(١) انظر أسرار الشهادة (للدربندي): ٣٢٤، (الطبعة الحجرية).

حزيناً كئيباً، وينظر أصحاب أخيه فيشاهدهم مجزّرين كالأضاحي، وينظر عيالاته فيشاهدهنَّ يتصارخن من شدّة العطش، سئم الحياة ومنعه إيمانه أن يبرز بلا رخصة من أخيه الحسين عليه السلام، فجاء إلى الحسين عليه السلام وقال له: أخي قد ضاق صدري، وسئمت الحياة، وأُريد أن أطلب بثاري من هؤلاء المنافقين، فهل لي من رخصة؟ فقال الحسين عليه السلام: أجل اطلب لهؤلاء الأطفال قليلاً من الماء؛ فذهب إلى القوم ووعظهم وحذّرهم فما أفاد الوعظ ولا التحذير، رجع إلى الحسين وسمع الأطفال ينادون العطش، أقبل إلى الخيمة ـ ومعه الحسين عليه السلام ـ ليودّع عياله ويأخذ القربة ليملأها لهم من الفرات، وقد كانت زينب قالت لأختها أم كلثوم: أُخيّه في هذا اليوم كلّ فرد من إخوتنا إذا أراد البراز يأتينا إلى المخيّم ويودّعنا، والآن لم يبق من إخوتنا إلّا الحسين والعباس، فإذا جاء إلينا نقسم عليهم بالجلوس فإذا جلسا خذي أنت بطرف رداء العباس وأنا آخذ بطرف رداء الحسين، ولا ندعهما يخرجان من الخيمة. فلمّا رأتهما الحوراء زينب أقسمت عليهما بالجلوس، فجلسا فقامت زينب وجلست إلى جنب أخيها الحسين، وكذلك أُم كلثوم [جلست] وبيدها رداء العباس وهنّ يبكين، فبينما هم في هذا ونحوه وإذا المنادي ينادي: يا حسين ويا أباالفضل جبنتما عن الحرب وجلستما بإزاء النساء؟ فنبض العرق الهاشمي بين عيني العباس، فاجتذب رداءه من أُخته أم كلثوم وقام، فتعلّقت به أم كلثوم، فناداها الحسين: أُخيّه دعيه يمضي فقد اشتاق الحبيب إلى حبيبه؛ فصاحت زينب: أمري وأمركما إلى الله، فقام العباس وركب جواده:

لا تنس للعباس حسن مقامه بالطف عند الغارة الشعواء
واسا أخاه بها وجاد بنفسه في سقي أطفال له ونساء
ردّ الأُلوف على الأُلوف معا رضاً حدّ السيوف بجبهة غرّاء

ويروى أنّه سمع الأطفال ينادون العطش، رمق السماء بطرفه وقال: «الهي

أُريد أن أعتدَّ بعدّتي، وأملأ لهؤلاء الأطفال قربتي». فركب فرسه وحمل قربته على كتفه، وأخذ الراية معه وقصد المشرعة، ونزل إلى الفرات فلمّا أحسّ ببرد الماء وقد كضّه العطش، اغترف بيده غرفة ليشرب فذكر وصيّة أبيه أميرالمؤمنين عليه السلام وتذكّر عطش أخيه الحسين عليه السلام وعيالاته، رمى الماء من يده وقال: لا والله لا أشرب الماء وأخي الحسين عطشان، ثم جعل يقول:

يا نفس من بعد الحسين هوني وبعده لا كنت أو تكوني
هذا الحسين وارد المنون وتشربين بارد المعين

ثم ملأ القربة وحملها على كتفه وخرج من المشرعة، استقبلته الكتائب وصاح ابن سعد: اقطعوا عليه طريقه، فلمّا رأى العباس عليه السلام ذلك حمل عليهم بسيفه وهو يقول:

إنّي أنا العباس اغدوا بالسقا ولا أخاف الشرَّ يوم الملتقى
نفسي لنفس الطاهر الطهر وقا حتى أُوارى ميّتاً عند اللقا

فجعل يقاتلهم مقاتلة الأبطال في ذلك المجال، حتى قتل منهم جماعة، فبينما هو يقاتل إذ جاء سهم إلى القربة فأصابها وأُريق ماؤها، فدمعت عيناه ووقف متحيراً، فبينما هو كذلك إذ أتاه سهم فوقع في عينه اليمنى، وضربه الحكيم بن الطفيل السنبسي على يمينه فقطعها، أخذ اللواء بشماله وهو يقول:

والله إن قطعتموا يميني إنّي أُحامي أبداً عن ديني
وعن إمامٍ صادق اليقين

فضربه زيد بن ورقاء الجهني على شماله فقطعها، فضمّ اللواء إلى صدره ببقيّة يديه وهو يقول:

يا نفس لا تخشى من الكفّار وأبشري برحمة الجبّار
مع النبيّ سيّد الأبرار مع جملة السادات والأطهار
قد قطعوا ببغيهم يساري فأصلهم يا ربّ حرّ النار

فحمل عليه رجل تميمي من أبناء ابان بن دارم وبيده عمود من حديد فضربه على اُم رأسه، خرّ صريعاً إلى الأرض ونادى بأعلى صوته: أدركني يا أخي، فانقضّ عليه الحسين عليه السلام كالصقر، فرآه مقطوع اليدين، مرضوض الجبين، السهم نابت في العين، المخّ سائل على الكتفين، نادى: الآن انكسر ظهري، الآن قلّت حيلتي، الآن شَمُتَ بي عدوّي.

ويقال: إنّه عليه السلام أخذ رأسه ووضعه في حجره، وكان العباس مغمى عليه، أفاق فظنّ أنّ رجلاً من الأعداء يريد حزّ رأسه، فقال العباس عليه السلام: بالله عليك أمهلني حتى يأتي إليّ ابن والدي، فقال له الحسين عليه السلام: أخي أنا أخوك.

ثم إنّ الحسين وضع رأس العباس على الأرض، وقام ووضع يديه تحت ظهره أراد حمله إلى المخيّم، فقال العباس: بالله عليك إلّا ما تركتني في مكاني، فقال الحسين عليه السلام: لماذا يا أخي؟ فقال العباس: لحالتين الأولى فقد نزل بي الموت الذي لابدّ منه، والثانية إنّي واعدت سكينة بالماء والآن مستحي منها.

ثم فاضت نفسه الزكية، فقام الحسين عليه السلام من عنده وأقبل إلى المخيّم يكفكف دموعه بكمّه كي لا تراه النساء، استقبلته سكينة فقالت له: أين عمّي العباس؟ لعلّه شرب الماء ونسي ما وراه؛ فقال لها: بنيّة عظّم الله لك الأجر بعمّك العباس، فصاحت: وا عمّاه وا عباساه، من للنساء الضائعات [من بعدك]:

عباس تسمع زينباً تدعوك من ... لي يا حماي إذ العدى سلبوني
أولست تسمع ما تقول سكينة ... عمّاه يوم الأسر من يحميني

(فائدة): وفيه يقول ـ راثياً ـ حفيده الفضل بن الحسن بن عبدالله بن العباس رضوان الله عليهما:

إنّي لأذكر للعباس موقفه ... بكربلاءَ وهام القوم تختطف
يحمي الحسين ويحميه على ظمأ ... ولا يولّي ولا يثني فيختلف

ولا أرى مشهداً يوماً كمشهده مع الحسين عليه الفضل والشرف
أكرم به مشهداً بانت فضيلته وما أضاع له أفعاله خلف

(فائدة): روى جماعة عن القاسم بن الأصبغ بن نباتة، قال: رأيت رجلاً من بني أبان بن دارم أسود الوجه، وقد كنت أعرفه قبلاً شديد البياض جميلاً، فسألته عن سبب تغيّره، وقلت له: ما كدت أعرفك؟! فقال: إنّي حضرت كربلاء وقتلت وسيماً جسيماً بين عينيه أثر السجود، فما بتّ ليلة منذ قتلته إلى الآن إلّا وجائني ذلك الرجل في النوم وأخذ بتلابيبي وقادني إلى جهنّم، فيدفعني فيها فأضل أصيح فلا يبقى أحد في الحي إلّا ويسمع صياحي وتنتبه الناس من نومها، قال الأصبغ: والمقتول هو العباس بن علي بن أبي طالب عليه السلام.

(فائدة): وإنّما دفن العباس في مكان مصرعه لأنّ بني أسد ما استطاعوا حمله لتوزيع أعضائه كما أنّ الحسين عليه السلام لم يحمله على العادة كما كان يحمل القتلىٰ.

(فائدة)

بذلت أيا عباس نفساً نفيسة لنصر حسين عز بالمجد عن مثل
أبيت التذاذ الماء قبل التذاذه فحسن فعال المرء فرع عن الأصل[1]

---

(١) (نصاري)

خاض الماي بس هيّس ابّرده ترس چفّه ويروي عطش چبده
تذكّر لن اخوه حسين بعده ذبّ الماي من چفّه او تحسّر
هذا الماي يجري ببطون حيّات وضوگه گبل اخويه احسين هيهات
اظن طفله يويلي من العطش مات وظن موتي گرب والعمر گصّر
شلون اشرب وخوي حسين عطشان وسكنه والحرم واطفال رضعان
وظن گلب العليل التهب نيران يريت الماي بعد لا حله او مر

المطلب الثاني والأربعون

في ترجمة علي الأكبر عليه السلام

روى ابن إدريس في السرائر، قال: ولد علي الأكبر بعد وفاة جدّه أميرالمؤمنين عليه السلام بسنتين؛ ورواه المفيد أيضاً في الإرشاد.

وأُمّه ليلى بنت أبي مرّة بن عروة الثقفي، وقيل: ولد في أوائل خلافة عثمان؛ وروى الحديث عن جدّه أميرالمؤمنين عليه السلام؛ وكان أشبه الناس خلقاً ومنطقاً برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

⮌

همته بس يوصل الماي لحسين — لا گامن او گعدن الچفين

همته اطفال موته بالصواوين — عطاش اگلوبهم تلهب امن الحر

اجاه السهم للگربه او فراها — وگف يبچي وسكنه ما نساها

مواعدها على اميّه لحشاها — او منها يستحي للخيم يسدر

سمع حسّه الحسين او ركب وارزم — غار على العده من باب المخيم

رد يمّه او شافه سابح ابدم — تخوصر فوگ راسه والدمع خر

حط راسه بحضنه او راد الوداع — شاله او تربه عباس بالگاع

ردّ احسين راسه ابگلب مرتاع — شاله اردود للتربان والحر

(تخميس)

نادى وقد ملأ البوادي صيحة — صمّ الصخور لهولها تتألّم

أأخي من يحمي بنات محمّد — إن صرن يسترحمن من لا يرحم

وروى أبوالفرج الأصبهاني: إنّ معاوية بن أبي سفيان قال يوماً: من أحق الناس بهذا الأمر ـ يعني ـ الخلافة؟ فقال له جلساؤه: أنت! قال: لا، إنّ أولى الناس بهذا الأمر علي بن الحسين الأكبر لأنّ جدّه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وفيه شجاعة بني هاشم وسخاء بني امية وزهو ثقيف.

وكانت تقصده الوفود والشعراء، فممّا مدح به قول الشاعر:

لم تـر عـين نـظرت مـثله	من محتف يـمشي ومـن نـاعل
يـغلي نـيء اللحم حتى إذا	انـضجّ لم يـغل عـلى الآكـل
كـان إذا شـبّت له نـاره	يـوقدها بـالشرف الطـائل
كـيما يـراهـا بـائس مـرمل	أو فـرد حـي ليس بـالآهل
لا يـؤثر الدنـيا عـلى ديـنه	ولا يـبيع الحـق بـالباطل
أعني ابن ليلى ذاالسدى والندى	أعني ابن بنت الحسب الفـاضل

وكان يكنى أباالحسن، ويلقّب بالأكبر، [لأنّه أكبر] أولاد الحسين عليه السلام على ما رواه صاحب كتاب «الحدائق الوردية» في قول العقيقي وكثير من الطالبية، لأنّ أولاد الحسين عليه السلام ستّة ممكن أن يكون أكبر من الثالث أو أكبر من اسمه علي، لأنّ أولاد الحسين عليه السلام ثلاثة منهم اسمهم اسم أبيه علي عليه السلام.

وعن كثير بن شاذان: شهدت علي الأكبر وهو إذ ذاك صبي وقد اشتهى عنباً في غير أوانه، فقال لأبيه الحسين: ابه إنّي اشتهيت عنباً! فضرب الحسين عليه السلام يده إلى إسطوانة المسجد فأخرج له عنباً وموزاً في غير أوانه ودفعه إليه وقال له: ولدي كُل من فضل ما أنعم الله علينا. ثم التفت إلينا وقال: ما عند الله لأوليائه أكثر.

وذكر أرباب التأريخ في تأريخهم وأجمعوا على أنّ علي الأكبر شابه جدّه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، لا بل شابه الأشباح الخمس وهم: رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وعلياً وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام، أمّا شباهته بجدّه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فكان إذا تلى آية أو

روى رواية شابه رسول الله ﷺ في كلامه ومقاله، بل وفي خلقه وأخلاقه.

يروى: أنّه دخل رجل نصراني مسجد رسول الله ﷺ فقال له الناس: أنت رجل نصراني أُخرج من المسجد. فقال لهم: إنّي رأيت البارحة في منامي رسول الله ومعه عيسى بن مريم، فقال عيسى بن مريم: أسلم على يد خاتم الأنبياء محمّد ابن عبدالله فإنّه نبي هذه الأمّة حقّاً؛ وأنا أسلمت على يده وأتيت الآن لأُجدّد إسلامي على رجل من أهل بيته. قال: فجاؤا به إلى الحسين عليه السلام فوقع على قدميه يقبّلهما، فلمّا استقرّ به المجلس قصّ له الرؤيا التي رآها في المنام فقال له: أتحبّ أن آتيك بشبيهه؟ قال: بلىٰ سيّدي؛ قال: فدعىٰ الحسين عليه السلام بولده علي الأكبر ـ وكان إذ ذاك طفل صغير وقد وضع على وجهه البرقع ـ فجيء به إلى أبيه، فلمّا رفع الحسين عليه السلام البرقع من على وجهه ورآه ذلك الرجل وقع مغمى عليه، فقال الحسين عليه السلام، صبّوا الماء على وجهه، ففعلوا فلمّا أفاق إلتفت إليه الحسين عليه السلام وقال: يا هذا إنّ ولدي هذا شبيهاً بجدّي رسول الله ﷺ؟ فقال الرجل: اي والله؛ فقال له الحسين عليه السلام: يا هذا إذا كان عندك ولد مثل هذا وتصيبه شوكة ما كنت تصنع؟ قال: سيّدي أموت! فقال الحسين عليه السلام: أخبرك إنّي أرى ولدي هذا بعيني مقطّعاً بالسيوف إرباً إرباً.

وأمّا شباهته بجدّه أميرالمؤمنين عليه السلام فإنّه شابهه عليه السلام بالإسم والكنية وبالشجاعة وتعصّبه للحق، وناهيك عن شجاعته عمّا رواه شيخنا أبو جعفر بن بابويه القمي قال: ولمّا حمل علي بن الحسين على القوم زحزحهم عن أماكنهم وأنهضهم عن مواضعهم، حتى قتل على عطشه مائة وعشرين رجلاً.

وروي: أنّه لمّا حمل على القوم يوم عاشوراء اختلف العسكر فيه وأخذ أصحاب ابن سعد كل يسأل من صاحبه: ابن من هذا؟! ومن يكون هذا الصبي؟! وأمّا الذين هم آخر الجيش فقد أخذتهم الدهشة حتى ظنّوا أنّ أميرالمؤمنين عليه السلام

قد خرج إليهم من قبره، فلمّا رأى علي بن الحسين عليه السلام ذلك جعل يرتجز ويقول:

أنا علي بـن الحسـين بـن عـلي نـحن وبـيتِ الله أولى بـالنبي

أضربكم بالسيف أحمي عن أبـي ضـرب غـلام هـاشمي عـلوي

فرجعت الخيل تسحق بعضها بعضاً.

قال بعض الرواة: وشدّ علي على الناس مراراً، وقتل منهم جمعاً كثيراً حتى ضجّ الناس من كثرة من قتل منهم.

وفي بعض التواريخ إنّ حملاته بلغت إثني عشر حملة فهذه شباهته بجدّه أميرالمؤمنين عليه السلام.

وأمّا شباهته بالزهراء عليها السلام فقد أجمع المؤرخون على أنّ الزهراء عليها السلام توفّيت ولها من العمر ثمانية عشر سنة، وكذلك علي الأكبر قتل يوم كربلاء وله من العمر ثمانية عشر سنة.

وأمّـا شـباهته بـعمّه الحسـن عليه السلام فـقد شـابهه بـالبهاء والهيبة. يـروى أنّ الحسن عليه السلام كان إذا مشى في الطريق لا يسبقه سابق، وإذا جلس بباب داره ينقطع الطريق لهيبته، وإذا جلس في البيت المظلم لا يحتاج إلى الضياء، وكذلك علي الأكبر كان مهاباً يتلألأ وجهه نوراً.

وأمّا شباهته بأبيه الحسين عليه السلام فقد شابهه بالإباء والكرم؛ يروى أنّ علي بن الحسين بنى داراً للضيافة في زمن أبـيه الحسـين عليه السلام بـالمدينة وكـانت تـقصده الشعراء والوفود حتى قيل فيه:

يغلي نيء اللحم حتى إذا انضج لم يغل على الآكل

قال أبوالفرج وغيره: كـان عـلي الأكـبر أول قـتيل مـن بـني هـاشم بـعد الحسين عليه السلام.

ويروى: إنّه لمّا نظر إلى وحدة أبيه الحسين عليه السلام تقدّم إليه وهو على فرس له

يدعى «ذا الجناح» فاستأذنه للبراز، وكان علي الأكبر من أصبح الناس وجهاً وأحسنهم خلقاً، فنظر إليه الحسين عليه السلام نظر آيس وأرخى عينيه بالدموع وأطرق برأسه لئلّا يراه العدوّ فيشمت به، ثم رفع رأسه مشيراً بسبّابتيه إلى السماء وقال:

«اللّهمّ اشهد عليهم فقد برز إليهم أشبه الناس خلقاً وخلقاً ومنطقاً برسولك محمّد صلى الله عليه وآله وسلم، وكنّا إذا اشتقنا إلى نبيّك نظرنا إلى هذا الصبي، اللّهمّ امنعهم بركات الأرض وفرّقهم تفريقاً، ومزّقهم تمزيقاً، واجعلهم طرائق قدداً، ولا ترضي الولاة عنهم أبداً، فإنّهم دعونا لينصرونا ثم عدوا علينا يقاتلوننا».

قال: وصاح بعمر بن سعد: ويلك يابن سعد قطع الله رحمك كما قطعت رحمي[1]، ولا بارك الله لك في أمرك، وسلّط الله عليك من يذبحك على فراشك؛ ثم تلا قوله تعالى: ﴿ إنَّ اللهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحاً وآلَ إبراهيمَ وآلَ عمران على العالمين * ذُرِّية بعضُها مِنْ بعضْ واللهُ سميعٌ عليم ﴾.

قال الراوي: فكأنّما علم الرخصة من أبيه فحمل على القوم وجعل يرتجز ويقول:

أنا عليّ بن الحسين بن علي نحن وبيت الله أولى بالنبي
أضربكم بالسيف أحمي عن أبي ضرب غلام هاشمي علوي

* * *

(١) كما قدمنا آنفاً لأنّ أم ليلى وأم عمر بن سعد أخوات، لذا خاطبه الحسين عليه السلام: قطع الله رحمك كما قطعت رحمي.

(فائدة): وإنّما جعل يوم الثامن مخصوصاً بعلي الأكبر ويلقى مصرعه فيه لأنّه جاء بالماء يوم الثامن من المحرم كما أنّ العباس جاء بالماء يوم السابع، وكما أنّ برير جاء بالماء يوم التاسع، إنتهى.

[ولله دَرَّ من قال]:

وعلي قدر من ذؤابة هاشم عبقت شمائله بطيب المحتد
في بأس حمزة في شجاعة حيدر بأبا الحسين وفي مهابة أحمد
وتراه في خلق وطيب خلائق وبليغ نطق كالنبي محمّد[1]

---

(١) (نصاري)

الأكبر لاح ظهر الغوج وارزم او عليه احسين دمعه انحدر واسجم
تچنّه ابوالده او عالخيل ذبها او يمنه الحرب عاليسره گلبها
چسب نوماسها او ضيّع دربها او لف راياتها او للسرب حطّم
عگب ما بالطفوف ابده الفراسه او راواهم حرب حيدر او باسه
العبدي غافله او صابه اعلى راسه او تغيّب نور وجهه بحمر الدم

(دكسن)

شبگ على المهر لبّاله يودّيه لبوه حسين عنّ الگوم يحميه
اويلي المهر للعداون فر بيه واوچب آه بموسط العسكر
هذا يگطع ابسيفه وريده او هذا بالخناجر فصل ايده
وهذا يغط رمحه الحديده ابخاصرته وهو يعالج او يفغر

(عاشوري)

تعنّاله او على ابنيه تخوصر او صاح بصوت منّه الصخر ينطر
على الدنيا العفه بعدك ياالاكبر عگب عيناك ريت الكون يعدم
يبويه من وصل ليك او تدنّاك او خضّب وجهك الشعاع بدماك
يبويه ريت روحي اتروح ويّاك او لا شوفك خضيب الوجه بالدم

(تخميس)

لا طاب عيشٌ بعد فقدك لا صفا واظلمّت الدنيا بعيني مذ خفا
منها ضياؤك يا شبيه المصطفى
فلتذهب الدنيا على الدنيا العفا ما بعد يومك من زمان أرغد

المطلب الثالث والأربعون

في شهادة علي بن الحسين الأكبر عليه السلام

ذكر أرباب المقاتل أنّه لمّا قتل أصحاب الحسين عليه السلام فلم يبق معه إلّا أهل بيته، تقدّم إليه ولده علي الأكبر فاستأذنه للبراز ثم حمل على القوم فجعل يرتجز ويقول:

أنا عليّ بن الحسين بن علي ... الخ

قال الراوي: فجعل يقاتل القوم مقاتلة الأبطال في تلك المجال، وناداه رجل من أهل الكوفة: يابن الحسين إنّ لك رحماً بأميرالمؤمنين يزيد، فإن شئت آمنّاك؟ فقال له علي بن الحسين: ويلك لقرابة رسول الله أحقّ أن ترعىٰ!!

قال: ولمّا رأى ابن سعد ما رأى من شجاعته وبسالته دعا طارق بن كثير ـ وكان شجاعاً فارساً مناعاً ـ فقال له: أنت الذي تأكل نعمة الأمير وتأخذ منه العطاء، فاخرج إلى هذا الغلام. وثنّىٰ برأسه فقال له: يابن سعد أنت تأخذ ملك الري وأنا أخرج إليه؟! بل الواجب عليك أن تبارزه أنت أو أن تضمن لي عند الأمير إمارة الموصل. قال: فضمن له ذلك فخرج طارق إلى مبارزة علي بن الحسين، وتراجع الناس فحمل عليه علي الأكبر فضربه ضربة منكرة فوقع صريعاً يخور بدمه، فلمّا رآه أخوه وقد صرعه علي الأكبر وعطف عليه بضربة فوقعت على عينه فخرّ صريعاً.

قال: وخرج ابن طارق ثائراً بأبيه وعمّه، فحمل عليه علي بن الحسين فقتله، ثم طلب البراز فلم يبرز إليه أحد فحمل على القوم وجعل [يضرب] فيهم بسيفه، هذا والحسين عليه السلام واقف بباب الخيمة وليلى تنظر في وجه الحسين عليه السلام تراه يتلألأ نوراً وسروراً بشجاعة ولده علي، فبينما هو كذلك إذ تغيّر لون وجهه، فقالت له ليلى: سيّدي أرى لون وجهك قد تغيّر! هل أُصيب ولدي؟ فقال لها: لا يا ليلى ولكن برز له من أخاف منه عليه، يا ليلى ادعي لولدك علي.

دخلت ليلى إلى الفسطاط، نشرت شعرها، جرّدت عن ثدييها، قائلة: إلهي بغربة أبي عبدالله.. إلهي بعطش أبي عبدالله.. يا راد يوسف إلى يعقوب اردد إليَّ ولدي علي.

قال الراوي: فاستجاب الله دعاء ليلى ونصر علياً على بكر فقتله وحزّ رأسه، وجاء به إلى أبيه الحسين عليه السلام وقد قتل مائة وعشرين فارساً، وهو ينادي: أبه العطش قد قتلني وثقل الحديد قد أجهدني[1]، فهل إلى شربة ماء من سبيل أتقوّى بها على الأعداء؟ فقال الحسين عليه السلام: بني هات لسانك، أخذ بلسانه فمصّه ثم دفع إليه خاتمه الشريف وقال له: ولدي امسكه في فيك وارجع إلى قتال عدوّك. فكأنّه ارتوى.

ويروى: أنّه قال له: ولدي دونك أُمّك في الخيمة فودّعها؛ فدخل علي الأكبر إلى الخيمة فتعلّقت به أُمّه وتعلّقن به النسوة فصاح الحسين عليه السلام: دعنه فقد اشتاق الحبيب إلى حبيبه.

---

(١) قوله وثقل الحديد قد أجهدني هل أنّ الحديد الذي كان معه أجهده كالسيف والدرع والدرقة قالوا لا وإنّما أراد بهذا القول حديد الجيش وسلاح الأعداء او لكثرة العسكر والتعبير عن العسكر بالحديد تعبير شايع انظر إلى قول الكشّي في حبيب بن مظاهر لو كان من السبعين الذين نصروا الحسين ولقوا جبال الحديد.

قال الراوي: وأفلت علي الأكبر نفسه من النساء ورجع إلى الحرب وجعل يقاتل حتى قتل تمام المائتين.

قال حميد بن مسلم: كنت واقفاً وبجنبي مرّة بن منقذ التميمي وعلي بن الحسين يشدّ على القوم يمنة ويسرة فيهزمهم، فقال مرّة: عليَّ آثام العرب إن مرّ بي هذا الغلام ولم أثكل به أباه. فقلت: لا تقل هذا يكفيك هؤلاء الذين احتوشوه؛ فقال: والله لأفعلنَّ.

قال: ومرّ بنا علي الأكبر وهو يطرف كتيبة أمامه فطعنه برمحه فانقلب على قربوس سرج فرسه، واعتنق الفرس فحمله الفرس إلى معسكر الأعداء فاحتوشوه وقطّعوه بسيوفهم إرباً إرباً، ولمّا بلغت روحه التراقي نادى رافعاً صوته: أبه عليك منّي السلام هذا جدّي رسول الله قد سقاني بكأسه الأوفىٰ شربة لا أظمأ بعدها أبداً، وهذا كأساً مذخوراً لك حتى تشربه.

قالت سكينة: ولمّا سمع أبي صورت أخي علي جعل تارة يجلس وهو يقول: وا ولداه... ثم انحدر إليه الحسين عليه السلام ومعه أهل بيته حتى وقف عليه، ورآه مقطّعاً بالسيوف إرباً إرباً، فقال: يا بني قتل الله قوماً قتلوك ما أجرأهم على الرحمن وعلى انتهاك حرمة الرسول. ثم استهلّت عيناه بالدموع وقال: ولدي على الدنيا بعدك العفا، أمّا أنت يا بني فقد استرحت من همّ الدنيا وغمّها وبقي أبوك لهمّها ولكربها.

قال حميد بن مسلم: لكأنّي أنظر إلى امرأة خرجت من الفسطاط وهي تنادي: يا حبيباه يا ابن أُخيّاه... فسألت عنها فقيل لي: هي عمّته زينب. فجاءت حتى انكبّت عليه فأخذها الحسين بيده وردّها إلى الفسطاط ثم التفت إلى فتيانه وقال: احملوا أخاكم.. فحملوه وجاؤا به إلى الخيمة وهم يبكون، قيل: وأرسلت ليلى إلى الحسين عليه السلام قائلة: سيّدي أُريد أن أبكي على ولدي، مر أهل بيتك أن

يخرجوا من الخيمة، فأمر الحسين عليه السلام أهل بيته فخرجوا من الخيمة ودخلت ليلى إلى الخيمة ودخلن النساء معها وجعلن ينحن على شبيه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

تقول ليلى بدر ليلى خبا ... منه ضياء باعتراض الظلام
وددت أنّي لم أكن حاملاً ... أو أنّني أسقطت قبل التمام[1]

(فائدة): قتل علي الأكبر عليه السلام ولا عقب له.

(فائدة): اختلف أرباب المقاتل في عمره، ففي رواية كان عمره خمساً وعشرين سنة، والأصح: ثمانية عشر سنة، وذهب عليه أكثر الرواة.

---

(١)

فجيده يا علي يبني فجيده ... بعيده شوفتك صارت بعيده
المد ايده عليك انشلّت ايده ... او شرابه لا هنّه ولا طابله الزاد
هذا حسين ابوك امحنب اعليك ... عين للعده او عين التصد ليك
اسمع يا علي ومّك تحاچيك ... يا رجواي بيك ارباي مافاد
تگلّه يا علي يبني شگلّك ... يذخري للكبر هذا محلّك
دگلّي لو شفت شبّان حلّك ... اشو لن اصبر وهودن وثني الوساد

❊ ❊ ❊

وزينب قابلت ليلى وقالت ... اعيدي النوح يا ليلى أعيدي

المطلب الرابع والأربعون

في ترجمة القاسم بن الحسن وشهادته عليه السلام

الشجاعة حالة طبيعية وهي عزيزة الحصول في البشر، وقلَّ ما تراها في بعض الرجال، وفي الحقيقة هي فرع من الجنون، ولقد قال أمير المؤمنين عليه السلام: «جنونان لا أخلاني الله منهما الشجاعة والكرم». لأن الشجاعة هي عبارة عن بذل النفس، وتوجّه الشجاع إلى العدم وهي تضحية تجاه الحياة السعيدة، وتسلم الشجاع نفسه للموت وعلى الأخص إذا كان المقابل له شجاعاً أعظم قوّة منه من حيث العدّة والإستعداد، وهناك يعلم المُنازل أنّ للحرب رحى طحانة تطحن الهام وتقضي على المهج، وبها تزهق النفوس الغالية، فهو لا يعبأ بها للغريزة التي فيه من الشجاعة.

وقد قيل: إنّ الشجاعة قسمان: غريزية وكسبية، فالكسبية تحصل بالتمرين والممارسة، فترى الرجل إذا باشر الحرب يحصل بعدها على قوّة في الجنان، ولا يعبأ بمنازلة الأقران. وأمّا الغريزية فهي من طبيعة الإنسان من حيث هو شجاع، وربما تكون الشجاعة وراثة خلفاً عن سلف، وقد جمعت الخصال الحميدة كلها في بني هاشم لاسيّما الشجاعة.

وقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يوم الفتح: «رحم الله عمّي أبو طالب، لو أولد الناس كلّهم لكانوا شجعاناً». وناهيك عمّا أبدوه أشبال علي عليه السلام في كربلاء مع قلّة عددهم وكثرة الأعداء ممّن شاهد منهم الحروب قبلاً ومن لم يشاهدها قبل يوم كربلاء كالقاسم بن الحسن عليه السلام حتى قال حميد بن مسلم: خرج إلينا القاسم بن الحسن عليه السلام وبيده سيفه، ووجهه كفلقة قمر طالع، وعليه قميص وإزار، وفي رجليه نعلان من ليف، فجعل يضرب هذا وقد تكاملوا عليه أهل الكوفة سبعين ألف رجل[١].

أقول: ولو تصفّحت التاريخ لما وجدت غلاماً كهذا الغلام يبرز إلى سبعين ألف وعليه قميص وإزار، والحالة أنّ العرب كانوا لا يبرزون إلّا بعد الإستعداد ويفرغون عليهم الدروع والمغافر، حتى إنّ الرجل منهم كان لا يعرف لكثرة ما عليه من الحديد ومن لامة الحرب ولا يرى منه إلّا عيناه، والقاسم بن الحسن عليه السلام برز يوم عاشوراء إلى الأعداء وعليه قميص وإزار كما سمعت، فأين هذا من ذاك؟! وأعجب من هذا أنّ القاسم لعدم مبالاته بكثرة الأعداء بحيث انقطع شسع[٢] نعله وقف بين تلك الجموع يشدّه وهذا ممّا يغيض العدو، ولقد أجاد الشيخ السماوي رحمه الله حيث قال:

أتراه حين أقام يصلح نعله ... بين العدى كي لا يروه بمحتف[٣]
غلبت عليه شهامة حسنيّة ... أم كان بالأعداء ليس بمحتف[٤]

---

(١) مقتل أبي مخنف: ١٦٩.
(٢) الشسع ما يدخل بين الأصبعين في النعل العربي ممتدّ إلى الشراك.
(٣) الإحتفاء هنا المشي بلا نعل.
(٤) الإحتفاء هناالإعتناء يقال احتفى به ولم يحتف. انظر إبصار العين في أنصار الحسين: ٣٦.

ولبسالته وصباحة وجهه قال بعض الأعداء: والله لو بسط إليّ هذا الغلام يده وضربني لما رفعت يدي وضربته.

وللحرب قواعد وشؤون تعرف منها أنّه لا بدّ أن يكون مع المحاربين سقاة وجرّاحون ومحرّضات، ولابدّ للجيش من مقدم وكمين وقلب وجناحين، ولكلّ واحدة من هذه الوظائف أناس يقومون بها لا يشاكلهم أحد، أمّا وظيفة السقاة فإنّهم يجعلون الماء بالقِرَبِ فإذا رجع المحارب سالماً استقبلوه بالماء، وإذا سقط جريحاً أدركوه بالماء. وحرب كربلاء خال من هذه الأشياء كلها، أمّا الماء فقد منعوا أصحاب الحسين عليه السلام من أن يصلوا إليه وعلى المشرعة أربعة آلاف محارب، فمن أين لهم الماء إذا رجع المحارب حتى يسقوه؟! أو إذا جرح المقاتل وسقط على وجهه إلى الأرض؟!

وللمحارب أيضاً صفات خاصة وهي إذا برز لابدّ وأن تقوم أعمامه وأخواله أو إخوته وأولاده، ويقفون بمكان حيث يرونه خوفاً عليه من الغيلة أو أن يجعل له ظهيراً كما صنع أميرالمؤمنين عليه السلام ذلك يوم صفين لولده محمّد بن الحنفية.

والقاسم [بن الحسن] عليه السلام لم يجد ظهيراً لمّا برز، وهناك فرق عظيم بين القاسم وبين عمّه محمّد بن الحنفية لأنّ محمّد بن الحنفية شاهد حروباً جمّة والقاسم صبيّ لم يبلغ الحلم ولم يشاهد حرباً قبل يوم كربلاء.

ومنها أنّ محمّد بن الحنفية برز وعليه لامة الحرب، والقاسم برز يوم كربلاء سافراً عن ذراعيه.

ومنها أنّ محمّد بن الحنفية كان إذا رجع من الحرب استقبله أميرالمؤمنين والحسن والحسين عليهما السلام وأصحابه يحملون الماء له، والقاسم كان إذا رجع استقبلته

عمّته زينب صارخة باكية وأُمّه رملة معولة.

ومنها أنّ محمّد بن الحنفية كان إذا حمل على القوم وضايقه العدو أدركه المدد من أبيه بالأبطال والشجعان وإن ناداهم أدركوه، والقاسم حمل على القوم وهو ينظر إلى أصحاب عمّه مجزّرين كالأضاحي وينظر إلى عمّه يستغيث فلا يغاث وينظر إلى النسوة بالخيمة وقد علا صراخهنّ.

ومنها أنّ محمّد بن الحنفية تكعكع يوم الجمل لرأى السهام ترشق عليه أراد حتى تنفذ سهام القوم، والقاسم أراد الحسين عليه السلام تأخيره عن الحرب مراراً وهو يلحّ على عمّه ويقبل يديه ورجليه وهو يقول: يا عمّاه لا طاقة لي على البقاء وأرى بنو عمومتي وإخوتي مجزّرين وأراك وحيداً فريداً، والحسين يقول له: يا ابن أخي أنت الوديعة.

قال الأروي: فلم يزل يستأذن عمّه الحسين عليه السلام حتى أذن له[1].

أقول: فلو فكّر الإنسان إلى ما لاقاه القاسم يوم كربلاء لعرف بسالته وشجاعته تجاه العدو لمّا حمل على القوم وجعل يضربهم بسيفه، فهذه أفعاله يوم الطف، وأمّا أقواله فتبهر العقول وذلك لمّا ارتجز وهو في الميدان غايته أن يعرّفهم نفسه قائلاً بل مفتخراً:

إن تنكروني فأنا نجل الحسن ... سبط النبي المجتبى والمؤتمن

هذا حسين كالأسير المرتهن ... بين أُناس لا سقوا صوب المزن

---

(١) لم نعثر عليه، وأحسبه من مصادر أبناء العامة حيثُ لم يذكره آغابزرك رحمه الله في الذريعة، وأغلب الظن هو الشيخ إبراهيم الآروي شارح مسند الشافعي المطبوع بالهند سنة ١٣٠٥ هـ.

وكانت همّته أن يقتل حامل راية عمر بن سعد، فبينا هو يقاتل إذ انقطع شسع نعله اليسرى فوقف ليشدّها، فقال عمرو بن سعيد بن نفيل الأزدي: والله لأشدّن عليه وأثكلنّ به أمّه.

قال حميد بن مسلم: فقلت: سبحان الله وما تريد منه يكفيك هؤلاء الذين احتوشوه من كل جانب؟! فقال: والله لأفعلنّ ثم حمل عليه فما ولّى وجهه حتى ضرب الغلام بالسيف على رأسه فوقع القاسم لوجهه وصاح: أدركني يا عمّاه... فأتاه الحسين عليه السلام ورآه يفحص بيديه ورجليه. قال: وحمل على قاتله فقتله ثم رجع إلى القاسم ووقف عليه قائلاً: يا ابن أخي بعداً لقوم قتلوك ومن خصمهم يوم القيامة جدّك وأبوك... ثم قال: يا ابن أخي عزّ والله على عمّك أن تدعوه فلا ينفعك إجابته يوم كثر واتره وقلّ ناصره... ثم حمله على صدره ورجلاه يخطّان في الأرض خطّاً حتى جاء به إلى المخيّم ووضعه إلى جانب ولده علي الأكبر وهو يقول: يا ابن أخي أنت الوديعة.

(فائدة): القاسم بن الحسن عليه السلام لم أقف على تزويجه في كربلاء إلّا في منتخب الطريحي رحمه الله فإنّه يذكر قضية تزويجه نقلاً عن الغير، ولم يثبت هناك من مصدر معلوم، ومن المؤكّد أنّ هذا الخبر مرسل يأباه العقل السليم وتركه أولىٰ من ذكره.

(فائدة): كان القاسم بن الحسن عليه السلام أخصّ أولاده، وقد خصّه بالوصايا الأكيدة والنصائح الشديدة، وقد سأل القاسم عمّه الحسين عليه السلام ليلة العاشرة من المحرّم عمّن يقتل، فجعل الحسين عليه السلام يخبره، فقال له الحسين عليه السلام: وكيف القتل

عندك يا قرّة عيني ؟ فقال : يا عم فوحقّك إنّ القتل عندي أحلى من الشهد ؛ فأخبره الحسين عليه السلام بقتله فاستبشر القاسم عليه السلام[1].

---

(١) انظر مقتل أبي مخنف : ١٧٠ ـ ١٧١ ، وإبصار العين في أنصار الحسين عليه السلام : ٣٦.

ثم حمله على صدره ورجلاه يخطّان في الأرض حتى جاء به إلى المخيم ووضعه إلى جنب ولده علي الأكبر وهو يقول يا ابن أخي أنت الوديعة.

(دكسن)

جابه او مدّده ما بين اخوته — بچه عدهم يويلي وهم موته
بس ما سمعن النسوان صوته — اجت رمله تصيح الله واكبر

(نصاري)

يبني امهنّه ابطيب نومك — عريان ومسلبه اهدومك
حرّ الشمس غيّر ارسومك — لون تنشره ابروحي لسومك
وين الذي ياخذ اعلومك — لبوك الحسن وهلك او گومك
اويلاه يالغسلك ادمومك — اويلاه يبني يوم يومك

(ابوذيّه)

أنه ردتك ما ردت دنيا ولا مال — تحضرني لو وگع حملي ولا مال
يجاسم خابت اظنوني والآمال — محل الضيج يبني اگطعت بيّه

(بحراني)

رمله تنادي والدمع على الخد سجام — شيبت راسي بالحزن يبني يجسّام
لما رأيتك على الثرى يبني رميّه — حلحلت جسمي وهيّجت حزني عليّه
عگبك يروحي ما دريت اشصار بيّه — وياهو اليركّبني عگب عينك يجسّام

❊ ❊ ❊

خلّفت والدة ولهى محيّرةً — ترعى نجوم الدجى في اليل بالسهر

المطلب الخامس والأربعون

في ما جرى يوم التاسع من المحرم

روى صاحب أسرار الشهادة عن سكينة بنت الحسين عليها السلام قالت: عزّ ماؤنا يوم التاسع من المحرم حتى كظّنا العطش، فلمّا أمسى المساء عطشت أنا وبعض الفتيات والأطفال فقمت إلى عمّتي زينب كي أُخبرها بعطشنا لعلّها قد ادّخرت لنا ماء، فوجدتها جالسة في خيمتها وفي حجرها أخي الرضيع وهي تاره تقوم وتارة تجلس وأخي الرضيع يضطرب على يديها اضطراب السمكة في الماء وهو يصرخ وهي تقول: صبراً يا ابن أخي وأنّىٰ لك الصبر وأنت على هذه الحالة يعزّ والله على عمّتك أن تراك عطشاناً.

قالت سكينة: فلمّا سمعت كلامها انتحبت باكية فالتفتت إليّ وقالت لي: يا ابنة أخي ما يبكيك؟! فقلت لها: عمّه أبكي لحال أخي الرضيع. ولم أعلمها بعطشي خشية أن يزيد همّها، ثم قلت لها: عمّة لو أرسلت إلى بعض عيالات الأنصار أن يكون عندهم ماء؟ فقامت وأخذت الطفل بيدها ومرّت بخيم عمومته وأولاد عمّه فلم تجد عندهم ماء، فرجعت وقد تبعها بعض أطفالهم رجاء أن تسقيهم الماء، ثم جلست في خيمة أولاد عمي الحسن وأرسلت إلى خيم الأصحاب لعل عندهم ماء، فلم يكن عندهم شيئاً من الماء، فلمّا أيست رجعت إلى خيمتها ومعها ما يقرب من عشرين صبي وصبية فأخذت بالعويل ونحن

نتصارخ بالقرب منها، فمرّ علينا رجل من أصحاب أبي الحسين يقال له «برير بن خضير الهمداني» فلمّا سمع بكاءنا رقّ لحالنا وجعل يبكي، فنادى أصحابه وقال لهم:

أصحابي ما رأيكم أيسرّكم أن تموت هذه الصبية عطشاً وفي أيدينا قوائم سيوفنا؟ لا والله لا خير في الحياة بعدهم بل نرد دونهم حياض الموت... أصحابي فليأخد كلّ واحد منّا بيد فتاة من هذه الفتية ونهجم على المشرعة قبل أن يهلكوا من الظما، وإن قاتلنا القوم قاتلناهم.

فقال له يحيى المازني: إنّ الحرس يمنعونا ويقاتلوننا فإذا أخذنا الأطفال ربّما تنالهم بعض السهام فنكون نحن السبب لذلك، لكن الرأي أن نحمل معنا قربة ونملأها لهم فإن قاتلونا قاتلناهم ومن قتل منّا يكون فداء لبنات رسول الله ﷺ.

فقال له برير: شأنك...

ثم أخذوا قربة وساروا قاصدين الفرات وأقبلوا نحو المشرعة، فأحسّ بهم الحرّاس وصاحوا: من هؤلاء؟ فقال لهم برير: أنا برير وهؤلاء أصحابي وقد كظّنا العطش... فقالوا لهم: مكانكم حتى نخبر رئيسنا إسحاق بن حوية (لعنه الله).

ثم إنّهم نزلوا إلى المشرعة ونزل برير فلمّا أحس ببرد الماء انتحب باكياً وقال: لعن الله ابن سعد هذا الماء يجري وأكباد الفاطميات تذوب من العطش... ثم صاح: أصحابي اذكروا ما وراءكم واملؤا القربة ولا تشربوا حتى ترووا أكباد الفاطميات.

فقال له أصحابه: والله يا برير لا نشرب قبل أطفال الحسين عليه السلام.

قالت: فسمعه رجل من الحرس فصاح بهم ما كفاكم الورود حتى تحملوا الماء إلى هذا الخارجي؟ والله لأخبرنّ بأمركم إسحاق بن حوية. فقال له برير: اكتم

علينا أمرنا... ثم دنا منه وهو يريد قبضه فولّى منهزماً وأخبر إسحاق بذلك، فقال اللعين: إعترضوهم وآتوني بهم وإن أبوا فقاتلوهم.

فلما تعرّضوا لهم وصاحوا بهم إن إسحاق بن حوية لا يرضى بحملكم الماء، فلم يلتفتوا، فصاحوا بهم ثانياً إنّ فيه إراقة دمائكم، فقال برير: إراقة الدماء أشهى إلينا من إراقة الماء، والله ما ذاق منّا أحد طعم فراتكم وإنّما همّتنا أن نروي أكباد أطفال الحسين، والله لا ندع الماء حتى تراق دماؤنا حول هذه القربة.

فقال أحدهم: إنّ هؤلاء مستميتون على يسير من الماء ولا يجدي لهم نفعاً؟ وقال بعضهم: لا تخالفوا حكم الأمير... ثم أحاطوا بهم فوضع برير وأصحابه القربة على الأرض ووقفوا دونها، وبرير يبكي دونها ويقول: وا لهفتاه على أكباد الفاطميات، صدّ الله رحمته عمّن صدّ عنكم يا آل بيت رسول الله.

قالت: فحملها رجل منهم على عاتقه فأحسّوا الحرس وجعلوا يرشقونهم بالسهام فأصاب حبل القربة سهم حتى خاطه إلى عاتقه وسال الدم على ثوبه، فلمّا نظر إلى الدم يسيل من رقبته قال: الحمد لله الذي جعل رقبتي وقاء لقربتي. فلمّا رأى برير إنّ القوم غير تاركيه صاح بأعلى صوته: ويلكم يا أعوان آل أبي سفيان لا تثيروا الفتنة ودعوا أسياف بني همدان في مغامدها ـ وكان حول الحسين عليه السلام جماعة ـ فقال رجل منهم: إنّي أسمع صوت برير بنتدب أصحابه تارة ويعضّ القوم أُخرى، فقال لهم الحسين عليه السلام: إلحقوا به، فقام أبوالفضل العباس وتبعه بعضهم وركبوا، فلمّا رأوا الحرس أنّ العباس انحدر نحوهم انكشفوا عن برير وأصحابه.

قالت: وجاء برير بالقربة حتى دنا من الخيمة وقال: إشربوا يا آل بيت رسول الله، فتباشرت الأطفال بالماء وصحن الفتيات صيحة واحدة: هذا برير قد جاءنا بالماء، ورمين بأنفسهنّ على القربة هذه تحضنها والأُخرى تضع فؤادها

عليها والأُخرى تضمّها إلى كبدها، ولمّا كثر إزدحام الأطفال على القربة إنفلت وكاعها فأُريق ماؤها، فصحن الفتيات: أُريق الماء يا برير... فرجعن إلى الخيمة باكيات صارخات.

قال الراوي: ولمّا أصبح الصباح وهو يوم عاشوراء جاءت الحوراء زينب إلى أخيها الحسين عليه السلام تحمل عبدالله الرضيع فدفعته إلى الحسين وهي باكية وقالت له: أخي خذ طفلك هذا واطلب له قليلاً من الماء، فأخذه الحسين عليه السلام وقد غارت عيناه من شدّة العطش حتى جاء به نحو الأعداء.

فدعا الأقوام يالله للخطب الفظيع — نبّئوني أأنا المذنب أم هذا الرضيع

لاحظوه فعليه شبه الهادي الشفيع — لا يكن شافعكم خصماً لكم في النشأتين

اختلف العسكر فيما بينهم، منهم من لعن عمر بن سعد، ومنهم من قال: إذا كان ذنب للكبار فما ذنب هذا الطفل؟

فلمّا رأى ابن سعد اختلاف العسكر صاح بحرملة بن كاهل: ويلك يا حرملة اقطع نزاع القوم. قال: ما أصنع؟ قال: إرم الطفل بسهم.

قال حرملة: فوضعت سهماً في كبد القوس وتأمّلت أين أرمي الطفل، فرأيت رقبته تلمع على عضد أبيه الحسين عليه السلام فرميت الطفل بسهمي وذبحته من الوريد إلى الوريد، فلمّا أحسّ الطفل بحرارة السهم أخرج يديه من القماط واعتنق أباه الحسين وجعل يرفرف كالطير المذبوح.

ثم ملأ الحسين عليه السلام كفّه من دمه ورمى به إلى السماء وقال: اللّهمّ لا يكون أهون عليك من فصيل ناقة صالح.

ويروى: أنّه قال: «يا ربّ إن كنت حبست عنّا النصر من السماء فاجعل ذلك لما هو خير منه وانتقم لنا من هؤلاء الظالمين». فنودي: دعه يا حسين فإنّ له مرضعاً في الجنّة.

وروي عن الباقر عليه السلام أنّه قال: لم يقع من ذلك الدم إلى الأرض قطرة واحدة[١].

ثم جاء به إلى المخيم، استقبلته سكينة قائلة: أبه لعلّك سقيت أخي الماء وجئتنا ببقيّته؟ فقال لها الحسين عليه السلام: بنيّة خذي أخاك مذبوحاً... فلمّا رأته صاحت: وا أخاه وا عبدالله... وجاءت إليه أُمّه فرأته والسهم مشكوك في نحره صاحت: وا ولداه...

ومذ رأته أُمّه أنشأت ... تدعو بصوت يصدع الجلمدا
تقول عبدالله ما ذنبه ... منفطماً آب بسهم الردى
لم يمنحوه الورد بل صيّروا ... فيض وريديه له موردا

وقال آخر:

وكلّ رضيع يغتذي درّ أُمّه ... ويرضع من ألبانها ثمّ يفطم
سوى أنّ عبدالله كان رضاعه ... دماه وغذّته عن الدرّ أسهم
تبسّم لمّا جاءه سهم حتفه ... وكلّ رضيع للحلوبة يبسم
تخيّله ماءاً ليروي غليله ... ففاض عليه الغمر لكنّه دم[٢]

(١) مقتل أبي مخنف: ١٧٣.

(٢) أقول: ساعد الله قلب الحسين عليه السلام لمّا نظر إلى رضيعه كأنّي بلسان حاله:

(ابوذيّه)

ميا تم للحزن ننصب ونبني ... فجعني حرمله ابسهمه ونبني
الطفل عاده يفطمونه ونبني ... انفطم يا ناس بسهام المنيّه

(نصاري)

تلگّه احسين دمّ الطفل بيده ... شحاله الينچتل ابحضنه اوليده
سال وترس چفّه من وريده ... وذبّه للسما وللگاع ما خر

(فائدة):

أقول: كان تبسّمه لشيء آخر وهو أنّه لمّا أحسّ بحرارة السهم فتح عينيه فرأى جدّته الزهراء عليها السلام فاتحة باعها ترحّب به فتبسّم لها.

➲ وأمّا أُمّه الرباب فكأنّي بها:

هاي أُمّك يعبدالله انطفت عيني ... يا ظيها العلى دربي يجدّيني

سهم الصابك الماذيك ماذيني ... ابنحرك ما نبت يبني نبت بحشاي

يا زهرة الدنيه الشلت راسي بيك ... لبوك احسين عين او عين تربي ليك

حسبت احساب سالم ومّك اتربّيك ... ومّك سالمه او تخلف عليّ ارباي

(تخميس)

فمذ لاحَ سهم النحر ودّت لو أنّها ... تشاطره سهم الردى وتساهمه

أقلّته بالكفّين ترشف ثغره ... وتلثم نحراً قبلها السهم لاثمه

المطلب السادس والأربعون

في ما جرى في ليلة العاشر من المحرم

روى صاحب الدمعة الساكبة: أنّه كان أخصّ الناس بالحسين عليه السلام وأكثرهم ملازمة «نافع بن هلال الجملي»[1]، وكان رجلاً حازماً بصيراً بالسياسة، قال:

---

(١) يجري على بعض الألسن ويذكر في بعض الكتب هلال بن نافع البجلي وهو غلط صرف بل هو نافع ابن هلال الجملي، كما مذكور في كتب التراجم والأنساب والرجال، والجملي ينسب إلى جمل بطن من مذحج، ذكره محمّد بن مسلم بن قتيبة في كتاب المعارف، وما رأيت في كتب المقاتل هلال بن نافع بل نافع بن هلال بن نافع وهو مذكور في الناحية انتهى.
وذكره الشيخ محمّد السماوي رحمه الله نافع بن هلال الجملي في إبصار العين، وكان نافع سيّداً شريفاً سريّاً شجاعاً وكان قارئاً كاتباً ومن حملة الحديث ومن أصحاب أميرالمؤمنين عليه السلام، وحضره معه حروبه الثلاث في العراق، وخرج إلى الحسين عليه السلام فلقيه في الطريق.
قال أبو مخنف: كان نافع قد كتب اسمه على أفواق نبله فجعل يوم العاشر من المحرم يرمي أعداء الله، فقتل إثني عشر منهم سوى من جرح حتى إذا فنيت نباله جرّد سيفه وحمل عليهم وهو يقول:

أنا الهزبر الجملي　　أنا علىٰ دين علي

فوثبوا عليه وأطافوا به يتضاربون حتى كسروا عضديه ثم أخذوه أسيراً إلى ابن سعد فأمر ابن سعد بقتله، فجرّد الشمر سيفه وقتله رحمه الله، انتهى.
انظر: المعارف لابن قتيبة: ١٠٥ ـ ١٠٦، ورجال الشيخ: ٢/٨٠، وإبصار العين للسماوي: ٨٦، ومقتل أبي مخنف: ١٣٤.

ولمّا كانت الليلة العاشرة من المحرم خرج الحسين عليه السلام في نصف الليل خارج الخيام حتى ابتعد، فتقلّد نافع سيفه وخرج في أثره، فنظر الحسين عليه السلام إلى ورائه فرآه، قال: أنافع هذا؟ قال: نعم سيّدي، قال عليه السلام: يا نافع ما أخرجك في هذا الليل؟ قال: سيّدي أزعجني خروجك إلى معسكر هذا الطاغي الباغي، فقال: يا نافع خرجت أتفقّد هذه التلاع مخافة أن تكون مكاناً لهجوم الخيل يوم تحملون ويحملون، قال نافع: ثم رجع وهو قابض على يساري وهو يقول: والله وعد لا خلف فيه... ثم قال: يا نافع ألا تسلك مابين هذين الجبلين وتنجو بنفسك؟ فوقع نافع على قدمي الإمام يقبّلهما وهو يقول: إذاً ثكلتني أُمّي.. سيّدي إنّ سيفي بألف وفرسي بمثله فوالله الذي منَّ عليَّ بهذا الموقف معك لا أُفارقك حتى يكلا عن فري وجري.

قال نافع: ثم فارقني ودخل خيمة أُخته الحوراء زينب، فوقفت بباب الخيمة ورجوت أن يسرع الحسين عليه السلام في خروجه، فاستقبلته زينب ووضعت له متّكأ وجلس يحدّثها سرّاً، فما لبثت أن اختنقت بعبرتها وصاحت: وا أخاه وا حسيناه.. أخي أُشاهد مصرعك وابتلى برعاية هذه المذاعير في النسوة؟ يعزّ والله عليَّ مصرعك ومصرع هؤلاء الفتية الصفوة.

ثم قالت له: أخي هل استعملت من أصحابك نيّاتهم فإنّي أخاف أن يسلّموك عند الوثبة واصطكاك الأسنّة؟ فقال لها الحسين عليه السلام: أما والله يا زينب لقد لهزتهم وبلوتهم وليس فيهم إلّا الأشوس الأقعس، يستأنسون بالمنيّة دوني كاستئناس الطفل بمحالب أُمّة.

فلمّا سمع نافع بكى وقال: اي والله. ثمّ إنّ نافع رجع إلى خيمته وجعل

طريقه على خيمة حبيب بن مظاهر الأسدي فوجده جالساً وبيده سيفه مصلّت وهو يصلحه ويقول:

أيّها الصارم استعد جوابا لسؤالي إذا العجاج أثيرا

فدخل عليه نافع فسلّم، فردّ حبيب السلام عليه، فقال له حبيب: أنافع هذا؟ قال: نعم، قال: يا نافع ما أخرجك في هذا الليل؟ قال نافع: فحكيت له القصة إلى أن بلغت إلى قول الحسين عليه السلام لأُخته الحوراء زينب: يستأنسون بالمنية دوني كاستئناس الطفل بمحالب أُمّه.

فقال حبيب: اي والله لولا انتظاره لهم لعاجلتهم بسيفي هذا ما ثبت قائمه بيدي، فقال نافع: يا حبيب إنّي قد فارقت الحسين عليه السلام وهو عند أُخته العقيلة زينب وهي في حال وجل ورعب وأظنّ أنّ النساء قد أفقن وشاركنها بالحسرة والزفرة فهل لك أن تجمع أصحابك وتواجههنّ بكلام يسكن قلوبهنّ ويذهب رعبهنّ؟ فقال: طوع إرادتك يا نافع.

ثم خرج حبيب ناحية ونافع إلى جنبه ونادى:

يا أصحاب الحمية ويا ليوث الكريهة... فتطالعوا[1] من منازلهم كالليوث الضارية، يقدمهم أبوالفضل العباس عليه السلام رام عمامته من على رأسه، وهو يقول: ما تريد يابن مظاهر؟ لمثل هذا ادّخرني والدي، فقال حبيب لبني هاشم: إرجعوا إلى مضاربكم لا سهرت عيونكم.

ثم إنّه خطب أصحابه وقال: أصحابي هذا نافع يخبرني بكيت وكيت وقد خلّف أُخت سيّدكم وبقايا عيالاته وأهل بيته يتشاكين ويتباكين، أصحابي

(١) في بعض الروايات: فتطالع الأنصار والهاشميون...

أخبروني عمّا أنتم عليه؟ فجرّدوا صوارمهم ورموا عمائمهم إلى الأرض وقالوا: يا حبيب والذي منّ علينا بهذا الموقف لئن زحف القوم إلينا لنحصدنّ رؤسهم بأسيافنا ولنلحقنّهم بأشياخهم أذلّاء صاغرين ولنحفظنّ وصيّة رسول الله ﷺ في أبنائه.

قال حبيب: إذاً هلمّوا معي... ثم قام حبيب يمشي وتبعه أصحابه حتى جاء ووقف بين أطناب الخيم ونادى: السلام عليكم يا أهلنا، السلام عليكم يا فخرنا، السلام عليكم يا ساداتنا ويا معشر حرائر رسول الله ﷺ، هذه صوارم فتيانكم آلو أن لا يغمدوها إلّا في رقاب أعدائكم، وهذه أسنّة غلمانكم آلو أن لا يركزوها إلّا في صدور أعدائكم.

فخرجت إليهم [الحوراء] زينب وهي ملتحفة بملحفة أُمّها فاطمة الزهراء عليها السلام فبكت وبكت النسوة، فنادتهم امرأة من الأنصار: حاموا أيها الطيبون عن الطيبات حرائر رسول الله ﷺ، قال: فاستقرّت عيالات الحسين تلك الليلة إلّا أنّه لم تنم لهم عين قط.

قال: وقام الحسين عليه السلام وأصحابه تلك الليلة ولهم دويّ كدويّ النحل مابين قائم وقاعد وراكع وساجد.

سمة العبيد من الخشوع عليهم ... لله إن ضمّتهم الأسحار

وإذا ترجّلت الضحىٰ شهدت لهم ... بيض القواضب أنّهم أحرار

بيّض الله وجوههم لقد بذلوا الجدّ والجهد دون سيّدهم حتى كان الرجل منهم يتلقّى السيوف والسهام والنبال بصدره ونحره بل كانوا يتسابقون إلى القتال،

فهذا مسلم بن عوسجة نصر الحسين عليه السلام حيّاً وأوصى به ميتاً[١].

قال ابن سعد في طبقاته: مسلم بن عوسجة كان صحابياً ممّن رأى النبي صلى الله عليه وآله وسلم[٢].

وذكر غيره قال: كان مسلم بن عوسجة فارساً شجاعاً له في المغازي مواقف مشهورة، وفي الفتوح الإسلامية مواطن مشهودة، وكان ممّن كاتب الحسين ووفى له، ولمّا دخل عبيدالله بن زياد الكوفة وسمع به مسلم بن عقيل خرج إليه لمحاربته فعقد لمسلم بن عوسجة على ربع مذحج وأسد، ولأبي تمامة على ربع تميم وهمدان، ولعبيدالله بن عمر بن عزيز الكندي على ربع كندة وربيعة، وللعباس بن جعدة الجدلي على أهل المدينة، فانهدوا إليه حتى حبسوه في قصره ثم إنّه فرّق الناس بالتخذيل عنه، قال أبو جعفر: وبعد أن قبض مسلم بن عقيل اختفى مسلم بن عوسجة ولمّا بلغه أنّ الحسين عليه السلام قد نزل كربلاء فرّ بأهله إلى الحسين عليه السلام فوافاه بكربلاء وفداه بنفسه.

قال أهل السير وأرباب المقاتل: لمّا التحم القتال حملت ميمنة عمر بن سعد (لعنه الله) على ميسرة الحسين عليه السلام وفي ميمنة ابن سعد عمرو بن الحجاج الزبيدي وفي ميسرة الحسين عليه السلام زهير بن القين البجلي، وكانت حملتهم نحو الفرات فاضطربوا ساعة، وكان مسلم بن عوسجة في الميسرة، فقاتل قتالاً شديداً لم يسمع بمثله قط، فكان يحمل على القوم وسيفه مصلت بيمينه وهو يقول:

---

(١) ممّن ذكر في زيارة الناحية المقدسة، انظر بحار الأنوار: ١٠١/٢٦٩، وهو أول قتيل من أنصار الحسين عليه السلام، انظر تاريخ الطبري: ٥/٣٦٩، وبحار الأنوار: ٤٥/٦٩.

(٢) طبقات ابن سعد.

إن تسألوا عنّي فإنّي ذو لبد وإنّ بيتي في ذُرىٰ بني أسد
فمن بغاني حائد عن الرّشد وكافر بدين جبّار صمد

ولم يزل يضرب فيهم بسيفه حتى عطف عليهم مسلم بن عبدالله الضبابي وعبدالرحمن بن خشكارة البجلي فاشتركا في قتله، وثارت لشدّة الجلاد غبرة عظيمة فلمّا إنجلت الغبرة إذ هم بمسلم صريعاً، فمشى لمصرعه الحسين عليه السلام وكان به رمق الحياة فقال له الحسين: رحمك الله يا مسلم ثم تلا: ﴿ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلا ﴾[1].

ثم دنا منه حبيب وقال له: عزّ عليَّ مصرعك يا أخي يا مسلم أبشر بالجنّة. فقال له مسلم قولاً ضعيفاً: بشّرك الله بخير، فقال له حبيب: لو لم أعلم أنّي بالأثر لأحببت أن توصني بجميع ما أهمّك، فقال له: أخي أوصيك بهذا الغريب ـ وأشار بيده إلى الحسين عليه السلام ـ فقال له حبيب: والله لأنعمنّك عيناً.

أوصى بن عوسجة حبيباً قائلاً فقاتل دونه حتى الحمام تذوقا
نصروه أحياء وعند مماتهم يوصي بنصرته الشفيق شفيقا

قال الراوي: فما كان بأسرع من أن فاضت نفسه فصاحت جاريته: وا سيّداه وا ابن عوسجتاه، فتباشر أصحاب عمر بن سعد بذلك فقال لهم شبث بن ربعي: ثكلتكم اُمّهاتكم إنّما تقتلون أنفسكم بأيديكم وتذلّون أنفسكم لغيركم، أتفرحون أن يقتل مثل مسلم بن عوسجة؟ أما والذي أسلمت له لربَّ موقف له قد رأيته في المسلمين كريم لرأيته يوم «سلق آذربايجان» قتل ستة من المشركين قبل أن تلتئم

(١) سورة الأحزاب ٣٣: ٢٣.

خيول المسلمين، أفيقتل منكم مثله وتفرحون بمثله ؟![١]

قال الراوي: والتفتت جاريته إلى غلامه فقالت له: كفّن مولاك مسلما؛ فقال لها: أكفن مسلماً وسيّدي ومولاي الحسين لا يكفنه أحد؟! لا كان ذلك أبداً[٢].

وا صريعاً عالج الموت بلا شـدّ لحيين ولا مـدّ ردا

غسّلوه بـدم الطـعن ومـا كفّنوه غير بوغاء الثرى[٣]

(١) مقتل أبي مخنف: ١٣٦ ـ ١٣٨.

(٢) إبصار العين للسماوي: ٦١.

(٣) وزينب عليها السلام:

(نصاري)

عسـه الويّـاي كـون الصـار ويّـاك عسه بحشاي سهم الصاب بحشاك

عسه لعضاي خيل الداست اعضاك يخويه او روحي الروحك فده الهـا

ولا واحـد صـديج البيه غـيره ولا حاضر جـريب امـن العشـيره

يسوي الجـثت ابـن امـي حـفيره چـفنها الذاري او دمـها غسـلها

(دكسن)

يـا نـاس ضـيّعت البـصيره وحيّرني زماني شلون حـيره

ابـن والدي مـاله عشـيره ولا مـن گـرابـه البـيه غـيره

يسوون لبن امّي حفيره

(تخميس)

وأمـين الله أدمـى خـدّه وجميع الرسل تبكي فـقده

وأبوه النوح أمسى ورده

لو رسول الله يـحيى بـعده قـعد اليـوم عـليه للـعزا

المطلب السابع والأربعون

في حالة الحسين عليه السلام ليلة العاشرة من المحرم

عن سكينة بنت الحسين: أنّه لمّا كانت الليلة العاشرة من المحرم ـ وكانت ليلة مقمرة ـ كنت جالسة في الفسطاط، وإذا أنا ببكاء ونحيب، فسكت خوفاً من أن يعلمن النسوة، فخرجت وأن أطأ أثوابي فأتيت إلى خيمة أبي الحسين فرأيته جالساً وأصحابه حوله، وهو يقول لهم:

«أصحابي أنتم جئتم معي لعلمكم بأنّي أذهب إلى جماعة بايعوني قلباً ولساناً، والآن تجدونهم قد استحوذ عليهم الشيطان ونسوا ذكر الله، وقد لبّوا القتلي وقتل من معي، فمن يكره نصرتنا فليذهب في هذه الليلة، ومن بقي ونصرنا بنفسه يكون معنا في الدرجات العالية من الجنان، ولقد أخبرني أبي عن جدّي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: أنّ ولدي الحسين يقتل بطفّ كربلاء، ألا ومن نصره فقد نصرني ونصر ولده القائم، ومن نصرنا بلسانه فإنّه في حزبنا يوم القيامة».

قالت سكينة: والله ما تمّ كلامه حتّى تفرّق منه أصحابه من عشرة ومن عشرين حتى لم يبق معه إلّا ما ينقص عن الثمانين، ورأيت أبي وقد أطرق برأسه، فخنقتني العبرة فرددتها ولزمت السكوت ورفعت طرفي إلى السماء وقلت:

«اللّهمّ إنّهم خذلونا فاخذلهم، ولا تجعل لهم في الأرض مساكناً، وسلّط عليهم الفقر ولا تنلهم شفاعة جدّنا».

ثمّ رجعت إلى الفسطاط وأنا أهمل دموعي، فنظرت إليّ عمّتي أمّ كلثوم فقالت: مالك ؟! فحكيت لها ما رأيت، فصاحت: وا جدّاه.. وا محمّداه.. وا أباه.. وا عليّاه.. وا حسناه.. وا حسيناه.. وا قلّة ناصراه.. وكيف الخلاص من الأعداء وليت الأعادي يقتلوننا بدلاً عن أخي الحسين عليه السلام.

قالت سكينة: فاجتمعن النسوة وبكين، فسمع أبي بكاءنا فخرج من الفسطاط وقال: ممَّ هذا البكاء؟ فقربت إليه عمّتي وقالت له: أخي ردّنا إلى حرم جدّنا؟ فقال: يا أُختاه كيف لي بذلك وقد أحاطت بنا الأعداء؟ فقالت: أخي هل ذكّرتهم محلّ جدّك وأبيك وجدّتك وأخيك؟ فقال: بلى ذكّرتهم فلم يذكروا، ووعظتهم فلم يتّعظوا، وليس لهم رأي سوى قتلي، ولابدّ أن تريني على التراب جديلاً، ولكن يا أُختاه أُوصيكنّ بالصبر والتقوى.

وروى ابن شهرآشوب: أنّه لمّا كان وقت السحر خفق الحسين عليه السلام خفقة واستيقظ وقال: أتعلمون ما رأيت في منامي الساعة؟ قالوا: وما الذي رأيت يابن رسول الله؟ قال: رأيت كلاباً قد شدّت عليّ لتنهشني وفيها كلب أبرص ورأيته أشدّها عليّ، وأظنّ أنّ الذي يتولّى قتلي رجل أبرص من هؤلاء القوم، ثم رأيت بعد ذلك جدّي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ومعه جماعة من أصحابه وهو يقول لي: يا بني أنت شهيد آل محمّد، وقد استبشر بك أهل السماوات فليكن افطارك عندي الليلة، وهذا ملك قد نزل من السماء ليأخذ من دمك في قارورة خضراء، فهذا ما رأيت.

وفي الخرائج والجرائح للراوندي، روي عن زين العابدين عليه السلام **أنّه قال: لمّا كانت الليلة العاشرة من المحرم قام أبي الحسين في أصحابه خطيباً، فقال:**

«يا أصحابي إنّ هؤلاء يريدونني دونكم، ولو قتلوني لم يصلوا إليكم، فالنجاة النجاة وأنتم في حلٍّ منّي فإنّكم إن أصبحتم معي قتلتم كلّكم».

فقالوا: لا نخذلك ولا نختار العيش بعدك.

فقال عليه السلام: إنّكم تقتلون حتى لا يفلت منكم أحداً.

فقالوا: الحمد لله الذي شرّفنا بالقتل معك.

ثم إنّه دعا لهم، وقال: ارفعوا رؤسكم وانظروا؛ فجعلوا ينظرون إلى منازلهم في الجنّة.

ويروى أنّه قال في آخر خطبته: «أصحابي.. بنو عمومتي.. أهل بيتي ألا ومن كانت في رحله امرأة فليبعث بها إلى أهلها، فإنّ نسائي تسبى وأخاف على نسائكم السبي». فقام من بينهم حبيب بن مظاهر الأسدي وأقبل إلى خيمته فتبسّمت زوجته في وجهه، فقال لها: دعينا والتبسّم قومي والحقي ببني عمّك من بني أسد، فقالت: لم يابن مظاهر؟ أهل فعلت معك مكروهاً؟ قال: حاشا لله، ولكن أما سمعت غريب رسول الله صلى الله عليه وآله خطبنا في هذه الساعة؟ قالت: بلى، ولكن سمعت في آخر خطبته همهمة لا أعرفها؟ قال: خطبنا وقال: ألا ومن كانت في رحله امرأة فليبعث بها إلى أهلها، فلمّا سمعت الحرّة نطحت رأسها بعمود الخيمة وقالت: ما أنصفتني يابن مظاهر أيسرّك أنّ زينب يسلب إزارها وأنا أتزيّن بإزاري؟! أم يسرّك أنّ سكينة يسلب قرطها وأنا أتزيّن بقرطي؟! لا كان ذلك أبداً، بل أنتم تواسون الرجال ونحن نواسي النساء. فلمّا سمع منها ذلك رجع إلى الحسين عليه السلام فرآه جالساً ومعه أخوه العباس فسلّم عليهما وجلس، وقال: أبت الأسديّة أن تفارقكم.

أبت المروّة أن تفارق أهلها   وأبى العزيز أن يكون ذليلاً

فقال الحسين عليه السلام: جزاكم الله خير الجزاء، ثم قام الحسين عليه السلام ومعه أخوه العباس وأقبلا إلى خيمة السجّاد ـ وكان حينئذ مريض ـ وعنده عمّته زينب تمرّضه، فلمّا نظر إلى أبيه قد أقبل نادى: عمّتاه سنّديني إلى صدرك فإنّ ابن

رسول الله قد أقبل. فسنّدته إلى صدرها فجعل الحسين والعباس يسئلانه عن حاله وعن مرضه والسجّاد يحمد الله ويشكره ثم قال: أبه أمقاتل أنت هؤلاء القوم في مكاننا هذا؟ قال: نعم يا بني، فقال: أبه دعنا نرحل من مكاننا هذا؟ فقال له العباس: يابن أخي أتحب أن ترحل عن هذا المكان؟ قال: نعم يا عم، فقال له: أمهلنا إلى غداة غد نرحل بأجمعنا فيصير الأمر إليك فلمّا سمعت زينب اختنقت بعبرتها وقامت، فقال لها الحسين عليه السلام: إلى أين يا قرّة عيني؟ فقالت: أخي أنا ماضية إلى خيمتي أبكي بيني وبين ربّي.. أخي إنّ كلام العباس قطع نياط قلبي.

ثم إنّ الحسين عليه السلام قام وتوضّأ ودخل إلى الخيمة وقد صنع له محرابا، ولم يزل تلك الليلة قائما وقاعدا، وراكعاً وساجداً إلى الصباح، وأمّا أصحابه فإنّهم اغتسلوا ولبسوا أكفانهم وباتوا تلك الليلة ولهم دويٌّ كدويّ النحل، مابين قائم وقاعد، وراكع وساجد ينتظرون الصباح.

ادركوا بالحسين أكبر عيد فغدوا في منى الطفوف أضاحي[1]

(١) وذلك بعد أن خطب بهم ليلة العاشوراء وأراهم منازلهم من الجنّة لمّا عرف منهم الثبات وكانوا في حالة من الإستبشار بلقاء الله عزّوجلّ وحبّ الشهادة بين يدي الحسين عليه السلام، وكان لبنات الرسالة وخصوصاً زينب عليها السلام مع الحسين عليه السلام لقاء خاص.

زينب لفت يمّ حسين لاچن گابعه بالهم
تگلّه يا ضوه عيوني عليمن هالفزع ملتم
تعنّت ليه للخيمه او تفسّر الصخر ونتها
طبّت گعدت اگباله او عالخد تهل دمعتها
تگلّه اعليك ضلع امّك المظلومه او مصيبتها
سولفلي يماي العين
لا تخفي عَلَي يحسين
عليمن هالفزع صوبين

⊃

واشوف ابكثر عـجّ الخـيل وادي كـــربلا غـــيّم

❊ ❊ ❊

اويلي من سـمعها حسين ســالت دمـعة اعــيونه
يگــلها خــاف اسـولفلچ اوّجــهچ يــنخطف لونــه
چتلي او چتل اهـل بـيتي يــختي الگــوم يــردونه
او لابــد ما تشــوفينه
فوگ الثره امگطعينــه
يـــزينب لا تنــوحينه
عــينچ عــاليتامه النــار لو شــبّت بــالمخيّم

❊ ❊ ❊

تگــلّه الكـاتبك يـحسين مــن هــالناس چــاوينه

المطلب الثامن والأربعون

في تعبئة الحسين عليه السلام أصحابه للقتال يوم عاشوراء

روى السيد بن طاوس[1] قال: لمّا أصبح الحسين عليه السلام يوم عاشورا عبّأ أصحابه وجعل زهير بن القين البجلي رحمه الله في الميمنة، وحبيب بن مظاهر في الميسرة، وأعطى الراية إلى أخيه العباس بن علي عليهما السلام، وجعلوا البيوت في ظهورهم، وأمر الحسين بحطب وقصب كان من وراء البيوت أن يترك في الخندق الذي حفروه، وأن يضرم فيه النار مخافة أن تأتي القوم من ورائهم.

قال: وعبّأ عمر بن سعد لعنه الله أصحابه وجعل على الميمنة عمرو بن الحجاج الزبيدي، وعلى الميسرة شمر بن ذي الجوشن الضبابي، وعلى الخيل عروة بن قيس، وعلى الرجّالة شبث بن ربعي، وأعطى الراية دريداً مولاه[2].

وروى المفيد رحمه الله[3] قال: ولمّا صار يوم عاشورا، ورأى الحسين كثرة الأعداء، رفع يديه إلى السماء وقال: اللهم أنت ثقتي في كلّ كرب، وأنت رجائي في كلّ شدّة، وأنت لي في كلّ أمر نزل بي ثقة وعدة، كم من كرب يضعف فيه

---

(١) انظر الملهوف على قتلى الطفوف ص ١٥٨.

(٢) مثير الأحزان لابن نما: ٥٣.

(٣) في ج ٢ ص٩٦ من كتابه الإرشاد.

الفؤاد، وتقلّ عنه الحيلة، ويخذل فيه الصديق، ويشمت فيه العدو، أنزلته بك، وشكوته إليك، رغبة منّي إليك عمّن سواك ففرّجته وكشفته، فأنت وليّ كلّ نعمة، وصاحب كلّ حسنة، ومنتهىٰ كلّ رغبة.

قال عليّ بن الحسين عليه السلام: فجعل القوم يجولون حول الخيم فرأوا الخندق وقد أُضرمت فيه النار.

قال الراوي: ونادىٰ شمر بن ذي الجوشن لعنه الله بأعلىٰ صوته: تعجّلت بالنار يا حسين قبل يوم القيامة! فقال الحسين عليه السلام: من هذا كأنّه الشمر؟ فقيل له: نعم، فقال: يابن راعية المعزىٰ، أنت أولىٰ بها صليّاً.

قال: وأراد مسلم بن عوسجة أن يرميه بسهم فمنعه الحسين عليه السلام، فقال له: سيّدي دعني أرميه فإنّه فاسق، فقال له الحسين عليه السلام: إنّي أكره أن أبدأهم[1] بالقتال.

وقال محمّد بن أبي طالب: وأمر الحسين بإحضار جواده، فقرب إليه واستوىٰ عليه، وتقدّم في نفر من أصحابه وبين يديه برير بن خضير الهمداني[2]، فقال له الحسين: يا برير كلّم القوم، فتقدّم برير وقال: يا قوم اتّقوا الله فإنّ ثقل محمّد صلى الله عليه وآله قد أصبح بين أظهركم، هؤلاء ذرّيّته وعترته وبناته وحرمه، وما الّذي تريدون أن تصنعون بهم؟ فقالوا: نريد أن نمكّن منهم الأمير زياد لعنه الله فيرىٰ

---

(١) نفس المهموم: ٢٣٩.

(٢) من أقادم أصحاب مولانا الحسين عليه السلام، وصفه الشيخ السماوي في ص ٧٠ من كتابه الجليل «إبصار العين في أنصار الحسين» بقوله: «كان بُرير شيخاً ناسكاً قارئاً للقرآن من شيوخ القرّاء ...».

ووصفه الشيخ عباس القمّي في ص٢٦٦ من الجزء الأوّل من كتابه «سفينة البحار» بقوله: «كان من عباد الله الصالحين، وكان شيخاً جليلاً من أشراف الكوفة من همدان الّذين قال فيهم أميرالمؤمنين عليه السلام:

فلو كنتُ بوّاباً علىٰ باب جنّة لقلتُ لهمدان ادخلوا بسلام

رأيه فيهم. فقال لهم برير: أفلا تقبلون أن يرجعوا إلى المكان الّذي أتوا منه؟ ويلكم يا أهل الكوفة أنسيتم كتبكم الّتي كتبتموها وعهودكم الّتي أعطيتموها وأشهدتم الله عليها؟ ويلكم دعوتم أهل بيت نبيّكم وزعمتم أنّكم تقتلون أنفسكم دونهم حتّى إذا أتوكم أسلمتموهم عن ماء الفرات، بئسما خلفتم نبيّكم في ذريّته، مالكم لا سقاكم الله يوم القيامة، فبئس القوم أنتم.

فقال رجل منهم: يا هذا ما ندري ما تقول. فقال برير: الحمد لله الّذي زادني فيكم بصيرة، اللهم إنّي أبرء إليك من فعال هؤلاء القوم، اللهم الق بأسهم بينهم حتّى يلقوك وأنت عليهم غضبان[1].

قال: فجعل القوم يرمونه بالسهام، فرجع برير إلىٰ ورائه[2]، وتقدّم الحسين حتّى وقف بإزاء القوم، وجعل ينظر إلىٰ صفوفهم وكأنّهم السيل[3]، ونظر إلى ابن سعد لعنه الله واقفاً وحوله صناديد أهل الكوفة، فقال: الحمد لله الّذي خلق الدنيا فجعلها دار فناء وزوال، متصرّفة بأهلها حالاً بعد حال، فالمغرور من غرّته، والشقيّ من قتلته، أيّها الناس فلا تغرّنكم هذه الدنيا فإنّها تقطع رجاء من ركن إليها، وتخيب من طمع فيها، وأراكم قد اجتمعتم علىٰ أمر أسخطتم الله فيه عليكم، وأعرض بوجهه الكريم عنكم، وأحلّ بكم نقمته، وجنّبكم رحمته، فنعم الربّ ربّنا، وبئس العبيد أنتم، أقررتم بالطاعة وآمنتم بالرسول محمّد ﷺ ثمّ إنّكم زحفتم علىٰ ذريّته وعترته تريدون قتلهم، لقد استحوذ عليكم الشيطان فأنساكم ذكر الله العظيم، فتباً لكم ولما تريدون وإنّا لله وإنّا إليه راجعون، هؤلاء

---

(١) مقتل الحسين للخوارزمي: ١/٢٥٢.
(٢) تظلّم الزهراء: ١٨٠.
(٣) البحار: ٤٥/٥.

قوم كفروا بعد إيمانهم فبعداً للقوم الظالمين[١].

فقال عمر بن سعد لعنه الله: كلّموه فإنّه ابن أبيه ووالله لو وقف فيكم هذا يوماً كاملاً لما انقطع[٢]. فتقدّم إليه شمر بن ذي الجوشن وقال: يا حسين ما الّذي تقول؟ أفهمنا حتّى نفهم.

فقال عليه السلام: أقول اتّقوا الله ربّكم ولا تقتلونني فإنّه لا يحلّ لكم قتلي، ولا انتهاك حرمتي، فإنّي ابن بنت نبيّكم، وجدّتي خديجة زوجة نبيّكم، ولعلّه قد بلغكم قول نبيّكم: الحسن والحسين سيّدا شباب أهل الجنّة[٣].

فقال له قيس بن الأشعث: ما ندري ما تقول، ولكن انزل علىٰ حكم الأمير ابن زياد.

فقال الحسين عليه السلام: لا والله، لا أعطيكم بيدي إعطاء الذليل، ولا أقرّ لكم إقرار العبيد[٤].

رامت تسوق المصعب	الهدار مستاق الذلول
ويروح طوع يمينها	قود الجنيب أبو الشبول
خلط الشجاعة بالبرا	عة فالصليل عن الدليل
لفّ الرجال بمثلها	وثنى الخيول على الخيول
لسانه ولسانه	صدقان من طعن وقيل

---

(١) مناقب ابن شهراشوب: ٤/١٠٠.

(٢) نفس المهموم: ٢٤٥.

(٣) بحار الأنوار: ٤٥/٦.

(٤) الإيقاد: ١٠٣.

المطلب التاسع والأربعون

في خطبة الحسين عليه السلام يوم عاشوراء

قال أهل السير: لمّا عبّأ الحسين عليه السلام أصحابه وعبّأ ابن سعد أصحابه لمحاربة الحسين عليه السلام، ورتّب مراتبهم وأقام الرايات في مواضعها، خرج الحسين عليه السلام عند ذلك ممتطياً جواده حتّى أتىٰ نحو القوم فاستنصتهم، فأبوا أن ينصتوا فصاح بهم: ويلكم، ما عليكم أن تنصتوا فتسمعوا قولي وإنّما أدعوكم إلى سبيل الرشاد، فمن أطاعني كان من المرشدين، ومن عصاني كان من المهلكين، وكلّكم عاص لأمري غير مستمع لقولي، فقد ملئت بطونكم من الحرام، وطبع على قلوبكم، ويلكم ألا تنصتون، ألا تسمعون. فتلاوموا فيما بينهم وقالوا: انصتوا له[1]. فلمّا رآهم الحسين عليه السلام قد سكتوا، قال:

تبّاً لكم أيّتها الجماعة وترحا، أحين استصرختمونا والهين، فاصرخناكم موجفين سللتم علينا سيفاً لنا في أيمانكم، وحششتم علينا ناراً اقتدحناها علىٰ عدوّنا وعدوّكم، فأصبحتم البا لأعدائكم علىٰ أوليائكم بغير عدل أفشوه فيكم، ولا أمل أصبح لكم، فهلّا لكم الويلات تركتمونا والسيف مشيم، والجأش طامن، والرأي لما يستحصف، ولكن أسرعتم إليها كطيرة الدبى، وتداعيتم إليها كتهافت

---

(١) الإيقاد: ١٠٤.

الفراش، فسحقاً لكم يا عبيد الأمّة، وشذاذ الأحزاب، ونبذة الكتاب، ونفثة الشيطان، وعصبة الأنام، ومحرّفي الكتاب، ومطفئ السنن، وقتلة أولاد الأنبياء، ومبيري عترة الأوصياء، وملحقي العار بالنسب، ومؤذي المؤمنين، وصراخ أئمّة المستهزئين، الّذين جعلوا القرآن عضين، وأنتم علىٰ ابن حرب وأشياعه تعتمدون، وإيّانا تخاذلون، أجل والله، غدر فيكم، وشجت عليه أُصولكم، ونازرت عليه فروعكم، فكنتم أخبث ثمر شجي للناظر، وأكلة للغاصب، ألا وإنّ الدّعي بن الدعي قد ركز بين اثنتين؛ بين السلّة والذلّة، وهيهات منّا الذلّة، يأبى الله لنا ذلك ورسوله والمؤمنون، وحجور طابت وطهرت، وأُنوف حميّة ونفوس أبيّة من أن تؤثر طاعة اللئام علىٰ مصارع الكرام، ألا وقد أعذرت، ألا قد أنذرت، ألا وإنّي زاحف بهذه الأُسرة علىٰ قلّة العدد وخذلان الناصر، ثمّ أنشأ يقول:

فإن نهزم فهزّامون قدماً وإن تهزم فغير مهزّمينا
وما إن طبّنا جبن ولكن منايانا ودولة آخرينا
فقل للشامتين بنا أفيقوا سيلقى الشامتون كما لقينا

ثمّ قال: أما والله لا تلبثون بعدها إلّا كريث ما يركب الفرس حتّى تدور بكم دوران الرحى، وتقلق بكم قلق المحور، عهد عهده إليّ أبي عن جدّي، فأجمعوا أمركم وشركائكم، ثمّ لا يكن أمركم عليكم غمّة، ثمّ اقضوا إليّ ولا تنظرون **﴿إنّي توكّلتُ على اللهِ ربّي وربّكم ما من دابّة في الأرض إلّا وهو آخذ بناصيتها إنّ ربّي علىٰ صراط مستقيم﴾**[1]، اللهم احبس عنهم قطر السماء، وابعث عليهم سنين كسني يوسف، وسلّط عليهم غلام ثقيف، يسقيهم كأساً مصبرة، ولا يدع فيهم أحداً إلّا قتلة بقتلة، وضربة بضربة، ينتقم لي ولآبائي وأهل بيتي وأشياعي منهم، فإنّهم

(١). إقتباسٌ من الآية ٥٦ من سورة هود.

غرونا وكذبونا وخذلونا، وأنت ربّنا عليك توكّلنا وإليك أنبنا وإليك المصير[١].

ثمّ قال عليه السلام: أين عمر بن سعد لعنه الله؟ فجاء إليه فقال: يا عمر، أنت تقتلني وتزعم أنّه يولّيك الدعيّ بن الدعيّ بلاد الري وجرجان؟! والله لا تتهنّأ بذلك أبداً، عهد معهود، فاصنع ما أنت صانع، فأنت لا تفرح بعدي بدنياً ولا آخرة، وكأنّي برأسك على قصبة قد نصبت بالكوفة يتراماه الصبيان، ويتّخذونه غرضاً بينهم.

فاغتاض اللعين من كلام الحسين عليه السلام ثمّ صرف بوجهه عنه ونادى بأصحابه: ما تنتظرون، احملوا بأجمعكم إنّما هي أكلة واحدة[٢]، ثمّ أخذ سهماً ووضعه في كبد القوس ورمى به نحو مخيّم الحسين، وقال: اشهدوا لي عند الأمير ابن زياد لعنه الله فإنّي أوّل من رمى الحسين[٣]، ثمّ رمى العسكر كلّه.

قال الراوي: فما بقي من أصحاب الحسين أحد إلّا وأصابه سهم أو سهمين من تلك السهام[٤]. فقال الحسين عليه السلام لأصحابه: قوموا رحمكم الله إلى الموت الّذي لابدّ منه، فإنّ هذه السهام رسل القوم إليكم[٥].

قال: فحملوا أصحاب الحسين حملة واحدة، وجعلوا يقاتلون حتّى اقتتلوا ساعة من النهار. قال الراوي: فقتل من أصحاب الحسين عليه السلام خمسين رجلاً. قال: ثمّ أمر أصحابه أن يحملوا على القوم واحداً بعد واحد، وكان الرّجل منهم إذا أراد البراز يستأذن الحسين عليه السلام فيأذن له، ثم يقول: السلام عليك يا أبا عبدالله، فيقول الحسين: وعليك السلام، ثمّ يحمل على القوم حتّى أنّ عابس بن شبيب

---

(١) الملهوف على قتلى الطفوف: ١٥٧.

(٢) الإيقاد: ١٠٥.

(٣) مثير الأحزان لابن نما: ٥٦.

(٤) تظلّم الزهراء: ١٨٥.

(٥) نفس المهموم للشيخ عباس القمي: ٢٥٠.

الشاكري[١] لشوقه واشتياقه للقتل، خرج من الخيام حاسراً[٢] وانحدر نحو القوم، فقيل له: عابس أجننت؟ قال: نعم، إنّ حبّ الحسين عليه السلام أجنّني.

يتهادون إلى الحرب سكارىٰ طرباً فيه وما هم بسكارىٰ

---

(١) وصفه الشيخ المامقاني في ج ٢ ص ١١٢ من كتابه «تنقيح المقال» بقوله: «كان عابس من رجال الشيعة رئيساً شيخاً خطيباً ناسكاً متهجّداً ...».

(٢) مقتل الحسين للخوارزمي: ٢/٢٣.

المطلب الخمسون

في وحدة الحسين عليه السلام وخطبته يوم العاشر

لمّا كان يوم العاشر من المحرّم وتقدّمت أنصار الحسين عليه السلام فقتلوا، ثمّ تقدّمت إخوته وأولاده فقتلوا وبقي وحيداً فريداً، أقبل إلى الخيمة ودعا أُخته الحوراء زينب، فجاءت فقال لها: أُختاه عَلَيّ بفرس رسول الله المرتجز[1] وسيفه وعمامته، فجاءت بها إليه فتعمّم بعمامة رسول الله، وتقلّد بسيف رسول الله، وركب فرس رسول الله، ثمّ انحدر نحو القوم ونادىٰ بأعلىٰ صوته: **أُنشدكم الله هل تعرفوني من أنا؟** قالوا: اللهم نعم، أنت ابن رسول الله حقّاً. **قال أُنشدكم الله هل تعلمون أنّ جدّي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم؟** قالوا: اللهم نعم. **قال: أُنشدكم الله هل تعلمون أنّ أبي عليّ بن أبي طالب عليه السلام؟** قالوا: اللهم نعم. **قال: أُنشدكم الله هل تعلمون أنّ أُمّي فاطمة بنت محمّد صلى الله عليه وآله وسلم؟** قالوا: اللهم نعم. **قال: أُنشدكم الله هل تعلمون أنّ جدّتي خديجة بنت خويلد أوّل نساء هذه الأُمّة إسلاماً؟** قالوا: اللهم نعم. **قال: أُنشدكم الله هل تعلمون أنّ جعفر الطيّار في الجنّة عمّي؟** قالوا: اللهم نعم. **قال: أُنشدكم الله هل تعلمون أنّ هذا سيف رسول الله أنا متقلّده؟** قالوا: اللهم نعم. **قال: أُنشدكم الله هل تعلمون أنّ هذه عمامة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنا لابسها؟** قالوا: اللهم نعم. **قال: أُنشدكم الله هل تعلمون أنّ أبي عليّ بن أبي طالب أوّل القوم إسلاماً**

---

(١) الملهوف على قتل الطفوف: ١٥٨.

وأكثرهم علماً وأرجحهم حلماً وأنّه وليّ كلّ مؤمن ومؤمنة؟ قالوا: اللهم نعم. قال: إذا بم تستحلّون دمي وأبي الذائد عن الحوض يذود عنه رجالاً كما يذاد البعير الصادر عن الماء، ولواء الحمد بيده يوم القيامة؟

قالوا: قد علمنا ذلك كلّه ونحن غير تاركيك حتّى تذوق الموت عطشاً. فأخذ الحسين بطرف كريمته المباركة وهو يومئذ ابن سبع وخمسين سنة، قال: اشتدّ غضب الله على اليهود حين قالوا العزير ابن الله، واشتدّ غضبه على النصارى حين قالوا: المسيح ابن الله، واشتدّ غضبه على المجوس حين عبدو النار من دون الله، واشتدّ غضبه علىٰ قوم قتلوا نبيّهم، واشتدّ غضبه على هذه العصابة الّذين يريدون قتل ابن بنت نبيّهم[1].

قال الراوي: ولمّا رأى الحسين إصرارهم علىٰ قتله أخذ المصحف ونشره علىٰ يديه ونادىٰ: يا قوم بيني وبينكم كتاب الله وسنّة جدّي رسول الله صلى الله عليه وآله، يا قوم بم تستحلّون دمي؟ ألست أنا ابن بنت نبيّكم؟ أولم يبلغكم قول جدّي فيّ وفي أخي الحسن، هذان ولداي سيّدا شباب أهل الجنّة، فإن لم تصدّقوني فاسئلوا جابر بن عبدالله الأنصاري، وزيد بن أرقم، وأبا سعيد الخدري، فوالله ما تعمّدت الكذب أبداً مذ علمت أنّ الله يمقت أهله، والله ليس في مشرق ومغرب ابن بنت نبيّ فيكم غيري.

فأجابه الشمر قائلاً: انزل علىٰ حكم ابن زياد. فقال الحسين عليه السلام: لا والله، ثمّ حمل عليهم بسيفه وهو يقول[2]:

أنا ابن علي الطهر من آل هاشم	كفاني بهذا مفخراً حين أفخر
وجدّي رسول الله أفضل من مشىٰ	ونحن سراج الله في الأرض نزهر

---

(١) أمالي الشيخ الصدوق: ٢٢٢ وما بعدها.

(٢) كما في ج ٤٥ ص ٤٩ من بحار الأنوار للشيخ المجلسي.

فانكشفوا من بين يديه انكشاف المعزى إذا شدّ فيها الذئب، ثمّ انحدر نحو المشرعة وكان عليها أربعة آلاف، فكشفهم عن المشرعة واقتحم الفرس في الفرات ونزل في الماء. قال: فمدّ الحسين يده وغرف غرفة ليشرب وإذا بالمنادي ينادي: يا حسين أتلتذّ بالماء وقد هتكت حريمك؟ فرمى الماء من يده وخرج من الفرات[١] وحمل على القوم فكشفهم عن وجهه ونظر إلى الخيمة فإذا بها سالمة، فعلم أنّها مكيدة، وناداه رجل آخر: ألا ترى الفرات يجري في بطون الحيات والله لن تذوق منه قطرة حتّىٰ تموت عطشا[٢]، ثمّ حمل على القوم مرّة ثانية وهو يقول:

أنا الحسين بن علي آليت أن لا أنثني

فلم يزل يقاتل حتّى قتل جمعاً كثيراً من الأعداء، ثمّ رجع إلىٰ مركزه وهو يقول: لا حول ولا قوّة إلّا بالله العليّ العظيم[٣].

قال: وأُصيب بجراحات عديدة، جاء إلىٰ مخيّمه وصاح بالنساء، فخرجت إليه الحوراء زينب، فقال لها: أُخيّه، عَلَيّ بالمنديل لأشدّ به هذا الجرح، فجاءت إليه بمنديل لتشدّ له جرحه، وإذا ببدنه كلّه يشخب دماً، فقالت له: أخي، أيّ جرح أشدّه لك، الجرح الّذي في رأسك؟ أم الجرح الّذي في جبهتك؟ أم الجرح الّذي في صدرك؟ فرفع الثوب عن خاصرته وقال لها: أُخيّه هذا الجرح ضرّني، فصاحت: وا أخاه وا حسيناه.

سهم أصابك يابن بنت محمّد قلباً أصاب لفاطم وفؤادا

---

(١) البحار: ٤٥/٥١.

(٢) فقال الحسين: اللهم أمتْهُ عطشاً. قال الراوي: فكان ذلك اللعين يصيح اسقوني ماء، فيأتون إليه بالماء فيشرب حتّى يخرج من فيه حتّى هلك.

(٣) نفس المهموم: ٣٥٤.

بقيّة المجلس في حملات الحسين ﷺ يوم عاشوراء

بأبي ابن فاطمة والسيف في يده　　إنّ ابن ميمون سرّاً يعبد الصنما
أو رأسه يتجلّىٰ للهدىٰ قمرا　　على الأسنّة يجلو نوره الظلما

قال أرباب المقاتل: ولمّا أراد الحسين ﷺ أن يحمل على القوم حملته الأخيرة، جعل يودّع عياله وأطفاله، فتصارخت العيال والأطفال ودرن حوله؛ فمنهنّ من تقبّل رأسه، ومنهنّ من تقبّل وجهه، ومنهنّ من تقبّل يديه ورجليه، وإذا بالمنادي ينادي من القوم: يا حسين، جبنت عن الحرب وجلست في خيمة النساء، فقام وركب الجواد وانحدر نحو القوم، فبينما هو يسير وإذا بصوت من خلفه: أبه لي إليك حاجة، التفت وإذا هي سكينة، فقال لها: بنيّة ما حاجتك؟ قالت: أبه حاجتي أن تنزل من علىٰ ظهر جوادك إلى الأرض وأريد أن أُوَدّعك وداع اليتامىٰ. فنزل الحسين ﷺ من علىٰ ظهر جواده وجلس على الأرض فجعلت سكينة تبكي، فقال الحسين ﷺ:

سيطول بعدي يا سكينة فاعلمي　　منك البكاء إذا الحمام دهاني
لا تحرقي قلبي بدمعك حسرة　　ما دام منّي الروح في جثماني
فإذا قُتلت فأنت أولىٰ بالّذي　　تأتينه يا خيرة النسوان[١]

قال الراوي: وأقبلت إليه أُخته الحوراء زينب، فقالت له: أخي اكشف لي

---

(١) مناقب آل أبي طالب: ٤/١٠٩.

عن صدرك وعن نحرك، فكشف لها الحسين عليه السلام عن صدره وعن نحره، شمّته في نحره وقبّلته في صدره، ثمّ حوّلت وجهها نحو المدينة وصاحت: يا أُمّاه قد استرجعت الأمانة، فتعجّب الحسين من كلامها، فقال لها: أُخيّه، وما الأمانة؟ قالت: اعلم يابن والدي، لمّا دنت الوفاة من أُمّنا فاطمة، قرّبتني إليها وشمّتني في نحري وقبّلتني في صدري وقالت لي: بنيّه زينب، هذه وديعة لي عندك، فإذا رأيت أخاك الحسين وحيداً فريداً، شمّيه في نحره وقبّليه في صدره؛ أمّا نحره فإنّه موضع السيف، وأمّا صدره فإنّه موضع حوافر الخيول.

قال الراوي: والله لقد سمعنا منادياً ينادي بين السماء والأرض: وا ولداه وا حسيناه، ثمّ ودّعهم وحمل على القوم فجعل يضرب فيهم بسيفه وهو يقول[1]:

الموت أولىٰ من ركوب العار — والعار أولىٰ من دخول النار

قال بعض الرواة: ما رأيت مكثوراً[2] قط قد قتل منه ولده وأهل بيته وأصحابه أربط جأشاً منه عليه السلام، وإن كانت الرجال لتشدّ عليه ويشدّ عليها بسيفه فتنكشف عنه انكشاف المعزىٰ إذا شدّ فيها الذئب، ولقد كان يحمل عليهم وقد تكاملوا ثلاثين ألف، فينهزمون من بين يديه كالجراد المنتشر[3]، ثمّ يرجع إلىٰ مركزه وهو يقول: لا حول ولا قوّة إلّا بالله العليّ العظيم، فكان كما قال المتنبّي[4]:

واستعار الحديد لوناً وألقى — لونه في ذوائب الأطفال

هذا والعطش قد أثّر بعينه حتّى صار لا يبصر بهما، وأثّر بلسانه حتّى صار

---

(١) كما في ص ١٧٠ من كتاب «الملهوف على قتلى الطفوف».

(٢) المكثور: المغلوب.

(٣) تاريخ الطبري: ٣٤٥/٤.

(٤) في قصيدته الّتي يمدح بها عبدالرحمن بن المبارك الإنطاكي ومطلعها:

حيلةُ الهجر لي وهجرُ الوصالِ — نكّساني في السُّقمِ نُكسَ الهلالِ

كالخشبة اليابسة، وأثّر بأحشائه بحيث صار الغبار يدخل في فيه وينزل إلىٰ جوفه ثمّ يخرج مثلما دخل، وأثّر العطش في قواه وهو مع ذلك يضرب فيهم بسيفه، فصاح عمر بن سعد بأصحابه: الويل لكم يا حمقاء، أتدرون من تقاتلون، هذا ابن الأنزع البطين، هذا ابن قتّال العرب، فاحملوا عليه حملة رجل واحد[١]. ثمّ إنّهم افترقوا عليه أربعة فرق: ضرباً بالسيوف، طعناً بالرماح، رمياً بالسهام، رضخاً بالحجارة والخشبة، فبينما هو كذلك إذ أتاه حجر مشوم فوقع في جبهته، وسالت الدماء علىٰ كريمته المباركة[٢]، أخذ ثوبه ليمسح الدم، بان صدره الشريف إلى الأعداء فرماه أبوالحتوف الجعفي لعنه الله بسهم محدّد مسموم له ثلاث شعب، فوق في لبّة قلبه[٣]، فرفع رأسه إلى السماء وقال: الهي أنت تعلم أنّهم يقتلون رجلاً ليس علىٰ وجه الأرض ابن نبيّ غيره[٤]، وكلّما عالج وأراد أن ينتزعه من موضعه ما تمكّن، انحنىٰ علىٰ قربوس سرج فرسه قائلاً: بسم الله وبالله وعلىٰ ملّة جدّي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فاستخرج السهم من قفاه وجرى الدم كالميزاب[٥].

قال الراوي: وخرج ثلثا كبده مع السهم، فخرّ صريعاً إلى الأرض، فجعل جواده يدور حوله ويأخذ عنانه بأسنانه ويضعه بيد الحسين عليه السلام مشيراً إليه بالقيام، فلمّا رأى الجواد أنّ الحسين لا قابليّة له على النهوض، خضب ناصيته بدمه ورجع نحو خيمه كي يعلم النساء بقتله، وهو يصهل ويحمحم ويقول في صهيله:

---

(١) مناقب ابن شهراشوب: ٤/١١٠.

(٢) مقتل الحسين للخوارزمي: ٢/٣٤.

(٣) تظلّم الزهراء: ٢٠٩.

(٤) مثير الأحزان لابن نما: ٧٣.

(٥) الملهوف على قتلى الطفوف: ١٧٢.

الظليمة الظليمة الهضيمة الهضيمة من أُمّة قتلت ابن بنت نبيّها[١]، فدرن الهاشميّات حوله وجعلن يتصارخن ويبكين وكأنّي بالحوراء زينب تخاطبه:

يا جواد الحسين أين الحسين ... أين من كان لي عماداً ظلالا

قال أرباب المقاتل: ولمّا صرع الحسين عليه السلام سقط عن ظهر جواده إلى الأرض، وعمل له وسادة من التراب، فنام عليها ثلاث ساعات من النهار، ثمّ إنّه عليه السلام أراد النهوض فلم يتمكّن، إحتبى بحمائل سيفه وجلس محتبيا.

قال الراوي: وخرج غلام صغير من المخيّم وهو عبدالله بن الحسن عليه السلام[٢] وقرطاه يتذبذبان علىٰ خدّيه، فلحقته زينب بنت علي لتحبسه، فأبى وامتنع امتناعاً شديداً، فقال: لا والله، لا أُفارق عمّي الحسين حتّى جاء إلى مصرع عمّه الحسين عليه السلام وجلس في حجره فصاح به الغلام: ويلك أتضرب عمّي، ثمّ رفع يده ليمنع الضربة عن عمّه فضربه اللعين فاتّقاها الصبي بيده فأطنّها إلى الجلدة وإذا هي مطلقة، فنادى الغلام: يا عمّاه، فأخذه الحسين وضمّه إليه وقال له: يا ابن أخي اصبر علىٰ ما نزل بك، واحتسب في ذلك الخير، فإنّ الله يلحقك بآبائك الصالحين. قال: فرماه حرملة بن كاهل بسهم فوقع الغلام إلىٰ جنب عمّه الحسين قتيلا[٣].

قال الراوي: ورمق الحسين عليه السلام السماء بطرفه وجعل يقول:

تركت الخلق طرّاً في هواكا ... وأيتمت العيال لكي أراكا

فلو قطّعتني بالحبّ إرباً ... لما مال الفؤاد إلىٰ سواكا

---

(١) مقتل الحسين للمحقق الثبت السيّد عبدالرزّاق المقرّم رحمه الله: ٢٨٣.

(٢) حسب ما جاء في ج٢ ص ١١٠ من كتاب «الإرشاد» للشيخ المفيد.

(٣) بحار الأنوار: ٥٤/٤٥.

ثمّ أُغمي على الحسين عليه السلام، هذا والأعداء واقفون بإزائه يحجمون على الأقدام[١]، ويختلفون في الكلام؛ فقائل يقول إنّه عمل حيلة، والآخر يقول ضعف ولا قابليّة له على القيام، قال شمر لعنه الله: فإن أردتم أن تعلموا ذلك فاهجموا على المخيّم، فإن كانت به قوّة فستنهض به غيرته للذبّ عن الحرم، فهجموا على المخيّم فتصارخت العيال وتهاتفت به، فصاح الحسين عليه السلام: ويلكم أنا الّذي أُقاتلكم وتقاتلونني، والنساء ليس عليهنّ ذمام[٢].

فصاح الشمر: دعوا النساء واقصدوا الرجل بنفسه، فلعمري لهو كفو كريم[٣]، فتركوا النساء ورجعوا إليه، فجاء إليه مالك بن النسر أوّل ما صنع اللعين شتم الحسين عليه السلام وضربه بالسيف علىٰ رأسه وكان علىٰ رأس الحسين برنساً فامتلأ البرنس دماً، وأخذ الحسين عليه السلام من دم رأسه وخضّب به وجهه وقال: هكذا ألقى الله وأنا مخضب بدمي[٤]. ثمّ جاء إليه سنان بن أنس وطعنه بالرمح في خاصرته، وطعنه صالح بن وهب في ترقوته، وضربه زرعة بن شريك علىٰ حبل عاتقه، ورماه حرملة بن كاهل بسهم فأُغمي عليه[٥].

قال: وصاح عمر بن سعد لعنه الله: من يأتيني برأس الحسين وله الجائزة؟ فانحدر إليه مالك بن النسر، فأحسّ به الحسين، رمقه بطرفه، فرمى السيف من يده وولّى هارباً. فقال له شبث بن ربعي: أنا له، فقال ابن سعد لعنه الله: أنت له، فحمل سيفه وأقبل إلى الحسين عليه السلام، فرمقه الحسين بطرفه، فرمى السيف من يده

(١) الأخبار الطوال للدينوري: ٣٥٨.
(٢) الملهوف على قتلى الطفوف: ١٧١.
(٣) نفس المهموم: ٣٥٥.
(٤) مقتل العلوالم للشيخ عبدالله البحراني: ٢٩٦.
(٥) نفس المصدر: ٢٩٩.

وولّى هارباً[١]. فنادى ابن سعد لعنه الله: أما فيكم من يذبح الحسين ويأتيني برأسه؟

فغضب الشمر وأقبل إلى الحسين، وكان الحسين يغمىٰ عليه تارة ويفيق أُخرىٰ، فجاء إليه اللعين وتربّع علىٰ صدره، أفاق الحسين عليه السلام من غشوته، فتح عينيه وإذا بشمر جاث علىٰ صدره، فقال له الحسين عليه السلام: يا ابن ذي الجوشن أتعرفني من أنا؟ قال: نعم أعرفك: جدّك المصطفى، أبوك المرتضىٰ، أُمّك الزهراء، أخوك الحسن، أقتلك ولا أُبالي[٢]. فقال له الحسين عليه السلام: أجل، اسقني قطرة من الماء فقد تفتّت كبدي من الظمأ. فقال اللعين: بل أسقيك كأس الحمام[٣]. ثمّ وضع اللعين سيفه على رقبة الإمام وأراد أن يحزّ نحره فلم يعمل السيف، فقيل له: ويلك هذا موضع شمّ رسول الله، إقلبه علىٰ وجهه، فقلب الحسين علىٰ وجهه.

وأقبل الشمر والهنديّ في يده فكان ما كان من إنفاذ مسطور

وكان كلّما قطع عرقاً صاح الحسين: وا جدّاه وا محمّداه.

قال الراوي: أدركت الحوراء زينب أخاها وشمر يحزّ نحره، فجعلت

---

(١) نعم، لا مبالغة في هذا، فهؤلاء أرباب المقاتل يقولون ما نصّه: «وكلّما انتهىٰ رجلٌ من الناس إليه ـ أي إلى الحسين عليه السلام ـ انصرف عنه» وقالوا أيضاً بعد كلام: «وقد تاواه الناس» كلّ ذلك خوفاً وفرقاً منه عليه السلام، يقول السيد حيدر الحلّي ولقد أحسن كلّ الإحسان:

عفيراً متىٰ عافيته الكماة يختطف الرعبُ ألوانها

فما أجلت الحربُ عن مثله صريعاً يجبّن شجاعتها

(٢) مقتل الحسين للخوارزمي: ٢/ ٣٧.

(٣) أسرار الشهادة للدربندي: ٤٢٦.

تمانعه وتوبّخه، وربّما تتوسّل به وتقسم عليه بجدّها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم[١]، فقام إليها اللعين وضربها، فخرّت مغشيّاً عليها، فلمّا أفاقت من غشوتها رأت رأس أخيها الحسين عليه السلام علىٰ رأس رمح طويل والمنادي ينادي بين السماء والأرض: قتل الإمام ابن الإمام أخو الإمام أبوالأئمّة[٢]، وكسفت الشمس، وتزلزلت الأرض، وهبت عجاجة سوداء مظلمة[٣]، وأخذت الناس الدهشة.

لمّا قطع الشمر رأسه دفعه إلىٰ خولي ليوصله إلى ابن سعد، ثمّ أقبلوا علىٰ سلب الحسين؛ فأخذ قميصه إسحاق بن حوية، وأخذ سراويله بحر بن كعب، وأخذ عمامته الأخنص الحضرمي، وأخذ نعليه الأسودبن خالد، وأخذ خاتمه بجدل بن سليم الكلبي وقطع إصبعه مع الخاتم، وأخذ قطيفة كانت له من خزّ قيس بن الأشعث، وأخذ درعه البتراء عمر بن سعد، وأخذ سيفه جميع بن الخلق الأزدي وقيل من بني دارم، وهؤلاء كلّهم انتقم الله منهم شرّ انتقام[٤]، وصاح الشمر عَلَيّ بالنار لأحرق المخيّم، فهجموا على المخيّم وأشعلوا النار فيها، فخرجن الفاطميّات ناشرات الشعور، لاطمات الخدود، مشقّقات الجيوب، ينادين واضيعتنا بعدك يا أبا عبدالله، وجعل القوم ينتزعون الملاحف من علىٰ

---

(١) قال المغفور له الحاج هاشم الكعبي رحمه الله في إحدىٰ قصائده العامرة:

وجاءت لشمرٍ زينبُ ابنةُ فاطمٍ   تعنّفه عن أمره وتُعذّلُ
تدافعهُ بالكف طوراً وتارةً   إليه بطه جدّها تتوسّلُ
أيا شمرُ لا تعجل على ابن محمّدٍ   فذو ترةٍ في مثله ليس يَعجلُ
أيا شمر هذا حجّةُ الله في الورىٰ   أعد نظراً يا شمرُ إن كنت تفعل
فمرَّ يحزُّ النحر غير مراقب   من الله لا يخشى ولا يتوجّلُ

(٢) أسرار الشهادة: ٤٢٩.

(٣) الإيقاد: ١٣٥.

(٤) انظر بحار الأنوار: ٤٥/ ٥٧ وما بعدها.

ظهور الفاطميّات[١]، وهنّ يلذن بعضهنّ ببعض ومنادي القوم ينادي: أحرقوا بيوت الظالمين. قال: وجئن النسوة إلىٰ مصرع الحسين عليه السلام.

فواحدة تحنو عليه تضمّه وأُخرىٰ عليه بالرداء تظلّل

وأُخرىٰ بفيض النحر تصبغ وجهها وأُخرىٰ لما قد نالها ليس تعقل[٢]

(فائدة): وفي كتب بعض العلماء قال: أنّه لمّا خمدت النيران يوم عاشوراء، افتقدت زينب الأطفال، ففقدت طفلتين للحسين عليه السلام، جعلت تدور في المعركة إلىٰ أن وصلت إلىٰ تلّ من الرمل، وجدت الطفلتين قد كشفتا عن صدريها وقد حفرتا الأرض وجعلتا صدريها على الرمل الرطب من شدّة العطش، حرّكتهما وإذا بهما ميّتين، صاحت: يا أُمّ كلثوم، ويا فضّة، هلمن لنحملنهما، فحملهنّ إلى السجّاد، وصحن صيحة واحدة، فاندهش العسكر، فسأل عمر بن سعد ما الخبر؟ قالوا له: طفلتين ماتتا من العطش، فاجتمع رؤساء عسكره عنده وجعلوا يوبّخونه ويلومونه علىٰ منعه: ويلك إن لم تسق الأطفال الماء يهلكوا عن آخرهم، فأمر السقّائين أن يحملوا القرب ويعرضوا عليهم الماء، فأمر أربعمائة سقّاء فحملوا القرب وجاؤا بها إلى الأطفال والعيال، ينادون: هلمّوا اشربوا الماء، فلمّا رأوا الأطفال الماء وقد أُبيح لهم، تصارخوا وهرعوا في البيداء ينادون: نحن لا نشرب الماء وسيّدنا قتل عطشانا، انتهى.

(فائدة): ولقد رأوا ذلك اليوم شخصاً عليه طمار بيض يصرخ ويبكي، فقالوا له: أجننت؟ قال: ما جننت ولكنّي أرىٰ ما لا ترون، أرىٰ رسول الله واقفاً

---

(١) انظر أمالي الشيخ الصدوق: ٢٢٨.

(٢) من قصيدةٍ عصماء لا زالت تُردّد من علىٰ صهوات المنابر للمغفور له الشيخ هاشم الكعبي رضوان الله عليه ومطلعها:

أما طلل يا سعدُ هذا فتسأل تزال فهذي الدار إن كنت تنزل

علىٰ مصرع الحسين عليه السلام واضعاً سبابته في فيه، أخاف يدعو علىٰ هذه الأُمّة فتهلك وأهلك معها. فسأل السجّاد عن هذا الشخص، قال: ما أراه إلّا جبرئيل، ولو أُذن له لصرخ صرخة جعل عاليها سافلها.

(فائدة): قال الراوي: وانتهبوا رحل الحسين وإبله وأثقاله، وسلبوا النساء وأخرجوهنّ من الخيام مسلّبات حافيات حاسرات باكيات نادبات يلذن بعضهنّ ببعض، وهجموا على زين العابدين اجتذبوا النطع من تحته، وألقوه علىٰ وجهه، هذا يقول: أُقتلوه، وذاك يقول: دعوه، والآخر يقول: لا تبقوا لأهل هذا البيت بقيّة، ثمّ تركوه علىٰ حاله.

(فائدة): روى أبو مخنف قال: قال عبدالله بن العباس: حدّثني من شهد الواقعة أنّ فرس الحسين جعل يحمحم ويتخطّى القتلىٰ في المعركة قتيلاً بعد قتيل حتّى وقف علىٰ جثّة الحسين، فجعل يمرغ ناصيته بالدم ويلطم الأرض بيده ويصهل صهيلاً حتّى ملأ البيداء، فتعجّب القوم من فعاله، فلمّا نظر عمر بن سعد لعنه الله إلىٰ فرس الحسين قال: يا ويلكم اتوني به، وكان من جياد خيل رسول‌الله صلى الله عليه وآله وسلم، فركبوا في طلبه، فلمّا أحسّ الجواد بالطلب جعل يلطم بيده ورجليه ويمانع عن نفسه حتّى قتل خلقاً كثيراً، ونكّس فرساناً من خيولهم ولم يقدروا عليه، فصاح عمر بن سعد لعنه الله: دعوه حتّى ننظر ما يصنع، فلمّا أمن الجواد منا الطلب أتىٰ إلىٰ جثّة الحسين وجعل يمرّغ ناصيته بمده ويبكي بكاء الثّكلىٰ وصار يطلب الخيمة.

فلمّا سمعت زينب بنت علي عليهما السلام صهيله، أقبلت إلىٰ سكينة وقالت لها: قد جاء أبوك بالماء، فخرجت سكينة فرحة بذكر أبيها، فرأت الجواد عارياً، والسرج خالياً من راكبه، فهتكت خمارها ونادت: وا أبتاه وا حسيناه وا قتيلاه وا غربتاه وا بعد سفراه وا طول كربتاه، هذا الحسين بالعرىٰ، مسلوب العمامة والردا، قد أخذ

منه الخاتم والحذا، بأبي من رأسه بأرض وجثّته بأُخرىٰ، بأبي من رأسه إلى الشام يُهدىٰ، بأبي من أصبحت حرمه مهتوكة بين الأعداء، بأبي من عسكره يوم الإثنين مضىٰ، ثمّ بكت بكاء شديداً وأنشأت تقول:

مات الفخار ومات الجود والكرم ... واغبرّت الأرض والآفاق والحرم
وأغلق الله أبواب السماء فما ... ترقى لهم دعوة تجلى بها الغمم
يا أُخت قومي انظري هذا الجواد أتىٰ ... ينبئك أنّ ابن خير الخلق محترم
مات الحسين فيا لهفي لمصرعه ... وصار يعلو ضياء الأُمّة الظلم

(فائدة): قال أبو مخنف: ولمّا ارتفع صياح النساء، صاح ابن سعد: ويلكم اكبسوا عليهنّ الأخبية، واضرموهنّ ناراً، فأحرقوها ومن فيها. فقال رجل منهم: ويلك يابن سعد أما كفاك قتل الحسين وأهل بيته وأنصاره عن احراق أطفاله ونسائه، كأنّك تريد أن يخسف الله بنا الأرض، فتبادروا إلىٰ نهب النساء الطاهرات.

قالت فاطمة بنت الحسين: كنت في ذلك الوقت واقفة في الخيمة إذ دخل رجل أزرق العين، فأخذ ما كان في الخيمة، ونظر إلىٰ قرطين كانتا في أُذني، فجعل يعالجهما وهو يبكي حتّى نزعهما، فقلت له: تسلبني وأنت تبكي ؟! فقال: أبكي لمصابكم أهل البيت. فقلت له: قطع الله يديك ورجليك، وأحرقك الله تعالىٰ بنار الدّنيا قبل الآخرة.

(فائدة): قال أبو مخنف: ثمّ إنّ عمر بن سعد لعنه الله قال: من يبادر إلىٰ جسد الحسين فيوطأه، فابتدر إليه عشرة فوارس فحطموا صدره وظهره.

إنتهى الجزء الأول من كتاب ثمرات الأعواد

المحتويات